المنهاج في شرح صحيح مسلم

كتاب الإيمان

الجزء الثاني

تأليف
عبد الله بن حمود الفريح

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يليق بعظمته وجلاله ، وأشكره شكراً يبلغنا به مرضاته ، ويزيدنا بسببه من نعمه و رحماته ، ومن أفضل هذه النعم نعمة العلم التي يجلو بها المؤمن ظلام الجهل والبدعة ، ويعبد الله من خلالها على بصيرة وحق ؛ وذلك بإتباعه للسنة ، فيا رب يسر لنا ذلك ، واجعلنا فيه من المخلصين ، ثم الصلاة مع سلام دائمٍ على النبي محمد الخاتم ، المأمور بالازدياد من العلم فقال له الله – جل جلاله – :{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ، ثم أما بعد :

أنثر أمام عينيك – أخي طالب العلم – فوائد ، أرجو بها يوم القيامة عوائد ، قيَّدتها أثناء دروس في شرح سِفْرٍ من أسفار الدين لبحر من أبحر العلم ، وهذا السِّفْر هو ثاني كتابين هما أصح الكتب المصنَّفة ؛ ألا وهو : صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١) بعد أن حذفت الأحاديث المكررة ، مع إضافة ما نحتاجه من روايات لصاحب الكتاب الأول أصح الكتب المصنفة صحيح الإمام البخاري ، ولا أزعم أني استقصيت كل فوائد الحديث ، ولكن جلُّها ، مراعياً في ذلك عدم الإطالة والإخلال.

ومع ذلك التمس لي – أخي طالب العلم – عذرين أنا أعرف الناس فيهما بنفسي وهما : قصور الهمة ، وقلة البضاعة ، فأسأل الله لي ولك التوفيق للعلم والعمل ، بإخلاص ويقين بما عند الله من الأجر والمنن .

فهذا الجزء الثاني من شرح [كتاب الإيمان] من صحيح الإمام مسلم ، وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

كتبه / عبد الله بن حمود الفريح

الحدود الشمالية – رفحاء

forih@hotmail.com

تنبيه : لا يسمح بتصوير هذه المذكرة ، فلم يكن الباعث على إخراجها أن تكون في متناول الجميع ولم يُقصد بها النشر ؛ لأنها بضاعة لا تبلغ نصاب الإخراج ، ولكن الباعث على إخراجها أن تكون في متناول طلاب العلم ممن كان معنا في الدرس ليسهل عليهم مراجعة العلم ، والاختبار فيه ، وينبهوني على ما فيها من أخطاء .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٤٧ - بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ.

٧٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- : **«مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدا فِيهَا أَبَدا. وَمَنْ شَرِبَ سَمّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدا مُخَلَّدا فِيهَا أَبَدا. وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدا مُخَلَّدا فِيهَا أَبَدا»**.

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة- رضي الله عنه- تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم (١٠٩)، وأخرجه البخاري في "كتاب الطب" "باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث" حديث (٥٧٧٨)، وأخرجه الترمذي في "كتاب الطب" "باب ما جاء فيمن يقتل نفسه بسم أو غيره" حديث (٢٠٤٤)، وأخرجه النسائي في "كتاب الجنائز" "باب ترك الصلاة على من قتل نفسه" حديث (١٩٦٤).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ**): المقصود هنا السكين وما شابهها لأنها هي التي يُطعن بها ويُقتل، ولفظ الحديدة أعم من السكين فتشمل آلات النجار والحداد وكل ما شأنه أن يقتل.

- (**يَتَوَجَّأُ بِهَا**): يتوجأ بفتح الواو وتشديد الجيم، ويجوز تسهيل الهمزة بقلبها ألفا ومعناه يطعن.

- (**فِي نَارِ جَهَنَّمَ**): جهنم اسم لنار الآخرة، سميت بذلك قيل: لبعد قعرها، يقال هذه بئر جهنام أي بعيد قعرها، وقيل: مشتقة من الجهومة وهي الغلظ فسميت بذلك لغلظ أمرها، يقال: جهم الوجه أي غليظه.

- (**وَمَنْ شَرِبَ سَمّا**): بفتح السين (سَمّاً) ويجوز في السين اللغات الثلاث الفتح والضم والكسر، والفتح أفصحها.

- (**يَتَحَسَّاهُ**): أي يشربه شيئا فشيئا بتجرع.

- (**وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ**): أي أسقط نفسه منه، لأنه قال بعدها (فقتل نفسه) وهذا يدل على تعمده ذلك، لأن مجرد التردي من الجبل لا يدل على التعمد.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على تحريم الانتحار وهو قتل النفس وأنه كبيرة من كبائر الذنوب.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن الجزاء من جنس العمل، لأن من يقتل نفسه بحديدة، فسيُعذَّب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفسه بحديدة يوم القيامة، ومن قتل نفسه بسم تحساه، فسيعذِّب نفسه بذلك يوم القيامة، وكذلك من قتل نفسه بالتردي من شاهق، فكذلك سيكون عذابه يوم القيامة، وكل من قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذِّب به يوم القيامة، وليس الوعيد مخصوصا بما ذُكر في الحديث، ويشهد لذلك قول النبي- صلى الله عليه وسلم -" **ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذّب به يوم القيامة**" وستأتي هذه الرواية في الحديث القادم.

فكل من قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة ، سواء قتل نفسه برصاص أو شنقا بحبل أو ضرب نفسه يريد قتلها فقتلها ونحو ذلك من صور قتل النفس.

الفائدة الثالثة: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: " **خَالِدا فِيهَا أَبَدا**" فيه إشكالان:

-**الاشكال الأول**: الحديث دليل على أن من قتل نفسه فهو خالد مخلد في نار جهنم (أبدا) ولم ترد كلمة (أبداً) فيمن قتل مؤمنا متعمدا، قال تعالى:{ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا**} فهل معنى هذا أن قتل النفس أعظم جرما من قتل المؤمن متعمدا؟

الجواب: نعم قتل النفس عمدا أشد جرما من قتل المؤمن عمدا من وجهين:

الأول: أن من قتل غيره معه فسحة للتوبة، فلو تاب من هذه الكبيرة بعد القتل تاب الله عليه، بخلاف قاتل نفسه فإنه يموت حال فعله لهذه الكبيرة.

الثاني: أن قاتل غيره قد يكون الحامل له على القتل عداوة بينه وبين الذي قتله، بخلاف قاتل نفسه فإن العداوة بينه وبين ربه جل وعلا، لأنه لا يكون الحامل على الانتحار إلا الجزع وهذا اعتراض على القدر فهو إما أن يكون قاتلا لنفسه جزعا مما أصابه من قدر الله عز وجل، وإما أن يكون جزعا مما أصابه من بني آدم. [انظر التعليق على صحيح مسلم لشيخنا ابن عثيمين (١/٣٦١)].

- **الإشكال الثاني**: كيف الجمع بين أن المؤمن مآله إلى الجنة وبين حديث الباب الذي يفيد بأن قاتل نفسه سيخلد في النار؟

الجواب: قيل في إيضاح الإشكال عدة أجوبة:

قيل: المقصود بذلك المستحل المعتقد جواز قتل النفس، والمستحل كافر كما بيَّنَّا في أحاديث مضت والكافر مخلد.

وقيل: المعنى أن هذا جزاؤه لو لم يتجاوز الله عنه.

وقيل: المعنى من الخلود هو طول المكث، فهو سيمكث كثيرا ثم يخرج من آخر الموحدين الذين يخرجون من النار، وهذا مثل قول العرب: خلَّد الله ملكك أو ذكرك، وأبّد الله أيامك، ولا أكلمك أبد الآبدين ونحوها من الألفاظ التي تعني طول المكث وإن كان ظاهرها الخلود، ومعلوم أنه لابد لهذه الدنيا من فناء بما فيها من عباد وبلاد.

وقيل غير ذلك، ما تقدم هو أظهرها والله تعالى أعلم وأحكم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٨- وعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ. وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ. وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللّهُ إِلاَّ قِلَّةً. وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ**».

وفي رواية : «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الإِسْلاَمِ كَاذِبا فَهُوَ كَمَا قَالَ: وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ ذُبِحَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وعند البخاري : « **ومن قَذَف مؤمناً بكفر فهو كقتْلِه**».

ولمسلم : « **وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللّهُ إِلاَّ قِلَّةً** ».

ترجمة راوي الحديث:

هو ثابت بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة الأنصاري، رديف رسول الله- صلى الله عليه وسلم -يوم الخندق، واُختُلف في كونه شهد بدرا وكونه دليل النبي إلى حمراء الأسد يوم أحد (هو موضع على ثمانية أميال من المدينة)، وبايع رسول الله بيعة الرضوان، واختلف في وفاته قيل سنة خمس وأربعين وقيل أربع وستين وقيل غير ذلك رضي الله عنه وأرضاه. [انظر أسد الغابة (٢٧١/١)، والإصابة (٥٠٧/١)].

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم (١١٠)، وأخرجه البخاري في "كتاب الجنائز" "باب ما جاء في قاتل نفسه" حديث (١٣٦٣)، وأخرجه أبو داود في "كتاب الأيمان والنذور" "باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام" حديث (٣٢٥٧)، وأخرجه الترمذي في "كتاب الأيمان والنذور" "باب ما جاء لا نذر فيما لا يملك ابن آدم" حديث(١٥٢٧)، وأخرجه النسائي في "كتاب اوالنذور""باب الحلف بملة سوى الإسلام" حديث (٣٧٧٩)، وأخرجه ابن ماجة في "كتاب الكفارات" " باب من حلف بملة غير الإسلام" حديث (٢٠٩٨).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ**): أي ليس عليه وفاء لنذر لا يملكه، وقول (رجل) جرى مجرى الغالب والحكم شامل للمرأة أيضا.

- (**وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**): اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وسيأتي معنى التشبيه، وكذا قوله " **ومن قَذَف مؤمناً بكفر فهو كقتْلِه**".

- (**وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ**): في الجملة محذوف لأنه لم يأت هنا الخبر عن هذا الحالف على يمين الصبر الفاجرة، إلا أن يكون معطوفا على الذي قبله فيكون التقدير "ومن حلف على يمين صبر فاجرة لم يزده الله إلا قلة"، وجاء معنى هذه الجملة تاما في حديث آخر سيأتي بعد ثلاثة عشر بابا وهو حديث الأشعث بن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قيس المتفق عليه أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:" **من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان**".

و(يمين الصبر) هي اليمين التي أُلزم بها الحالف عند المحاكم، فجاء بيمين فاجرة أي كاذبة.

(**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الإِسْلاَمِ كَاذِبا فَهُوَ كَمَا قَالَ**): وفي رواية أخرى عند مسلم أيضا (كاذبا متعمداً)، وأُختُلف في معنى هذا الحلف، **فقيل**: معناه التعليق على ملة غير الإسلام بفعل شيء معين كأن يقول عن نفسه: أنه يهودي أو نصراني إن دخل هذا المكان، ثم ثبت أنه كاذب وأنه دخل ذلك المكان فهو كما قال أي فهو يهودي، فعليه التوبة، وظاهر الحديث أن عليه تجديد إسلامه.

وقيل: معناه اليمين بملة غير الإسلام، كأن يحلف باليهودية أو النصرانية معظما لتلك الملة فهو كافر حقيقة.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على أنه لا يجب الوفاء بنذر لا يملكه الإنسان، كأن يقول: لله علي نذر أن أعتق عبد فلان، فهذا النذر لا يصح لأنه لا يملك هذا العبد، ولو قال أيضا: لله علي نذر أن أتصدق بألف درهم هذا اليوم وهو لا يملك ذلك، فلا يجب عليه الوفاء به لعدم استطاعته، واختلف أهل العلم فيما يترتب على من نذر مالا يملكه هل تجب عليه الكفارة؟

القول الأول: لا تلزمه كفارة يمين وبه قال جمهور العلماء.

والقول الثاني: تلزمه كفارة يمين وبه قال بعض أهل الحديث وبعض الحنفية والشافعية والحنابلة، والخلاف في هذه المسألة جرى بين الصحابة أيضا.

قال ابن حجر:"واختلف فيمن وقع منه النذر في ذلك هل تجب فيه كفارة؟ فقال الجمهور: لا، وعن أحمد والنووي وإسحاق وبعض الشافعية والحنفية نعم، ونقل الترمذي اختلاف الصحابة في ذلك كالقولين" [الفتح ٧١٥/١١].

والأظهر والله أعلم القول الثاني وهو إلزامه بكفارة اليمين لعموم قوله صلى الله عليه وسلم:" **كفارة النذر كفارة يمين** " رواه مسلم، وهو اختيار شيخنا ابن عثيمين [انظر التعليق على صحيح مسلم (٣٦٥/١)].

الفائدة الثانية: الحديث دليل على تحريم لعن المؤمن وأنه كقتله، لأن القتل إزهاق للروح، واللعن طرد لها وإبعاد عن رحمة الله تعالى وهذا أشد.

وقد يكون المراد بالحديث التشبيه في الحكم، أي كما أن القتل محرم فاللعن محرم، وكذلك يقال في معنى رواية البخاري :"**ومن قَذَف مؤمناً بكفر فهو كقتْلِه**" أي في التحريم.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على تحريم قتل النفس، وتقدم بيانه، وفيه أن كل من قتل نفسه بشيء في الدنيا متعمدا عُذِّب به يوم القيامة وهذا العموم مأخوذ من قوله -صلى الله عليه وسلم-:" **مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" وقوله في الرواية الأخرى:" **وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ ذُبِحَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الرابعة: في الحديث ذمّ من ادعى شيئا ليس له، فإن هذا بدعواه لم يزدد إلا قلة، فمن ادعى عند الناس أنه ممن يستحق هذا المال سواء لفقره أو لحاجة أو لاستحقاقه من عمله الذي يعمل فيه كالوظيفة ونحوها، أو عند القاضي في دعوى ادعاها، وكان ادعاؤه كاذبا إنما أخذ ذلك ليكثر ماله لم يزدد بما أخذ عند الله إلا قلة، ولا يلزم أن يقل ماله من حيث العدد وإنما من حيث البركة فتنزع عن ماله، وليس الحديث خاص بالمال بل في كل شيء ادَّعاه وليس هو من أهله.

قال القاضي عياض:"هو عام في كل دعوى يتشبع بها المرء بما لم يُعط من مال يختال في التجمل به من غيره، أو نسب ينتمي إليه، أو علم يتحلى به وليس هو من حملته، أو دين يظهره وليس هو من أهله، فقد أعلم صلى الله عليه وسلم أنه غير مبارك له في دعواه" [انظر شرح النووي لمسلم، المجلد الثاني، شرح الحديث (١١٠)].

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على عظم جرم يمين الصبر الفاجرة، وأنه لن يزداد بها إلا قلة، وهذا بناءً على موافقة الجملة للجملة التي قبلها في تقدير المحذوف، فمن كذب في هذه اليمين نزعت منه بركة ما تحصله من هذه اليمين، وأما في الآخرة فعقابه أشد من ذلك، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" **من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان**". متفق عليه.

الفائدة السادسة: الحديث دليل على عظم جرم من حلف بملة غير الإسلام كاذبا، وتقدم بيان المقصود من ذلك.

٧٩- وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم الْتَقَىٰ هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا. فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ. فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدا. قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ. كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ. وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ. قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحا شَدِيدا. فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ. ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللّهِ. قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذٰلِكَ. فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ. فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحا شَدِيدا. فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ. فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ. ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ ذٰلِكَ «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بنحو هذه القصة في غزوة حنين وفيها : قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **الله أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ**» ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَنَادَى فِي النَّاسِ «**إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ. وَإِنَّ الله يُؤَيِّدُ هٰذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**».

ترجمة راويي الحديثين:

هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري الساعدي، شهد قضاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المتلاعنين وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزنا فسماه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سهلاً، قال الزهري: رأى سهل بن سعد النبي -صلى الله عليه وسلم -وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خمس عشرة سنة.

عاش سهل- رضي الله عنه- وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتحن معه، أرسل الحجاج سنة أربع وسبعين إلى سهل- رضي الله عنه -وقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلت، قال: كذبت ثم أُمر به فختم في عنقه كما ختم في عنق أنس بن مالك وجابر بن عبد الله -رضي الله عنهم أجمعين -يريد إذلالهم وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعوا منهم.

توفي سهل -رضي الله عنه -سنة ثمان وثمانين وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل توفي سنة إحدى وتسعين وقد بلغ مائة سنة، ويقال: إنه آخر من بقي من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة -رضي الله عنه -وأرضاه. [انظر أسد الغابة (٢/٤٧٢)].

وأما أبو هريرة -رضي الله عنه -فتقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

حديث سهل أخرجه مسلم، حديث (١١٢)، وأخرجه البخاري في "كتاب المغازي" "باب غزوة خيبر"، حديث (٤٢٠٣).

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه مسلم، حديث (١١١)، وأخرجه البخاري في "كتاب الجهاد" "باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر" حديث (٢٨٩٧).

شرح ألفاظ الحديثين:

- (**فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَسْكَرِهِ**): أي رجع بعد فراغ قتال ذلك اليوم، حيث إن القتال يستمر أكثر من يوم وبعد فراغ قتال كل يوم يميل كلا الطرفين إلى عسكرهما.

- (**وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ**): ذكر جماعة من شراح الحديث على أن هذا الرجل اسمه قُزمان، بضم القاف، الظفري، قال الخطيب:"وكان من المنافقين". [انظر شرح النووي حديث (١١٢)].

- (**لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ**): الشاذ والشاذة هو الخارج والخارجة عن الجماعة بعدما اختلط بهم انفرد عنهم، والفاذ والفاذة مثله هو المنفرد عن الجماعة لكن لم يختلط بهم، وقيل الشاذ والفاذ ما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كبر وصغر، وأصل الكلمتين دون تاء مربوطة وألحقت للمبالغة، والمقصود أن هذا الرجل شجاع لا يدع أحداً إلا قتله.

– (**مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ**): أي ما أغنى وما أبلى واجتهد أحد كاجتهاده.

وجاء عند الطبراني أن الذي تبعه هو الصحابي أكثم بن أبي الجون، وفي حديث أكثم هذا قال:" قلنا يا رسول الله فلان يجزئ في القتال؟ قال:" **هو في النار**" قلنا يا رسول الله إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟ قال:" **ذلك إخبات النفاق**" فكنا نتحفظ عليه في القتال". [انظر الفتح حديث(٤٢٠٣) "كتاب المغازي" "باب غزوة خيبر"].

– (**فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ**): نصل السيف حديدته، والمراد هنا طرف المقبض بدليل رواية البخاري:"فوضع نصاب سيفه بالأرض" ونصاب السيف مقبضه لمن أراد أن يمسك السيف.

– (**وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ**): بضم الذال وهو طرف السيف الأسفل لأن طرفه الأعلى هو المقبض فكأنه عكس وضع السيف فجعل المقبض على الأرض والجانب الحاد من السيف بين ثدييه.

– (**ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَنَادَى فِي النَّاسِ**): سيأتي في حديث عمر بن الخطاب عند مسلم أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر عمر بن الخطاب بذلك، وعند البيهقي أنه أمر عبد الرحمن بن عوف، والجمع بينها أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمرهم جميعا وأن كل واحد نادى في جهة مختلفة عن الآخر. [انظر الفتح المرجع السابق].

– (**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هٰذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**): قد يكون المقصود بهذا الرجل (قُزمان) الذي في حديث سهل، وقد يكون المقصود جنس الرجل فيكون المقصود أي رجل فاجر، وليس المقصود بالفاجر هنا الفاسق بل يدخل فيه الفاسق والكافر، بدليل قول النبي- صلى الله عليه وسلم- قبلها" إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة".

من فوائد الحديثين:

الفائدة الأولى: في الحديث التحذير من اغترار العبد بمنزلته عند الناس وثنائهم عليه وأنه ليس بمعيار يعتمد عليه، فينبغي أن يحرص العبد على موافقة الظاهر للباطن وأن الإخلاص هو معيار الأعمال، فالرجل الذي في الحديث تعجب الصحابة من حسن بلائه بالقتال وغيره حتى قالوا:" يا رسول الله إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟ "، فليست العبرة فيما يبدو للناس وإنما فيما وقر في القلب وأثر في الجوارح ولذا قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ** " أي فيما يظهر لهم.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن العبرة في حسن الخاتمة، ولذا جاء في رواية البخاري: " **إنما الأعمال بالخواتيم**" ولاشك أن من عاش على شيء مات عليه، إن كان من أهل الثبات مات على الطاعة، وإن كان من أهل الزيغ خُشي عليه من سوء الختام.

وينبغي لكل عبد أن يحذر من الاغترار بأعماله ولا يتكل عليها فإنه لا يدري بما يختم له، فينبغي أن يسأل الله الثبات حتى الممات وأن يوفقه للعمل الصالح، ففي حديث أنس عند الترمذي وصححه قال النبي صلى الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم:" إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله، قيل كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه". ولله تعالى حكمة في إخفاء طاعة العبد، قال ابن حجر:"قال ابن بطال: في تغييب خاتمة العمل حكمة بالغة وتدبير لطيف، لأنه لو علم وكان ناجيا أعجب وكسل، وإن كان هالكا ازداد عتوا فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء، وقد روى الطبراني عن حفص بن حميد قال: قلت لابن المبارك رأيت رجلا قتل رجلا ظلما فقلت في نفسي أنا أفضل من هذا، فقال: أمنك على نفسك أشد من ذنبه، قال الطبري: لأنه لا يدري ما يؤول إليه الأمر لعل القاتل يتوب فتقبل توبته، ولعل الذي أنكر عليه يختم له بخاتمة السوء". [انظر الفتح حديث (٦٤٩٣) "كتاب الرقائق" "باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منه"].

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على معجزة من معجزات النبي- صلى الله عليه وسلم -الظاهرة حيث أخبر بأمر غيبي وهو بيان حال الرجل قبل وقوعه.

الفائدة الرابعة: في الحديث الوعيد والتحريم على من قتل نفسه مهما كانت الآلام، فالرجل أصابته جراحة شديدة ومع ذا فالنبي صلى الله عليه وسلم أنكر فعله وبيَّن مآله.

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وأما فجوره فعلى نفسه.

فإن قيل: كيف الجمع بين الاستعانة بهذا الفاجر إن حكمنا بكفره وبين قول النبي -صلى الله عليه وسلم -كما في حديث عائشة عند مسلم حين قال لمشرك أراد القتال معه:" **ارجع فلن أستعين بمشرك**"؟

أجاب العلماء لهذا الجمع بعدة أجوبة منها:

- **قيل**: النهي عن الاستعانة بالمشرك خاص بذلك الوقت ثم نسخ هذا الحكم.
- **وقيل**: المراد بالفاجر في حديث الباب غير المشرك.
- **وقيل**: إن الاستعانة بالمشرك راجع لاجتهاد الإمام ورد النبي للمشرك من اجتهاد اجتهده لا للنهي عن ذلك.
- **وقيل**: النهي محمول على من كان كفره ظاهرا، وحديث الباب على من لم يكن كذلك. [انظر الفتح حديث (٣٠٦٢) "كتاب الجهاد" "باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر"].

الفائدة السادسة: استدل بحديث الباب من يقول أنه لا يطلق على كل مقتول في الجهاد شهيدا لاحتمال أن يظهر للناس كونه شهيدا وحاله كحال هذا الرجل، وسيأتي ذكر الخلاف في الباب القادم بإذن الله تعالى.

٨٠- وعن جُنْدَب، عَنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم قال : «**إِنَّ رَجُلاً مِمَّن كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ. فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمَا مِنْ كِنَانَتِهِ. فَنَكَأَهَا فَلَمْ يَرْقَإِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ. قَالَ رَبُّكُمْ: قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة راوي الحديث:

هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، يُكنى أبا عبد الله، سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة قدمها مع مصعب بن عمير.

روى عنه من أهل البصرة: الحسن ومحمد وأنس ابنا سيرين وغيرهم.

وله رواية عن أبي كعب وحذيفة رضي الله عنهم أجمعين. [انظر أسد الغابة (١/٣٦٠)].

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١١٣)، وأخرجه البخاري في "كتاب الجنائز" "باب ما جاء في قاتل نفسه" حديث (١٢٩٨).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**): أي في أزمان الأمم السابقة.
- (**خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ**): بفتح القاف وإسكان الراء وهي حبة تخرج في بدن الإنسان.
- (**انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ**): الكنانة بكسر الكاف وهي جعبة النشاب التي يجمع فيها السهام، سميت بذلك لأنها تَكُنُّ السهام.
- (**فَنَكَأَهَا**): أي خرقها وفتحها.
- (**فَلَمْ يَرْقَإِ الدَّمُ**): أي لم ينقطع.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على تحريم قتل النفس، وتحريم تعاطي الأسباب المفضية للقتل كما فعل الرجل الذي في حديث الباب، ومن رحمة الله تعالى بعباده حرم عليهم ذلك.

الفائدة الثانية: في الحديث الحث على الصبر على البلاء وترك الجزع والتضجر من الآلام.

الفائدة الثالثة: في الحديث التسلي بذكر أحداث الأمم الماضية والاستفادة منها ترغيبا وترهيبا.

الفائدة الرابعة: استشكل أهل العلم قوله- صلى الله عليه وسلم -عن ربه:" **قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** " كيف نجمع بينه وبين أن فاعل الكبيرة كقتل النفس لا يُحرم من الجنة بل مآله إليها كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، فأجاب العلماء عن هذا الإشكال بعدة أجوبة:

قيل: هذا في المستحل، فإن استحل فعله صار كافرا، والكافر حرام عليه الجنة.

وقيل: حرمت عليه الجنة ابتداءً أي لا يدخلها مع السابقين بل يُعذَّب في أول الأمر فيُحرم الجنة ثم يكون مآله إليها.

وقيل: حرمت عليه جنة معينة وهي جنة الفردوس مثلا، فتكون (ال) في (الجنة) للعهد.

وقيل: إن هذا جزاؤه لو أراد الله عقابه، فالمراد بالتحريم هو التغليظ والتخويف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقيل: احتمال كون هذا شرع من قبلنا وأن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها قاله النووي-رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث. [انظر شرح حديث (١١٣)].

٤٨ - بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ

٨١- عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فُلاَنٌ شَهِيدٌ. حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «**كَلاَّ. إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ. فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا. أَوْ عَبَاءَةٍ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «**يا ابْنَ الْخَطَّابِ! اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ**» قَالَ فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: «**أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ**». **رواه مسلم** .

٨٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم إِلى خَيْبَرَ. فَفَتَحَ الله عَلَيْنَا. فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبا وَلاَ وَرِقا. غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ. ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي. وَمَعَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ. يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ. فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم يَحُلُّ رَحْلَهُ فَرُمِيَ بِسَهْمٍ. فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ. فَقُلْنَا: هَنِيئا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «**كَلاَّ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارا. أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ. لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**» قَالَ فَفَزِعَ النَّاسُ. فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «**شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ**».

ترجمة راويي الحديثين:

عمر بن الخطاب وأبو هريرة- رضي الله عنهما -تقدمت ترجمتهما في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أخرجه مسلم حديث (١١٤)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي مختصرا في "كتاب السير" "باب ما جاء في الغلول" حديث (١٥٧٤).

وأما حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- فأخرجه مسلم حديث (١١٥)، وأخرجه البخاري في "كتاب المغازي" "باب غزوة خيبر" حديث (٤٢٣٤)، وأخرجه أبو داود في "كتاب الجهاد" "باب تعظيم الغلول" حديث (٢٧١١)

شرح ألفاظ الحديثين:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– (**لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ**): كان ذلك في محرم سنة ٧ للهجرة.

– (**أَقْبَلَ نَفَرٌ**): النفر عدة رجال من الثلاثة إلى التسعة.

– (**فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فُلاَنٌ شَهِيدٌ**): النفر سموا رجالا حكموا عليهم بالشهادة، لكن عمر -رضي الله عنه -جاء بلفظ (فلان) كناية عن الاسم الصريح، ومقصودهم بشهيد أي قتلوا فيحكم لهم بدخول الجنة من أول وهلة.

– (**حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ**): أي حتى جاؤوا أثناء عدهم على اسم رجل فقالوا عنه شهيد.

– (**فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: كَلاَّ**): حرف ردع وزجر أي ليس بشهيد.

– (**إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ**): رؤيا منام، ورؤيا الأنبياء حق، أو بمعنى الرؤية وهي العلم أي علمت أنه من أهل النار بطريق الوحي.

– (**فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا. أَوْ عَبَاءَةٍ**): رأيته في النار بسبب البردة أو العباءة التي غلَّها، والبردة نوع من أنواع الأكسية مخطط، والغلول: هو الخيانة في الغنيمة، وذلك بأخذ شيء منها قبل أن تقسم فيختصه لنفسه دون أحد، ولذا سميت غلولا لأن صاحبها يغله في متاعه أي يخفيه.

– (**خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم**): لا خلاف في أن أبا هريرة راوي الحديث . لم يشهد خيبرا وإنما جاء بعد فتح خيبر وشهد غنائمها لا فتحها، فقد روى أحمد وابن خزيمة قال أبو هريرة:"حتى أتينا خيبر وقد افتتحها النبي- صلى الله عليه وسلم- فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم"، والجواب عن لفظ الحديث إما وهم من الراوي أو أنه يحكي خروج المسلمين قبله، وجاء بهذا اللفظ باعتباره من المسلمين لاسيما وقد أخذ معهم من الغنائم.

– (**فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبا وَلاَ وَرِقا**): الورق بفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة، والورق هي الفضة، وفي رواية البخاري:"فلم نغنم ذهبا ولا فضة".

– (**غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ**): في رواية البخاري:"إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط".

– (**ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي**): جاء في رواية البخاري اسم هذا الوادي فقال:"إلى وادي القُرى" وهو موضع قريب من المدينة.

– (**قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم**): اسمه (مِدْعم) بكسر الميم وإسكان الدال وفتح العين كما في رواية البخاري.

– (**فَرُمِيَ بِسَهْمٍ**): جاء في رواية البخاري:"إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد" وعائر أي لا يدرى من رمى به، وجاء في رواية البيهقي بيان الجهة التي انطلق منها هذا السهم ففيها:"وقد استقبلنا يهود بالرمي ولم نكن على تعبئة".

– (**فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ**): بفتح الحاء وإسكان التاء أي موته، وجمعه حتوف، وقولهم: مات حتف أنفه أي من غير قتل ولا ضرب.

– (**إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارا**): الشملة نوع من الأكسية صغير يؤتزر به، يحتمل أن يكون ذلك حقيقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأن تصير الشملة نفسها ناراً تحيط به، فيعذب بها، ويحتمل أن يكون المراد أنها سبب لعذاب النار، وكذا يقال في الشراك بالاحتمالين السابقين.

– (**بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ**): بكسر الشين وتخفيف الراء وهو سير النعل الذي على ظهر القدم.

من فوائد الحديثين:

الفائدة الأولى: الحديثان دليلان على عظم تحريم الغلول، ويؤخذ من الحديثين فيما يخص الغلول عدة أحكام:

– **أولاها**: أن الغلول كبيرة من كبائر الذنوب، وهذا يؤخذ من الحديثين بتعذيب من غلَّ في النار، وأيضا لقوله تعالى:{ **وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** } ونقل النووي الإجماع على أنه من الكبائر. [انظر شرح النووي للحديثين (١١٤،١١٥)] فدلالة كون الغلول من الكبائر الكتاب والسنة والإجماع.

– **ثانيها**: أن الغلول سبب من أسباب التعذيب بالنار للاستدلال السابق.

– **ثالثها**: أن الغلول مانع من موانع الشهادة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديثين حينما أطلق الصحابة الشهادة على من غلَّ قال (كلاَّ)، وإن كان في الدنيا يعامل معاملة الشهيد فلا يغسل ولا يصلى عليه، وذكر النووي أن الشهداء على ثلاثة أقسام:

الأول: المقتول في حرب الكفار فهذا له حكم الشهداء في الدنيا ومنازل الشهداء في الآخرة.

الثاني: شهداء في الثواب دون أحكام الدنيا، وهم المبطون والمطعون وصاحب الهدم، ومن قتل دون ماله وغيرهم مما جاءت ببيانهم الأحاديث الصحيحة بأنهم شهداء وهؤلاء ليس لهم حكم الشهيد في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم كسائر الأموات، وأما في الآخرة ففي منازل الشهداء لكنهم دون القسم الأول.

الثالث: من غلَّ من الغنيمة وقتل في حرب الكفار فهؤلاء تجرى عليهم أحكام الشهيد في الدنيا فلا يغسلون ولا يصلى عليهم، وأما في الآخرة فثوابهم ليس بكامل لورود التعذيب لهم بما غلوه.

قال النووي:"من غلَّ في الغنيمة وشبهه ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيدا إذا قتل في حرب الكفار، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا، فلا يغسل ولا يصلى عليه، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة".

– **رابعها**: أن الغلول كله محرم كثيره وقليله لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (شراك من نار) وهذا شيء يسير.

– **خامسها**: أن من غلَّ شيئا يجب عليه ردّه وأنه إذا ردّه يقبل منه كما رد صاحب الشراك الشراك الذي غلَّه، وأن الغلول بعد ردّه لا يُحرَّق لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يحرقه.

وذهب بعض العلماء إلى تحريقه استدلالا بحديث ضعيف، قال النووي:"وأما الحديث"من غلَّ فأحرقوا متاعه واضربوه" وفي رواية "واضربوا عنقه" فضعيف بيَّن ابن عبد البر وغيره ضعفه".[انظر شرح النووي للحديثين].

الفائدة الثانية: قوله "فلان شهيد، فلان شهيد" استدل به من قال بجواز إطلاق لفظ الشهيد على من مات في المعركة ضد الكفار، وفي المسألة خلاف هل يشهد لشخص بعينه أنه شهيد؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القول الأول: أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد، إلا من شهد له رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك.

واختار هذا القول الإمام البخاري في صحيحه قال:"باب لا يقول فلان شهيد" وأدرج تحته حديث سهل بن سعد المتقدم، ورجحه شيخنا ابن عثيمين-رحمه الله- في كتابه [المناهي اللفظية (ص ٧٨، ٨٠)]، وهو رأي العلامة الألباني [في أحكام الجنائز (ص ٥٩)].

واستدلوا:

١. بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:" **والذي نفس محمد بيده لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ –وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ – إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ** " متفق عليه، وبوَّب البخاري على هذا الحديث بنفس الباب السابق.

ووجه الدلالة: أن قوله " **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ** " أي بمن يجرح في سبيله ظاهر في أننا لا نجزم لأحد بأنه قتل في سبيل الله حتى نحكم عليه بالشهادة، فقد يكون قتال حمية أو رياء أو شجاعة.

٢. حديث سهل بن سعد السابق وفيه قصة الرجل الذي لم يدع شاذة ولا فاذة إلا ضربها بسيفه ومع ذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم - :" **أما إنه من أهل النار**" والحديث متفق عليه.

٣. حديث خارجة بن زيد بن ثابت في قصة موت عثمان بن مظعون وفيه قالت أم العلاء:"رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك، لقد أكرمك الله، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- :" **وما يدريك أن الله أكرمه؟**" قالت قلت: لا أدري، بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟ قال:" **أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بي؟**" قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده..." الحديث رواه البخاري.

٤. قالوا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما عليه عقيدة أهل السنة أنهم لا يشهدون لأحد بعينه بجنة أو نار إلا من جاءت به النصوص.

وهناك أدلة أخرى وما تقدم أهمها.

القول الثاني: جواز تسمية من جاء بأي سبب من أسباب الشهادة بالشهيد وهذا في الظاهر ونكل سريرته إلى الله تعالى.

ومال لهذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ ابن باز-عليهم رحمة الله- .

واستدلوا:

١. بحديث أنس بن مالك قال:"لما طُعن حرام بن ملحان، وكان خاله، يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال:"فزت ورب الكعبة" رواه البخاري، والمقصود فزت بالشهادة، وهذه شهادة منه لنفسه ولم ينكرها النبي صلى الله عليه وسلم.

٢. حديث عمر بن الخطاب في الباب وفيه أنهم كانوا يقولون (فلان شهيد فلان شهيد) ولم ينكر النبي صلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله عليه وسلم حتى أتوا على الغالِّ من الغنيمة وقالوا فلان شهيد فأنكر عليهم ولم ينكر ما سبق.

٣. ما تواتر عن الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء الإسلام، من إطلاق الشهادة على المعين كقولهم:"قتل فلان شهيدا، وختم له بالشهادة، ورزق الشهادة، واستشهد..." وهذا يدل على الجواز.

وأما تبويب البخاري "باب لا يقول فلان شهيد" فالمقصود لا يقال ذلك على سبيل القطع والجزم بأنه سينال مرتبة الشهداء في الآخرة.

قال ابن حجرمعلقا على تبويوب البخاري:"أي على سبيل القطع... وإن كان مع ذلك يُعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب والله أعلم". [الفتح "كتاب الجهاد والسير" "باب لا يقول فلان شهيد" حديث (٢٨٩٨)].

ونقل الشيخ بكر أبو زيد عن الطاهر بن عاشور تعليقا على تبويب البخاري فقال:"هذا تبويب غريب فإن إطلاق اسم الشهيد على المسلم المقتول في الجهاد ثابت شرعا ومطروق على ألسنة السلف فمن بعدهم".

[معجم المناهي اللفظية (ص ٣٢٠)].

وهذا القول هو **الأظهر** والله أعلم وأنه لا بأس بإطلاق لفظ الشهيد على من جاء بسبب من أسباب الشهادة كالقتل في حرب الكفار والمطعون والمبطون وصاحب الهدم ونحوهم مما جاءت به النصوص، وأما السرائر فنكلها إلى الله تعالى فلا نجزم بها وبمآلها في الآخرة، ولعل هذا مراد البخاري بنفيه قول فلان شهيد أي على سبيل الجزم كما ذكر ابن حجر.

الفائدة الثالثة: حديث أبي هريرة دليل على جواز الحلف من غير استحلاف عند الحاجة، وجواز هبة العبد، ونسبته إلى فلان فيقال عبد فلان كما في الحديث عبد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

٤٩ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنْ قَاتِلَ نَفْسِهِ لَا يَكْفُرُ

٨٣- عَنْ جَابِرٍ : أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه و سلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ قَالَ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَبَىٰ ذٰلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و سلم لِلَّذِي ذَخَرَ الله لِلأَنْصَارِ. فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَدِينَةِ. هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَاجْتَبووا الْمَدِينَةَ. فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ. فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ. فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ. وَرَآهُ مُغَطِّيا يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ:

مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجرَتِي إِلَى نبيه . فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيا يَدَيْكَ؟ قَالَ قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ. فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «**اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**». رواه مسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة راوي الحديث:

جابر بن عبد الله -رضي الله عنه وعن أبيه- تقدمت ترجمته في الحديث الخامس من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم، حديث (١١٦) وانفرد به.

شرح ألفاظ الحديث:

- (**أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه**): كان إتيانه قبل هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما جاء مصرحاً به في مسند أبي يعلى وكما هو ظاهر حديث الباب.
- (**فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ**): قصد الطفيل -رضي الله عنه- وغرضه بما سيقوله أنه لما رأى مضايقة قريش للنبي -صلى الله عليه وسلم- وصدها عليه سبيل الدعوة إلى الله أراد حث النبي -صلى الله عليه وسلم- للهجرة إلى بلده حتى يتمكن من أداء مهمة الرسالة.
- (**هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ**): الحصن هو: القصر المسور بسور خاص لحماية من به من الأعداء ويكون مرتفعا لا يقدر عليه، وقوله (حصين) للتأكيد، أي محصن من بداخله، ويقصد بذلك حصن قومه دوس في اليمن.
- (**وَمَنْعَةٍ**): بفتح الميم وفتح النون ويجوز فيها الإسكان والفتح أفصح، والمنعة: العز والامتناع برجال يمنعون من يقصدك بمكروه.
- (**حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ**): أي أن الحصن الذي أدعوك له هو حصن كان لقبيلتي دوس.
- (**فَأَبَىٰ ذٰلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و سلم**): أي امتنع من إجابة الطفيل.
- (**لِلَّذِي ذَخَرَ الله لِلأَنْصَارِ**): أي رفض عرض الطفيل، لأن الله تعالى أراد أن يكرم الأنصار بهجرته إليهم، فلم يشرح صدره -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة لغيرهم.
- (**هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ**): كانت هجرة الطفيل في عمرة القضية، وقيل قدم مع أبي هريرة في خيبر، وهاجر معه رجل كما في حديث الباب.
- (**فَاجْتَبووا الْمَدِينَةَ. فَمَرِضَ، فَجَزِعَ**): وهذا يفيد بأنهم جماعة وليسوا اثنين فيكون الطفيل والرجل ومن يتصل بهما لأن الضمير ضمير جمع (فَاجْتَبووا) بفتح الواو الأولى وضم الثانية، والمعنى أنهم كرهوا المقام بالمدينة لضجر ونوع سقم لحق بهم (فَجَزِعَ) أي فقد الصبر مما ألم به.
- (**فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ**): بفتح الميم والشين جمع مشقص وهو سهم فيه نصل عريض وقيل: السكين، وظاهر الرواية أنه أكثر من مشقص فلعله جرب مشقصا ثم مشقصا ثم مشقصا حتى قطع.
- (**فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ**): البراجم بفتح الباء والراء، وهي مفاصل الأصابع واحدها برجمة.
- (**فَشَخَبَتْ يَدَاهُ**): بفتح الشين والخاء، أي سال دمها، وقيل سال الدم بقوة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**): الواو عاطفة على محذوف والتقدير اللهم غفرت له وليديه فاغفر، أي كما غفرت لبقية بدنه فاغفر ليديه.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث قاعدة عظيمة ودلالة قاطعة لمعتقد أهل السنة والجماعة بأن مرتكب الكبيرة ومن ذلك من قتل النفس ونحوها من الكبائر إن مات صاحبها من غير توبة فليس بكافر ولا يقطع له بنار بل هو في حكم مشيئة الله تعالى.

قال القرطبي:"وهذا الحديث يقتضي: أن قاتل نفسه ليس بكافر، وأنه لا يخلد في النار، وهو موافق لمقتضى قوله تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** } وهذا الرجل ممن شاء الله أن يغفر له لأنه إنما أتى مما دون الشرك، وهذا بخلاف القاتل نفسه المذكور في حديث جندب فإنه ممن شاء الله أن يعذبه". [المفهم (١/٣٢٤)].

الفائدة الثانية: الحديث فيه ردٌّ على ثلاث فرق ضالة، فهو ردٌّ على **المعتزلة** في قولهم بتخليد مرتكب الكبيرة في النار، وعلى **الخوارج** في قولهم بكفر مرتكب الكبيرة وتخليده في النار أيضا، وعلى **المرجئة** في قولهم: لا يضر مع الإيمان شيء.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على أن المغفرة تتجزأ كما أن العقوبة تتجزأ، فالمغفرة هنا تناولت جسده ولم تتناول يديه، وسيأتي أيضا ما يدل على أن العقوبة تتجزأ ومن ذلك قول النبي- صلى الله عليه وسلم-:" **ويل للأعقاب من النار**" متفق عليه، والأعقاب هي مؤخرة كل قدم واحدها عَقِب، وكذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-:" **ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**" رواه البخاري.

وظاهر حديث الباب أن الرجل أدركته بركة دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- فتناولت المغفرة يديه كما تناولت جسده، ويكون معنى قوله:" لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ " ممتدا إلى غاية دعاء النبي- صلى الله عليه وسلم -له، فكأنه قيل له: لولا دعاء النبي- صلى الله عليه وسلم -لك لم نصلح منك ما أفسدت.

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على عدة فضائل:

- **أولاها**: فضل الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين وأن شأنها عظيم وتكفر الذنب العظيم.
- **ثانيها**: فضل الطفيل بن عمرو وذلك من وجهين:

الأول: حرصه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلامته والرغبة في حمايته والتشرف به في دياره.

والثاني: بهجرته إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

- **ثالثها**: فضل الأنصار برغبة النبي- صلى الله عليه وسلم- في الهجرة إليهم وترك أي هجرة لغيرهم.

---

٥٠ - بَابٌ فِي الرِّيحِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ الْقِيَامَةِ، تَقْبِضُ مَنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحا مِنَ الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَدَعُ أَحَدا فِي قَلْبِهِ قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضتهُ**». **رواه مسلم.**

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة- رضي الله عنه- وأرضاه تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١١٧) وانفرد به.

شرح ألفاظ الحديث:

- (**يَبْعَثُ**): يرسل.
- (**أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ**): وهذا من الرفق بهم، إذ أرسل لهم ريحا لينة.
- (**مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**): قال ابن الأثير:"الذرة ليس لها وزن، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة" [انظر النهاية مادة (ذرر)].
- (**قَبَضتهُ**): أي قبضت روحه بواسطة ملك الموت.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على لطف الله تعالى بأهل الإيمان وأن لطفه بمن في قلبه إيمان مستمر إلى آخر هذا الزمان، ومن ذلك بعثه جل في علاه ريحا رفيقة لينة لقبض أرواحهم.

وهذا إنما يكون في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال كما جاء مصرحا في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم وذلك في آخر الصحيح وسيأتي في كتاب الفتن، فبعد ذكره لنزول عيسى -عليه السلام- وإهلاكه للدجال قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:" **ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه**" وفي رواية " **فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع**".

وفي الجمع بين هذا الحديث وحديث الباب إشكال مفاده أن حديث الباب على أن الريح من اليمن وحديث ابن عمرو من الشام قال النووي:"ويجاب عن هذا بوجهين: أحدهما: يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية، ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنده، والله أعلم" وبنحو الثاني قال القرطبي [انظر شرح النووي لحديث الباب حديث (١١٧)، وانظر المفهم (٣٢٥/١)].

الفائدة الثانية: الحديث دليل لمعتقد أهل السنة والجماعة من أن الإيمان يزيد وينقص لقوله " مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان" وهذا سبب إيراد مسلم لحديث الباب في كتاب الإيمان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة: في الحديث دلالة على أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، لأنه بعد قبض من في قلبه مثقال ذرة من إيمان لن يبقى إلا شرار الخلق وهذا ما أفاده حديث ابن عمرو السابق وأحاديث أخرى منها قوله -صلى الله عليه وسلم-:" **لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**" رواه مسلم، وقوله:" **لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله**" رواه مسلم، وقوله:" **من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**" متفق عليه، هذه الأحاديث تدل على أن الصالحين يقبضون شيئا فشيئا حتى تأتي الريح فتقبض من بقي من أهل الإيمان فلا يتبقى إلا شرار الخلق.

فإن قيل كيف الجمع بين هذه الأحاديث وحديث " **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**" رواه مسلم؟

فالجواب: أن هؤلاء الصالحين لا يزالون على الحق ظاهرين حتى تأتيهم الريح اللينة فتقبض أرواحهم ثم لا يبقى إلا شرار الخلق، وأن قوله في الحديث " **على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**" أي إلى قرب يوم القيامة ودنوه المتناهي في القرب. وهذا جمع النووي رحمه الله [انظر المرجع السابق].

وقيل: إن شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة لا يعني أنه ليس من بينهم أهل حق وصلاح وإيمان.

وقيل: إن الساعة تقوم وأغلب الناس من شرار الخلق وهذا معنى الأحاديث السابقة، وفيهم طائفة قليلة على الحق ظاهرين، أي أن الساعة تقوم على بعض الفضلاء أيضا لكن لقلتهم لم يذكروا في الأحاديث السابقة، وهذا جمع ابن بطال ، وفيه نظر [انظر فتح المنعم (١/٣٨٥)].

والأول هو الأظهر والله أعلم، لأن الأحاديث السابقة جاءت بألفاظ عموم وصيغ قصر وحصر لا يستقيم معها جمع ابن بطال والله تعالى أعلم.

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على انقراض أهل الخير في آخر الزمان وأن موت الصالحين من أشراط الساعة فلن يبقى إلا شرار الخلق.

الفائدة الخامسة: الحديث فيه علم من أعلام النبوة ومعجزة من معجزاته -صلى الله عليه وسلم -حيث أخبر بخبر غيبي سيكون آخر الزمان.

---

٥١ - بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ

٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و سلم قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنا وَيُمْسِي كَافِرا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنا وَيُصْبِحُ كَافِرا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة -رضي الله عنه- وأرضاه تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١١٨) وانفرد به.

شرح ألفاظ الحديث:

- (**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنا**): أي سابقوا وسارعوا بأعمالكم الصالحة قبل مجيء الفتن التي تمنعكم منها وتصدكم عنها، والفتن هي الابتلاء والاختبار بالمحن والمنكرات والشدائد التي تحول بين العبد وبين العمل الصالح، وهي قسمين: فتن شبهات وعلاجها العلم، وفتن شهوات وعلاجها الإيمان والصبر.

- (**كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**): هذا تشبيه للفتن بأجزاء الليل المظلمة الشديدة في سوادها وظلمتها، لأن وصف الليل بالمظلم تأكيد لهذه الشدة، وفي هذا كناية عن شدة الفتن وانبهامها وعظم الخوف منها وضعف الوصول للحق فيها وكثرة الوقوع في الباطل والله المستعان، وفي هذا غاية التشبيه كما قال تعالى: { **كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِماً** }.

- (**وَيُمْسِي كَافِرا**): يحتمل كفر النعمة، ويحتمل الكفر الحقيقي.

قال القرطبي مرجحا الكفر الحقيقي:"ولا إحالة ولا بعد في حمل هذا الحديث على ظاهره، لأن المحن والشدائد إذا توالت على القلوب أفسدتها بغلبتها عليها، وبما تؤثر فيها من القسوة و الغفلة التي هي سبب الشقوة".

[المفهم (١/٣٢٦)].

- (**يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**): جملة تعليلية لتحوله إلى الكفر، وعَرَض الدنيا ما يُعرض فيها وكل ما في الدنيا فهو عرض، وسمي بذلك لأنه يعرض ويزول إما أن تزول أنت قبله أو هو يزول قبلك، قال تعالى: { **تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا** }.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: في الحديث الحث على العمل الصالح قبل قدوم ما يحجبها من الفتن، لأن الفتن إذا حلت فإنها تحول بين الإنسان والعمل الصالح، وإن بادر فيها قبل حلولها وأقبل على الله كان العمل الصالح حماية له منها.

قال النووي:"معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة، المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف- صلى الله عليه وسلم -نوعا من شدائد تلك الفتن، وهو أن يمسي مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه، وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب". [انظر شرح النووي لمسلم حديث (١١٨)].

وذكر الصباح والمساء في الحديث ليس مقصودا لذاته بل هما كناية عن سرعة التحول فقد يكون التحول بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصبح والظهر أو بين الظهر والعصر فالعبرة بالتحول وهذا يحدث بأقصر من هذه المدة، والزمان يحكي نماذج من ذلك والله المستعان، فليحذر العبد وليتحصن قبل حلول الفتنة قال تعالى:{ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ** } وقال:{ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** }.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن الأعمال الصالحة سبب للنجاة من الفتن، ويشهد لذلك أيضا حديث أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم -قالت:"استيقظ رسول الله- صلى الله عليه وسلم -ليلة فزعا يقول: **سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات، يريد أزواجه، لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**" رواه البخاري، فأرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد أن أوحي إليه بما سيكون من الفتن بعده إلى الصلاة، فالعبادة حجاب للعبد من الفتن، وفي حديث الباب إشارة إلى أن من قلَّ عمله كانت الفتنة إليه أسرع، وأن من كثر عمله ينبغي ألايغتر بما عنده بل يستزيد فخطاب النبي -صلى الله عليه وسلم -للأمة عامة المجتهد والمقصر.

الفائدة الثالثة: في الحديث ذم الحياة الدنيا الفانية بما فيه من عرض (مال أو منصب أو جاه أو شهرة ونحوها)، والحذر من تقديمها على الآخرة الباقية، بل والحرص على الدين والاحتياط عند التمتع بعرض الدنيا، لأنها تقلب دين العبد وتحول دونه ودون عبادة ربه، ولذا الولوج في الفتن يضعف العمل الصالح.

وللفتن مباحث وضوابط وقواعد سيأتي بيانها في شرح كتاب الفتن بإذن الله تعالى.

---

٥٢ - بَابُ مَخَافَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ

٨٦- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}** إِلَى آخِرِ الآيَةِ. جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ (وفي رواية : خَطِيبَ الأَنْصَارِ) فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَاحْتَبَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَ النَّبِيُّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ أَشْتَكَىٰ؟**» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي. وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى. قَالَ فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». وفي رواية : فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة راوي الحديث:

أنس بن مالك- رضي الله عنه -تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١١٩)، وأخرجه البخاري في "كتاب المناقب" "باب علامات النبوة في الإسلام" حديث (٣٦١٣).

شرح ألفاظ الحديث:

– (**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**): أي إذا نطق ونطقتم فلتكن أصواتكم أقل من الحد الذي وصل إليه صوت النبي -صلى الله عليه وسلم-، بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم.

– (**وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**): أي إذا نطقتم وهو صامت فإياكم أن ترفعوا أصواتكم دون مراعاة لمقام النبوة وجلالة قدرها.

– (**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ**): بحرمانكم من ثوابها.

(**جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ**): هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الخزرجي الأنصاري أحد خطباء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وخطيب الأنصار، شهد أحدا وما بعدها، وبشره النبي- صلى الله عليه وسلم -بالجنة كما في حديث الباب، وقتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر شهيدا سنة ١٢هـ، -رضي الله عنه-.[انظر أسد الغابة (١/٢٧٥)].

بعدما نزلت الآية حبس نفسه في بيته حزينا خائفا أن يكون هو المراد.

– (**وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**): بسبب خوفه أن يكون هو المراد بالآية، فقال ذلك لنفسه أو لمن اتصل به وسأله.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث فيه بيان ماكان عليه الصحابة رضي الله عنهم من شدة الخوف من الله تعالى، والخوف على أعمالهم أن تحبط، وفيه ماهم عليه من معايشة الآيات وتطبيقها على واقعهم ومخاطبة أنفسهم بها، فها هو خطيب الأنصار وخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف على نفسه.

الفائدة الثانية: في الحديث فضل ومنقبة عظيمة لثابت بن قيس حيث شهد له بالجنة، بل جاء في صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بثلاث بشارات فقال:" **يعيش حميدا، ويقتل شهيدا، ويدخل الجنة**" فمات شهيدا رضي الله عنه في معركة اليمامة، واعلم أن معتقد أهل السنة والجماعة أن الشهادة لأحد بالجنة على نوعين:

١. **شهادة لمعين بشخصه**، وهذه لا تكون إلا لمن شهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- كثابت بن قيس في حديث الباب والعشرة المبشرون بالجنة وغيرهم.

٢. **شهادة لمعين بوصفه**، كالشهادة للمؤمنين أو للمتقين فهذا لا حرج بالشهادة فيها بالوصف لا بالشخص، فنقول كل مؤمن في الجنة ولا نقول هذا المؤمن في الجنة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفائدة الثالثة: الحديث فيه مسلك تربوي وهو ينبغي للعالم وكبير القوم والمربي والمعلم أن يتفقد أصحابه ويسأل عمن غاب منهم.

وفي الحديث سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ثابت بن قيس، فذهب سعد بن معاذ ليسأل عنه، وفي الحديث إشكال وهو كيف الجمع بين الآية في الباب **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}** التي نزلت في زمن الوفود بسبب الأقرع بن حابس سنة تسع كما جاء في رواية البخاري وبين كون سعد بن معاذ مات قبل ذلك في بني قريظة سنة خمس؟

قيل في الجمع عدة أجوبة:

قيل: "ويمكن الجمع بأن الذي نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت، والذي نزل في قصة الأقرع أول السورة وهو قوله:{ **لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** }" قاله ابن حجر [انظر الفتح "كتاب المناقب" "باب علامات النبوة في الإسلام" حديث (٣٦١٣)].

وهذا القول بعيد لأن رواية البخاري فيها تصريح في أن الذي نزل في قصة الأقرع {**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ** }.

وقيل: إن ذكر سعد بن معاذ في حديث الباب وهم من الراوي والصحيح أنه سعد بن عبادة يدل على ذلك رواية ابن المنذر في تفسيره عن قتادة عن أنس وفيها:"فقال سعد بن عبادة يا رسول الله هو جاري".

قال ابن حجر:"وهذا أشبه بالصواب لأن سعد بن عبادة من قبيلة ثابت بن قيس فهو أشبه أن يكون جاره من سعد بن معاذ لأنه من قبيلة أخرى".[انظر الفتح المرجع السابق].

وقيل: بتكرار نزول الآية فتكون نزلت قبل موت سعد بن معاذ مرة وبعده مرة أخرى والله أعلم.

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على وجوب تعظيم النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدم رفع الصوت فوق صوته، وإذا كان عقوبة ذلك إحباط، فكيف بمن يرفع عقله وفكره على ماجاء به النبي -صلى الله عليه وسلم -وذلك بتسفيه ما جاءت به السنة والقدح في ذلك بكتابات مقيتة أو أقوال مؤسفة عبر الإعلام وغيره فلا شك أن هذا أشد قبحا في ميزان الشرع المطهر.

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على إيمان الصحابة بما يخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأمور الغيبية لقول الراوي:" فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ".

٥٣ - بَابُ هَلْ يُؤَاخَذُ بِأَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟

٨٧- عَنْ عَبْدِ اللّهِ ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «**أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا. وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة راوي الحديث:

عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٢٠)، وأخرجه البخاري في "كتاب استتابة المرتدين" "باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة" حديث (٦٩٢١)، وأخرجه ابن ماجة في "كتاب الزهد" "باب ذكر الذنوب" حديث (٤٢٤٢).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟**): أي هل نحاسب ونعاقب على فعل السيئات في الجاهلية؟
- (**مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الإِسْلاَمِ**): أي بدخوله فيه ظاهرا وباطنا بالإخلاص فيه.
- (**فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا**): أي فلا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية لأن الإسلام يهدم ما كان قبله.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على أن من أحسن بدخوله في الإسلام ظاهرا وباطنا فإن إسلامه يهدم ما قبله من آثام الجاهلية، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-:" **مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا** " وهذا هو الموافق للنصوص الدالة على هذا المعنى كقوله تعالى: {**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**} وقوله -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث القادم:" **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**".

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن من أساء بدخوله في الإسلام فإن إساءته سبب في مؤاخذته بآثام الجاهلية والإسلام لقوله:" **وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ** ".

ولا يصح أبدا حمل الإساءة هنا على مجرد المعاصي لأن المتقرر في النصوص الكثيرة ومنها ما سبق أن من صحَّ إسلامه غفر له ما كان في جاهليته سواء كان مطيعا أو عاصيا بعد إسلامه مادام أنه على حقيقة الإسلام، وهذا ما أجمعت عليه أمة الإسلام، ولذا اختلف أهل العلم في المقصود بالإساءة في حديث الباب، وأظهر الأقوال والله أعلم ما اختاره جمع من المحققين أن المقصود المنافق، فهو الذي أساء بدخوله في الإسلام لأنه دخل فيه ظاهرا دون باطنه فإسلامه الظاهري لا يكفيه لأن يكون في عداد الأمة فهو مؤاخذ بآثام جاهليته؛ لأن إسلامه ليس حقيقا بحيث يهدمها وهو مؤاخذ بما عمل من إظهار صورة الإسلام على غير الحقيقة: لأنه لا زال كافرا.

قال النووي:"والمراد بالإساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه، بل يكون منقادا في الظاهر مظهرا للشهادتين، غير معتقد للإسلام بقلبه، فهذا منافق باق على كفره بإجماع المسلمين، فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام، وبما عمل بعد إظهارها، لأنه مستمر على كفره".[المنهاج في شرح مسلم حديث (١٢٠)].

وقال القرطبي:"والإساءة المذكورة في هذا الحديث في مقابلة هذا الإحسان هي الكفر والنفاق، ولايصح أن يراد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالإساءة هنا ارتكاب سيئة ومعصية، لأنه يلزم عليه ألا يهدم الإسلام ما قبله من الآثام، إلا لمن عُصم من جميع السيئات إلى الموت، وهو باطل قطعا، فتعيَّن ما قلناه".[المفهم (٣٢٧/١)].

الفائدة الثالثة: في الحديث التحذير من خبث الباطن، لأن الإحسان في الإسلام إحسان الظاهر والباطن وتوافقهما.

الفائدة الرابعة: الحديث فيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ووجهه أنهم مؤاخذون بما فعلوا في جاهليتهم إن لم يدخلوا في الإسلام ويحسنوا ذلك.

٥٤ - بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ

٨٨- عَنِ ابْنِ شُمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ . وهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ .. فَبَكَىٰ طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ. فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ! أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللّهِ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللّهِ بِكَذَا؟ قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّهُ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ اللّهِ. إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ. لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضا لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم مِنِّي. وَلاَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ. فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَلَمَّا جَعَلَ الله الإِسْلاَمَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه و سلم فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**» قَالَ قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**»؟ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ. وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالاً لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ. وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ وَلِينَا أشياء مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ، فَلاَ تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنّا.ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِيْ قَدْرَ مَا تُنْحَرَ جَزُورٌ ، وَيُقْسَمَ لَحْمُهَا ، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُم ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعَ بِهِ رُسُلَ رَبِّي . **رواه مسلم** .

ترجمة راوي الحديث:

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو محمد، أسلم عام خيبر، وقيل أسلم عند النجاشي وهاجر إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-، وقيل كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أميرا على سرية إلى ذات السلاسل إلى أخوال أبيه العاصي بن وائل، واستعمله رسول الله -صلى الله عليه وسلم -على عُمان، فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، كان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم، فهو داهية العرب رأيا وعقلا ولسانا وكان عمربن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخطاب إذا كلم رجلا فلم يفهم كلامه قال: سبحان من خلقك وخلق عمرو بن العاص، ولي مصر عشر سنين وثلاثة أشهر، وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر فصلى عليه ابنه عبد الله، ودفن بالمقطم، ثم صلَّى العيد سنة ٤٣ هـ -رضي الله عنه -وعن أبيه وأرضاهما.[انظر أسد الغابة (٤/٢٤٤، ٢٤٨)، وفتح المنعم(١/٣٩٦)].

وأما ابن شماسة فهو عبد الرحمن بن شماسة بن ذُؤيب، أبو عمرو الأنصاري تابعي ثقة.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٢١)، وانفرد به

شرح ألفاظ الحديث:

- (**وهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ**): بكسر السين أي في حال حضور الموت.
- (**فَبَكَىٰ طَوِيلاً**): أي خوفا من الله تعالى.
- (**فَجَعَلَ ابْنُهُ**): هو عبد الله بن عمرو الصحابي الجليل وتقدمت ترجمته في الحديث الثالث والعشرين من كتاب الإيمان.
- (**إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّهُ**): أي أفضل عمل نتخذه عدة للقاء الله الشهادتان وما تتضمناه من إيمان بالله وحده وتصديق لرسوله- صلى الله عليه وسلم -والنطق بهما، ومعلوم أن أفضل الأعمال الإيمان بالله كما تقدم من قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
- (**كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ**): الطبق: الحال ومنه قوله تعالى:{**لتركبن طبقا عن طبق**} أي حالا بعد حال، والمعنى كانت حياتي على أحوال ثلاث.
- (**أَنْ يُغْفَرَ لِي**): أي أشترط مغفرة ذنوبي السابقة إن أسلمت.
- (**الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**): الهدم هو إسقاط البناء وإزالته، والمراد أن الإسلام يسقط المؤاخذة على الذنوب السابقة.
- (**ثُمَّ وَلِينَا أشياء**): بفتح الواو وكسر اللام مع تخفيفها، ويقصد بذلك توليته على مصر وما بعدها من أمور السياسة وماله الخاص الكثير الذي مات عنه.
- (**فَلاَ تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ**): في الجاهلية وعند العرب كانت النساء يتبعن الجنائز فينحن أي يبكين ويحملون النار والمشاعل مع الجنازة، فنهى عمرو عن ذلك احتياطا من أن تفعل امرأة ذلك.
- (**فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنّا**): أي صبوا التراب علي بسهولة صبّاً.
- (**قَدْرَ مَا تُنْحَرَ جَزُورٌ**): الجزور البعير، أي أقيموا بمقدار الوقت الذي يأخذه نحر جزور وقسم لحمها.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على استحباب تنبيه المحتضر على جانب إحسان الظن بالله، وذكر ما يقوي جانب الرجاء فيه وذلك بتذكيره بسعة رحمة الله وتذكيره بصالح عمله كما فعل ابن عمرو مع أبيه، وهو فعل السلف من الصحابة والتابعين ولذا اختار العلماء تغليب جانب الرجاء عند الموت، وفي صحيح مسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:" **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**".

الفائدة الثانية: الحديث فيه بيان ما كان عليه الصحابة من خشية وخوف.

الفائدة الثالثة: الحديث فيه فضل الشهادتين، وإنها أعظم الأعمال تدخر ليوم القيامة ولذا جاء في فضلها أحاديث كثيرة لاسيما في مقام الاحتضار، ومن ذلك حديث معاذ بن جبل قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" **من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**" رواه أبو داود، وعن أبي سعيد أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال:" **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**" رواه مسلم.

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على فضل الإسلام وعظمته فإنه يهدم ما قبله من آثام الجاهلية، وهو الموافق لقوله تعالى:{ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** } والحديث السابق وفيه:" **مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا** " أي بما عمل في الجاهلية، والنصوص في معنى هذا كثيرة.

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على فضل الهجرة والحج وأنهما يهدمان ما قبلهما أيضا، والصواب أنهما يهدمان الصغائر والكبائر وإلا لم يكن لذكرهما فائدة فهدم الصغائر ليس مقصورا عليهما، وقرنهما بالإسلام دليل على أن الهدم معناه واحد في الجميع، وسيأتي بيان تكفير الحج المبرور حتى للكبائر في كتاب الحج تحت حديث " **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**" متفق عليه.

الفائدة السادسة: يؤخذ من تقسيم عمرو بن العاص -رضي الله عنه- لحياته إلى أحوال ثلاث بيان ما في جوف العبد للنبي- صلى الله عليه وسلم -تبعا للحياة التي هو فيها.

ففي **المرحلة الأولى** حياة الكفر بيان ما في جوف الكافر من البغض لرسول الله- صلى الله عليه وسلم -وكراهيته وتمني قتله.

وفي **المرحلة الثانية**: حياة الإسلام على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بيان ما في أجواف صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من التوقير والحب والإجلال والإكرام لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قال ذلك لما كتب الله له الهداية وأسلم وفي هذا دلالة على أن الهداية بيد الله تعالى.

الفائدة السابعة: الحديث دليل على شدة محاسبة الصحابة -رضي الله عنهم- لأنفسهم لقوله:"ثُمَّ وَلِينَا أشياء مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا " وهي **المرحلة الثالثة** من حياته بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الفائدة الثامنة: الحديث دليل على استحباب الوصية والتنبيه على المخالفات الشرعية التي يتوقع حصولها كالنياحة ومصاحبة النار للجنازة، وهكذا المؤمن في وصيته يضمنها ما يتوقع حصوله من بدع وشركيات ومناهٍ، وفي هذا حرص على إنكار المنكر إلى آخر الحياة كما فعل عمرو -رضي الله عنه- وأرضاه.

الفائدة التاسعة: استدل بحديث الباب من قال باستحباب البقاء عند قبر الميت والدعاء له بقدر وقت نحر الجزور وقسمة لحمها وهو قول الشافعي، وزاد بعضهم قراءة القرآن، والقول الثاني وهو الأظهر والله أعلم أنه ليس بسنة وإنما هو اجتهاد من عمرو بن العاص- رضي الله عنه- يعارضه فعل النبي -صلى الله عليه وسلم -كما في حديث عثمان بن عفان قال:"كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال:"

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل"" رواه أبو داود.

قال شيخنا ابن عثيمين:"فالذي يظهر أن هذا من اجتهاد عمرو- رضي الله عنه-، واتباع السنة أولى، وهو أن نفعل ما أمرنا به رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: نقف على القبر ونقول: اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، ندعو ثلاثا، لأن الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وسلم -كان إذا دعا دعا ثلاثا".[انظر التعليق على صحيح مسلم (٣٩٣/١)].

الفائدة العاشرة: الحيث دليل على إثبات فتنة القبر وسؤال الملكين وأن الميت يحيا في القبر لقوله:" وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعَ بِهِ رُسُلَ رَبِّي ".

٨٩- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَاسا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا. وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا. ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدا . فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ. وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ: **{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاما}** وَنَزَلَ: **{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ}**

ترجمة راوي الحديث:

ابن عباس -رضي الله عنهما -تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٢١)، وأخرجه البخاري في "كتاب التفسير" "باب **{قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله}**" حديث (٤٨١٠)، وأخرجه أبو داود في "كتاب الفتن والملاحم" "باب في تعظيم قتل المؤمن"حديث (٤٢٧٤)، وأخرجه النسائي في "كتاب التحريم" "باب تعظيم الدم" حديث (٤٠١٥).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا**): المفعول هنا محذوف والتقدير: قتلوا أنفسا فأكثروا القتل.
- (**إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ**): مفعول "تقول" محذوف والتقدير: إن الذي تقوله وتدعو الناس إليه لحسن، والمقصود الدعوة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى.
- (**يَلْقَ أَثَاما**): أي عقوبة، وقيل: نكالا، وقيل: جزاء إثمه، وقيل: واد في جهنم، وقيل: بئر فيها.
- (**أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**): أكثروا على أنفسهم الذنوب وأنواع العصيان.
- (**لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**): القنوط هو أشد اليأس، ولا يقنط من رحمة الله إلا الضال، لا يدرك رحمة الله.

فوائد الحديث:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفائدة الأولى: الحديث دليل على فضل الإسلام وعظمته وأنه يهدم ما قبله من الذنوب، وسعة رحمة الله تعالى وأنه يغفر الذنوب جميعا بما في ذلك الشرك إن صدقت التوبة.

الفائدة الثانية: تحريم الشرك وأنه أعظم الذنوب، وتحريم قتل النفس بغير حق وتحريم الزنا ووعيد من يقترف هذه الذنوب.

الفائدة الثالثة: الحديث فيه بيان سبب نزول قوله تعالى:{ **وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاما** }، وقيل في سبب النزول غير ذلك، **والصواب** أن حديث الباب هو سبب النزول ويؤيده أن السورة مكية عند جمهور العلماء، والشرك كان واسعا ذلك الوقت وهذا موافق لحديث الباب.[انظر المحرر في أسباب نزول القرآن للدكتور خالد المزيني (٧٦٣/٢)].

الفائدة الرابعة: الحديث فيه بيان سبب نزول قوله تعالى:{**قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ** } الآية، وقيل في سبب نزولها غير ذلك لكن المعتمد فيها أحاديث ضعيفة ومجهولة كما ذكر ابن عاشور، **فالصواب** أن حديث الباب هو سبب النزول والله أعلم.[انظر المرجع السابق (٨٤٦/٢)].

الفائدة الخامسة: في الحديث بيان تحريم القنوط واليأس من رحمة الله.

---

٥٥ - بَابُ بَيَانِ حُكْمِ عَمَلِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بَعْدَهُ

٩٠- عن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيْ رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ أُمُورا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ. أَفِيهَا أَجْرٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**».

وفي رواية : عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِائة رَقَبَةٍ. وَحَمَلَ عَلَى مِائَة بَعِيرٍ. ثُمَّ أَعْتَقَ فِي الإِسْلاَمِ مِائَةَ رَقَبَةٍ. وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ.

وفي رواية لمسلم : قال حكيم : قُلْتُ: فَوَاللهِ! لاَ أَدَعُ شَيْئا صَنَعْتُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ فَعَلْتُ فِي الإِسْلاَمِ مِثْلَهُ.

ترجمة راوي الحديث:

هو حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي -رضى الله عنه-، ابن أخي خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها -زوج النبي -صلى الله عليه و سلم- ، وابن عم الزبير بن العوام، ولد حكيم في جوف الكعبة قبل الفيل بثلاثة عشر سنة على خلاف، وذلك أن أمه دخلت الكعبة في نسوة من قريش وهي حامل، فأخذها الطلق، فولدت حكيماً بها.

كان من أشراف قريش ووجوهها، وكان من العلماء بأنساب قريش وأخبارها، وكان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي -صلى الله عليه و سلم- يوم حنين مائة بعير، فحسن إسلامه وكان أسلم عام الفتح، وعاش مائة وعشرين سنة،وأكثر الأقوال أنها ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، ولم يصنع شيئاً من المعروف في الجاهلية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلا وصنع في الإسلام مثله، كما سيأتي في حديث الباب، شهد حكيم بدراً مع الكفار ونجا منهزماً، وكان إذا اجتهد في اليمين قال:" والذي نجاني يوم بدر"

كان حكيم جواداً حجَّ في الإسلام ومعه مائة بدنة أهداها، ومائة عبد أعتقهم، وأهدى ألف شاة، عمي قبل موته، وتوفي سنة ٥٤ هـ، -رضي الله عنه وأرضاه-. [انظر أسد الغابة (٢/٤٥)، والإصابة (٢ / ٩٧)]

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٢٣)، وأخرجه البخاري في " كتاب الزكاة" " باب من تصدق في الشرك ثم أسلم" حديث (١٤٣٦).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**أَتَحَنَّثُ**): قال أهل اللغة : أصل التحنث أن يفعل فعلاً يخرج به من الحنث وهو الإثم. والتحنث هو التعبد، والتبرر أي فعل البر. [انظر شرح مسلم للنووي ٢/ ٣٢٠]

- (**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**): أي على ما قدمت من خير.

- (**وَحَمَلَ عَلَى مِائَة بَعِيرٍ**): أي تصدق بها.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على من أسلم وقد كان في الكفر يعمل أعمالاً صالحة، وهذه الفضيلة اختلف العلماء في المراد بها، وهي قول النبي -صلى الله عليه و سلم- " **أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ** " هل يثاب الكافر إذا أسلم وحسن إسلامه على ما فعله من خير في حال كفره؟

القول الأول: أن الكافر إذا أسلم لا يثاب على مافعل من خير في حال كفره، **وعللوا ذلك**: بأن الكافر لا يصح منه التقرب، لأن من شرط المتقرب أن يكون عارفاً بالمتقرب إليه، وهذا الكافر حين فعله للخير لم يحصل له العلم بالله بعد، وعليه فلا يثاب.

وأصحاب هذا القول بعد التقرير السابق ذهبوا إلى تأويل حديث الباب عن ظاهره إلى عدة تأويلات:-

فقيل: معنى " **أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ** " أي اكتسبت طباعاً جميلة وأنت تنتفع بتلك الطباع في الإسلام فتكون معينة لك على فعل الخير.

وقيل: معناه أنك اكتسبت بذلك ثناءً جميلاً فهو باق عليك في الإسلام.

وقيل: معناه أنها تزداد حسناتك التي تفعلها بعد الإسلام.

وقيل: معناه أن الله هداك للإسلام ببركة ما سبق من الخير. [انظر شرح النووي (٢/ ٣٢١)ن والفتح (٣/ ٣٨١)، والمفهم (١/ ٣٣٢)]

والقول الثاني: أن الكافر إذا أسلم يثاب على ما فعل من خير في حال كفره.

واستدلوا: بحديث الباب حيث قال النبي -صلى الله عليه و سلم- لحكيم -رضى الله عنه- حينما سأله عن أجر ما فعل حال الكفر من الخير " **أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ** " أي أسلمت على قبول ما سلف لك من خير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأجابوا عن تعليل أصحاب القول الأول: بأن الكافر لا يصح منه الخير ولا يُعتد به في أحكام الدنيا، أما ثواب الآخرة فيما لو حسن إسلامه بعد ذلك فليس لأحد أن يمنع فضل الله تعالى، ورحمته التي وسعت كل شئ، **وهذا القول هو الأظهر والله أعلم وهو الأوفق لسعة فضل الله ورحمته.**

واختار هذا القول شيخنا ابن عثيمين رحمه الله حيث قال:" الحمد لله هذه نعمة، والإسلام كله بركة، فإذا أسلم الكافر فأعماله السيئة يمحوها الإسلام، كما قال الله عزوجل:﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ (الأنفال :٣٨) ، وأعماله الصالحة المتعدية من صدقة أو عتق أو صلة رحم تكتب له ولا تضيع، لقوله - صلى الله عليه وسلم - :" **أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سْلَفْ مِنْ خَيْرٍ** " في لفظ: " **عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ** " وهذا مقتضى قوله تعالى:" إن رحمتي سبقت غضبي"...وكذلك المرتد إذا رجع إلى الإسلام، فإنه يرجع إليه عمله الصالح لقوله تعالى:﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة: ٢١٧) فاشترط لحبوط الأعمال الموت على الكفر فإذا رجع إلى الإسلام رجعت إليه أعماله الصالحة". [شرح صحيح البخاري لشيخنا ابن العثيمين (٥/ ٣٤- ٣٥)]

وبنحو هذا ذكر شيخنا في تعليقه على مسلم وزاد:" فإن قيل: هل الحسنات التي عملها الكافر في الجاهلية تبقى بمجرد إسلامه، أم يشترط أن يستمر في هذه الحسنات بعد إسلامه ؟

فالجواب: ليس بشرط. أما التزام حكيم -رضي الله عنه- فهذا من عند نفسه... وهنا نسأل: إذا كان الكافر قد عمل حسنات في الجاهليته لايقصد بها وجه الله، فهل تكتب له؟

فالجواب: تكتب؛ لأن الرسول -صلى الله عليه و سلم- قال: " أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ" والخير الذي يفعله نفعه متعدٍّ.

وهل يقال هذا الجواب في حق من كان يجمع أموالاً بطرق غير مشروعة؛ كالتمثيل، والغناء، وغيره ثم تاب عن هذا؟

فالجواب : إن كان لا يعلم بأنه حرام، فقد قال الله تعالى:﴿ **فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾ (البقرة:٢٧٥) وعليه فالأموال لهم أما إذا كان يعلم؛ فالواجب عليه أن يتصدق بها تخلصاً منها" [التعليق على صحيح مسلم ١/٤٠٠]

وبناءً على ما سبق نقول أن للكافر مع أعمال الخير ثلاث أحوال:-

الأولى: أعمال الخير في حال كفره لاتقبل فهي مردودة، قال تعالى:﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ (التوبة :٥٤)

الثانية: أعمال الخير بعد موته على الكفر لن تقيه من عذاب الله، بل حبطت أعماله، ويخلد في النار قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ (النور:٣٩)، وقال تعالى:﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٢١٧)

الثالثة: أعمال الخير إذا أسلم وحسن إسلامه سيكتب له ماعمله من خير قبل الإسلام فضلاً من الله ، وهذا القول هو الراجح كما تقدم.

الفائدة الثانية: الحديث فيه نموذج من نماذج حرص الصحابة -رضوان الله عليه- على الخير، وهذا يتضح من قبل حكيم بن حزام -رضى الله عنه- وقوله، فمن حرصه -رضى الله عنه- أنه أراد إدراك الخير السابق واللاحق فهو سأل عن أعمال برّ سابقة هل فيها أجر؟ وهو بعد الإسلام لم يترك شيئاً من الخير صنعه في الجاهلية إلا صنع في الإسلام مثله، ومن ذلك أنه أعتق مائة رقبة وتصدق بمائة بعير، وهذا لايستطيعه إلا أصحاب الهمم العالية التي عاينت بقلبها سباق الآخرة والمنازل الفاضلة فلم تهنأ أن يفتها شيء من الخير، ولم تهدأ عن مسابقة السائرين.

---

٥٦ - بَابُ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَإِخْلَاصِهِ

٩١- عَنْ عَبْدِ اللّهِ بن مسعود ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}** شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالُوا: أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ. إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِإِبْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحديث عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه-، تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٢٤)، وأخرجه البخاري في " كتاب الإيمان " " باب ظلم دون ظلم " حديث (٣٢)، وأخرجه الترمذي في : كتاب التفسير " " باب ومن سورة الأنعام " حديث (٣٠٦٧)

شرح ألفاظ الحديث:

- (**وَلَمْ يَلْبِسُوا**): أي لم يخلطوا.

- (**بِظُلْمٍ**): الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير محله، وفي الشرع: وضع الأمور الشرعية في غير محلها، وعلى هذا كل ما خالف الشرع فهو ظلم، وتتفاوت مراتبه بدءاً بالمعصية الصغيرة وانتهاءً بالشرك. ولقد فهم الصحابة -رضى الله عنهم- أن التنوين في (**بِظُلْمٍ**) للتنكير، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، فيدخل فيه المعاصي عموماً فشق ذلك عليهم وقالوا: " أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟" حتى أخبرهم النبي -صلى الله عليه و سلم- بأن المراد هو الشرك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِإِبْنِهِ**): اختلف في نبوة لقمان، وجمهور العلماء على أنه كان حكيماً وليس نبياً، إلا عكرمة فإنه قال :" كان نبياً وتفرد بهذا القول وأما ابن لقمان الذي قال له: **{لا تشرك بالله}** فقيل اسمه أنعم، ويقال: مشكم، والله أعلم" [انظر شرح النووي لصحيح مسلم (٢ / ٣٢٤)]

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على فضل التوحيد، وعظم جرم الشرك وأنه موجب لحرمان الأمن والهداية وسبب للخوف والقلق قال الله تعالى:﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ (الأنعام :٨٢)

وأما أهل التوحيد فهم أهل الأمن في الآخرة والهداية في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير رحمه الله:" هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لاشريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة" [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٤)]

فإن قيل: كيف الجمع بين كون الموحد (لكنه اقترف المعاصي صغيرها أو كبيرها) يحصل له الأمن يوم القيامة لتوحيده، وبين كون العاصي قد يعذب يوم القيامة؟

فالجواب: أن الأمن يوم القيامة على نوعين:-

١. **الأمن التام**: وهذا لمن كان إيمانه كاملاً ولم يلبسه بشرك ولا بمعصية، فهو مستحق للأمن التام والهداية التامة.

٢. **أصل الأمن**: وهذا لمن جاء بالتوحيد لكن في عمله من الذنوب والمعاصي مما يوجب نقص الإيمان، فله أصل الأمن وأصل الهداية دون تمامها.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- :" فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لابشرك، ولا بمعاصي حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة.

وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالهما" [تفسير السعدي ص (٢٢٤)]

وحاصل الأمر أنه كلما كان توحيد العبد وإيمانه وبعده عن المعاصي أتم كلما عظم أمنه وهدايته.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن الظلم مراتب وأن أعظمه الشرك بالله، وهذا يتضح من فهم الصحابة-رضوان الله عليهم- بأن المعاصي تسمى ظلماً فقالوا :" أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟" وبيان النبي -صلى الله عليه و سلم- أن الظلم المقصود هنا هو الشرك بالله.

فإن قيل: إنه عُرف في القواعد الفقهية الأصولية أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم وهي كذلك في الآية ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ فتعم كل ظلم وهكذا فهم الصحابة -رضى الله عنهم-، والنبي -صلى الله عليه و سلم- ردَّ هذا العموم؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالجواب: أنه من رد النبي -صلى الله عليه و سلم- نأخذ حكماً أصولياً وهو جواز إطلاق العام والمراد به الخصوص، ولذا في أصول الفقه ما يعرف بالعام الذي يراد به الخاص.

قال القرطبي - رحمه الله - :" وفي الآية دليل على جواز إطلاق اللفظ العام والمراد به الخصوص" [المفهم ١ / ٣٣٥]

وفي الحديث بيان لمراتب الظلم وتفاوتها، والظلم أنواع:

١. الشرك بالله، وهو أعظم الظلم، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان :١٣)

٢. ظلم العبد نفسه بالمعاصي،قال الله تعالى:**﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾** (فاطر:٣٢)

٣. ظلم العبد لغيره، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (الشورى:٤٢)

وقد يطلق الظلم ولا يراد به المعصية، قال تعالى:﴿**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (الأعراف:١٦٠)

- (**وَمَا ظَلَمُونَا**) أي ما نقصونا بكفرهم شيئاً.

وللظلم مباحث وأحكام ستأتي في مظانها بإذن الله تعالى.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على شدة خوف الصحابة -رضوان الله عليهم-، وذلك لمشقة ما فهموه من الآية، والحديث دليل على عدم عصمة الصحابة من الذنوب حيث قالوا:" أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ "

الفائدة الرابعة: الحديث فيه لطائف مهمة لطالب العلم:

منها: أهمية الرجوع لأهل العلم الراسخين عند الاشتباه، وهذا ما فعله الصحابة-رضي الله عنهم- حين رجعوا للنبي -صلى الله عليه و سلم- فيما شق عليهم وفهموه ثم بيَّن لهم النبي -صلى الله عليه و سلم- غير ما فهموه.

ومنها: أهمية جمع النصوص بعضها لبعض ليتضح المراد، فالصحابة فهموا الظلم على أنه المعاصي والنبي -صلى الله عليه و سلم- جاء لهم من النصوص ما يدل على أن الظلم يطلق على الشرك أيضاً.

ومنها: أهمية الإستدلال والإستشهاد بالنصوص حتى وإن كان لطالب العلم ثقله عند المجتمع ووثوق الناس به إلا إن الإستدلال يزيد في الاطمئنان عند المخاطب لاسيما عند تعجبه أو استنكاره، فالنبي -صلى الله عليه و سلم- لو قال للصحابة -رضي الله عنهم- أن المراد بالظلم الشرك لكفى، لكنه -صلى الله عليه وسلم- استدل بقول لقمان لابنه **﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾**

قال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله-:" ينبغي للإنسان وإن كان موثوقاً عند الناس أن يذكر مستنده؛ لأن ذلك أبلغ في طمأنينة المخاطب"[تعليق شيخنا على مسلم (١/ ٤٠١)]

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على نوع من أنواع التفسير وهو أشرفها وأهمها وهو تفسير القرآن بالقرآن، وهذا ظاهر من تفسير االنبي -صلى الله عليه و سلم- للآية التي شقت على الصحابة -رضى الله عنهم- بآية أخرى.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥٧ - بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ}

٩٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: {**لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} قَالَ فَاشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ فَأَتَوْا رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ. فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللّهِ! كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ. الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ. وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةُ. وَلاَ نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ. فَأَنْزَلَ الله فِي إِثْرِهَا: {**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**} فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا الله تَعَالَى، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: {**لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**} (قَالَ: نَعَمْ) {**رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا**} (قَالَ: نَعَمْ) {**رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ**} (قَالَ: نَعَمْ) {**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**} (قَالَ: نَعَمْ)

وفي رواية : (قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ) رواه مسلم .

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحديث أبو هريرة -رضى الله عنه-، تقدمت ترجمته في الحديث الأول من " كتاب الإيمان".

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٢٥)، وتفرد به عن البخاري، وأخرج الترمذي بنحوه في " كتاب التفسير" " باب ومن سورة البقرة" حديث (٢٩٩٢)

شرح ألفاظ الحديث:

- (**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله**): وهي عامة لكل ما يقع في نفس الإنسان من الخواطر مما يطيق دفعه وما لا يطيق فشق على الصحابة-رضى الله عنهم- أن يحاسبوا على الخواطر التي لا يمكن دفعها.

- (**فَاشْتَدَّ ذٰلِكَ**): أي اشتد عليهم ما تضمنته الآية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ**): جلسة توحي بالخضوع والاستسلام والضراعة.
- (**كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ**): أي حُملنا ما نطيقه من الأعمال وهي الصلاة والصيام والجهاد والصدقة.
- (**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ**): الإستفهام هنا إنكاري توبيخي أي لا ينبغي لكم أن تقولوا كما قالوا، وأهل الكتاب هم أهل التوراة والإنجيل.
- (**غُفْرَانَكَ رَبَّنَا**): أي مغفرتك ربنا نطلب
- (فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ): أي قرأوها وتلوها
- (**ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ**): أي لانت
- (**رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرا**): أي ثقلاً ، أو أمراً صعباً، (كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) المراد بهم بنو إسرائيل وقد حُرمت عليهم الطيبات بظلمهم.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على عدم المؤاخذة بالخواطر في قول الله تعالى:﴿ **وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ** ﴾ لقول الصحابة -رضى الله عنهم- ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ وهذا تخفيف من الله تعالى للصحابة -رضى الله عنهم- حين سلَّموا لأمر الله تعالى وقالوا ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾، واختلف هل في الآية نسخ أو تخصيص؟

ومعلوم أن النسخ لا يُعرف إلا بالنص عليه أو معرفة تاريخ المتقدم من المتأخر في النصوص، وكلا الطريقتين اجتمعتا في هذه الآية، فالنسخ أخبر به الصحابة، وكذلك أخبر أن الآية الثانية نزلت بعد الأولى. والقول بالنسخ هو قول أكثر المفسرين من الصحابة -رضى الله عنهم- ومن بعدهم، **والقول الثاني**: قالوا بأن المراد بالنسخ التخصيص، وقالوا يمكن الجمع بين الآيتين وأن المراد بقول الصحابة " نَسَخَهَا الله " أي التخصيص ليكون المعنى أن الله تعالى يؤاخذ بخواطر النفس إلا التي لا يسع النفوس دفعها فلا يكلفهم الله تعالى بها.

قال النووي رحمه الله:" وقد اختلف الناس في هذه الآية، فأكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم على ما تقدم فيها من النسخ، وأنكره بعض المتأخرين" [شرح النووي لمسلم ٢ / ٣٢٨]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على وجوب التسليم لأمر الله تعالى، والحذر من الاعتراض على أمره وأن هذا فيه مشابهة لأهل الكتاب، فقد أرشد النبي -صلى الله عليه و سلم- الصحابة -رضى الله عنهم- إلى التسليم لأمر الله تعالى حين أخبروه بأنهم لا يطيقون ما جاء في الآية.

الفائدة الثالثة: فضل الصحابة -رضى الله عنه- وإذعانهم و تسليمهم لأمر الله وامتثالهم لأمر رسوله -صلى الله عليه و سلم- حين أمرهم بالتسليم، فكان من بركة إذعانهم للكتاب والسنة أن جازاهم الله بالتخفيف، وأثنى عليهم بقولهم ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على فضل الأمة في رفع الحرج عنها واستجابة الدعاء في عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ، ورفع الآصار عنها التي كانت على من قبلهم، وعدم تحميلها مالا تطيق بقول : "**قَدْ فَعَلْتُ**" وهذا من فضل الله تعالى وامتنانه على أمة محمد -صلى الله عليه و سلم-.

٥٨ - بَابُ تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ

٩٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**».

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحديث أبو هريرة -رضى الله عنه-، تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم، حديث (١٢٧)، وأخرجه البخاري في " كتاب العتق " " باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، ولا عتاقة إلا لوجه الله " حديث (٢٥٢٨)، وأخرجه أبو داود " كتاب الطلاق " " باب في الوسوسة بالطلاق " حديث (٢٢٠٩)، وأخرجه الترمذي في " كتاب الطلاق " " باب ما جاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امرأته " حديث (١١٨٣)، وأخرجه النسائي في " كتاب الطلاق " " باب من طلق في نفسه " حديث (٣٤٣٤)، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الطلاق " " باب من طلق في نفسه ولم يتكلم به " حديث (٢٠٤٠).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا**):أي لم يؤاخذهم بحديث النفس.

- (**مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**): أي ما لم يكن حديث النفس تعدى موضعه إلى القول (كالغيبة والنميمة والكذب والقذف ونحوها من آفات القول) أو إلى عمل (كالسرقة، أوالزنا، أو القتل، أو شرب الخمر ونحوها من آفات الجوارح).

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على أن حديث النفس لا يؤاخذ به الإنسان مهما عظم ما لم يركن إليه. وهذا من فضل الله الواسع وتخفيفه على عباده.

قال القرطبي رحمه الله:" الذي لا نؤاخذ به هي الأحاديث الطارئة التي لا ثبات لها ولا استقرار في النفس، ولا ركون إليها" [المفهم ١/ ٣٤٠]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله:" هذا الذي قاله النبي –صلى الله عليه و سلم- مفتاح فرج للأمة في كل ما يرد على قلوبها أو على نفسها من الوساوس والشبهات والشطحات ... وهذا الحديث يريح الإنسان، فما دام الله عز وجل لا يؤاخذ بما حدثت به نفسك من هذه الأمور، فلا يهمك، ولا تركن إليها، ولا تعبأ بها، واطردها عن نفسك، ولا تعتقد أن ما جرى من هذه الوساوس يكون عليك فيه إثم، بل لقد قال النبي –صلى الله عليه و سلم- " **ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**" " [انظر شرح شيخنا للبخاري ٦/ ٥٢٤]

وإن من أكثر المسائل التي يكون فيها حديث النفس وتحدث إشكالاً عند الناس، تحديث النفس بالطلاق ولذا أصحاب الكتب الستة ما سوى مسلم أوردوا حديث الباب في " كتاب الطلاق " مما يدل على كثرة ورود حديث النفس في شأن الطلاق، وقال شيخنا ابن عثيمين قبل كلامه السابق :" إذا قال في نفسه إنها طالق فإنها لا تطلق " وهو داخل في هذا الحديث" ماحدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم " فإن قال **قائل: أليست النية عملاً وإرادة وقصد؟؟**

فالجواب: بلى، هي عمل وقصد وإرادة، لكن الطلاق لا يقع بالنية، بل لابد فيه من لفظ، فمن شرطه أن يكون ملفوظاً، وهذا الرجل لم يلفظ به"

الفائدة الثانية: الحديث دليل على المؤاخذة على سيئات الأقوال والأفعال لقوله –صلى الله عليه و سلم-" **مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**"

الفائدة الثالثة: قوله –صلى الله عليه و سلم- " **تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي** " أخذ منه بعض أهل العلم أن التجاوز عن حديث النفس خاص بأمة محمد –صلى الله عليه و سلم- حملاً على ظاهر الحديث، ويؤيده ما جاء في الحديث السابق من عدم مؤاخذة الله تعالى هذه الأمة ما أخذ به على الأمم السابقة في قوله تعالى:﴿ **رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا**﴾ قال الله تعالى:" **قَدْ فَعَلْتُ** "

قال ابن حجر رحمه الله :" إن في الحديث إشارة إلى عظيم قدر الأمة المحمدية لأجل نبيها –صلى الله عليه و سلم- لقوله " تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي " ومنه إشعار باختصاصها بذلك" [الفتح ١١/ ٥٥٢]

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله:" وقوله –صلى الله عليه- " **عن أمتي** " ظاهره أن هذا خاص بهذه الأمة، ولعله من الآصار التي كتبت على من كان قبلنا، قال تعالى : ﴿ **رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا** ﴾، وقال تعالى في وصف النبي –صلى الله عليه و سلم-"﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾(الأعراف:١٥٧) [شرح البخاري ٦/ ٥٢٤- ٥٢٥]

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على أن لفظة (حديث) ليست خاصة بحديث اللسان، وإن كان هذا هو المراد عند الإطلاق من حيث داخل أنه حديث اللسان، إلا أن حديث النفس يسمى حديثاً أيضاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٩ - بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ

٩٤- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ،، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ. ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

وفي حديث أبي هريرة : « **وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً. إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**». وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَىٰ اللهَ**».

ترجمة راويي الحديث:

راوي الحديث ابن عباس- رضي الله عنهما-، وتقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.

والحديث الآخر رواه أبو هريرة -رضى الله عنه- تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- أخرجه مسلم حديث (١٣١)، وأخرجه البخاري في " كتاب الرقاق" " باب من هم بحسنة أو بسيئة " حديث (٦٤٩١).

وأما حديث أبي هريرة -رضى الله عنه-، فأخرجه مسلم حديث (١٢٩)، وأخرجه البخاري بعضاً منه في " كتاب الإيمان " باب حسن إسلام المرء " حديث (٤٢)، وبعضه في " كتاب التوحيد " " باب قوله تعالى﴿**يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ**﴾(الفتح :١٥) حديث (٧٥٠١).

شرح ألفاظ الحديثين:

- (**كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**): أي أن الله تعالى قدَّرها وأثبتها في سابق علمه، ويحتمل أن يكون المراد أن الله تعالى أمر لحفظته بكتابتها في اللوح المحفوظ بدليل الرواية الأخرى قال الله تعالى :" **وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً**".

- (**ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ**): أي فصله ووضحه.

- (**فَمَنْ هَمَّ**): الهم ترجيح قصد الفعل، تقول : هممت بكذا، أي قصدت بما هممت كذا والهم أعلى من خطورة الشيء على القلب.

- (**كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**): (**عِنْدَهُ**) أي عند الله تعالى، والقصد منها الإشارة إلى الشرف ومزيد الاعتناء به، ووصف الحسنة بالكمال لرفع توهم نقصها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- (**كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**): جاء وصف السيئة هنا بـ (**وَاحِدَةً**) للتأكيد أنها لا تضاعف كما تضاعف الحسنة، ولم يأت وصفها (**كَامِلَةً**) كما وصفت الحسنة إشارة إلى تخفيفها مبالغة في الفضل والإحسان.

- (**ولا يهلك على الله إلا هالك**): (**على**) بمعنى (عند) أي لا يهلك بعد هذا الفضل من مضاعفة الحسنات والتخفيف في شأن السيئات إلا من كثرت سيئاته وإجرامه فاستحق الهلاك.

- (**إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**): أي من أجلي، وهكذا جاءت رواية البخاري " **وإن تركها من أجلي** " **و" جَرَّايَ** " بفتح الجيم وتشديد الراء، فيها لغتان القصر (جَرّاي) والمد (جرائي).

فوائد الحديثين:

الفائدة الأولى: حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- فيه بيان ما يقع في النفس من همَّ لمباشرة أعمال الخير والشر ومنزلة ذلك من المؤاخذة وعدمها.

وما يقع في النفس يتدرج في أربع مراتب:-

الأولى: الخاطر والهاجس: وهو أن يخطر الشيء في النفس ثم يذهب سريعاً لا يثبت وإنما يندفع ولا يستقر، وهو من فيه الوسوسة، وهو في السيئات معفو عنه.

الثانية: التردد: وهو فوق الخاطر يكون فيه الإنسان بين هم بالشيء ونفور عنه فلا يستمر على القصد ولا على ترك وإنما بينهما وهو في السيئات معفو عنه.

الثالثة: الهم: وهو ترجيح القصد والميل إلى شئ والرغبة في فعله وعدم النفور عنه، وإنما يريد الفعل لكن لم يصل إلى حد العزم والتصميم، وهو في السيئات معفو عنه أيضاً لحديث الباب.

الرابعة: العزم والتصميم وقوة القصد، وفيه خلاف. [انظر فتح المنعم لموسى شاهين ١/ ٤٢١ -٤٢٢]

هذه المراتب الأربع فيما يتردد في النفس دون الفعل، ويكون الفعل مرتبة خامسة، **ومن أهل العلم من قسم ذلك إلى ثلاث مراتب:**

قال ابن حجر - رحمه الله -:" والحاصل أن المراتب ثلاث: الهم المجرد وهو يثاب عليه ولا يؤاخذ بهن واقتران الفعل بالهم أو العزم ولا نزاع في المؤاخذة بهن والعزم وهو أقوى من الهم وفيه نزاع" [الفتح: ٣١/ ٣٤]

الفائدة الثانية: حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أصل في باب الثواب والمؤاخذة في الحسنات والسيئات وعليه المعّول في التفريق بين الهم بالحسنات والسيئات وفق ما يلي:

❖ القسم الأول :مايكتب من الحسنات

أولاً: فعل الحسنة

والنصوص ظاهرة في أنها تكتب حسنة وتضاعف عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

ومما يدل على ذلك: حديث الباب وفيه :" وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: الهم بالحسنة دون عملها مع القدرة عليها.

تكتب له حسنة كاملة

ومما يدل على ذلك:حديث الباب وفيه:" فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً "

ثالثاً: الهم بالحسنة دون عملها لعجزه عنها

يكتب له الأجر كاملاً وكأنه عملها فيكتب له أجر النية وأجر العمل، لأنه شرع في العمل ولم يبلغه لعجزه.

ومما يدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (النساء :١٠٠)

ووجه الدلالة: أنه أراد فعل طاعة الهجرة ولكنه لم يتمكن من هذه الطاعة لعجزه بموته ومع ذلك أوقع الله أجره كاملاً.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:" ﴿ **فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ أي فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى، وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملاً، ولو لم يكملوا العمل" [تفسير الكريم الرحمن ص (١٦٠)]

أما إذا لم يشرع في العمل مع همه به لأنه عجز عنه فإنه يأخذ أجر النية كاملاً.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله:" فصار الهم المجرد يعطى الإنسان عليه حسنة كاملة، فإن هم ولكنه عجز، ولاسيما بعد أن شرع في العمل فهذا يُعطى الأجر كاملاً، فإذا لم يشرع ولكنه تمنى مع العجز فإنه يعطى أجر النية كاملاً فإذا هم وعمل أعطى الأجر كاملاً، فهذه ثلاث مراتب" [انظر شرح شيخنا للبخاري ٨/ ٣٨٦]

رابعاً: أن يكون معتاداً على فعل الحسنة ولم يعملها لعذر

ومما يدل على ذلك: حديث أبي موسى الأشعري –رضى الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه و سلم–:" إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً" رواه البخاري

قال ابن حجر – رحمه الله– :" هو في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها وكانت نيته لولا المانع أن يداوم عليه " [الفتح ١٣٦/٦]

❖ القسم الثاني: ما يكتب من السيئات:

أولاً: فعل السيئة

تكتب سيئة واحدة

ومما يدل على ذلك: حديث الباب وفيه:" وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً "

ثانياً: الهم بالسيئة دون عملها خوفاً من الله تعالى

تكتب له حسنة كاملة

ومما يدل على ذلك: حديث الباب وفيه:" وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي حديث أبي هريرة –رضى الله عنه–: التقييد بما لو تركها من أجل الله تعالى لقوله" **إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ** "

ثالثاً: الهم بالسيئة دون عملها لعجزه عنها

يكتب له الإثم كاملاً ولا يدخل في حديث الباب لأنه لم يترك السيئة من أجل الله تعالى

ومما يدل على ذلك: حديث أبي بكرة–رضى الله عنه–، قال رسول الله –صلى الله عليه و سلم–:" :" **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**" فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: " **إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**" متفق عليه

ووجه الدلالة: أن النبي –صلى الله عليه و سلم– أثبت للمقتول وزر فاعل السيئة مع أنه لم يعملها، وذلك لأنه هم بها.

وحاول لكنه عجز عنها، ولاشك أن هناك فرق بين عاجزين اثنين :

الأول شرع بالسيئة بعد أن همّ بها، والثاني لم يشرع فيها بعد أن همّ بها وكلاهما عاجز عن إدراك السيئة، فالأول أعظم جرماً في النار لأنه جمع مع همه للمعصية أسباب السعي إليها وهو الذي ينطبق عليه الحديث السابق، بخلاف الثاني، فكما أننا نفرق بين عاجزين عن فعل الحسنة بعد الهم بها وذلك لاختلافهم في الشروع في أسبابها، فكذلك العاجزين عن فعل السيئة بعد الهم بها.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله:" الحال الثالثة: أن يهم بالسيئة ولكنه يدعها عجزاً عنها، ويعرف أنه لا يمكنه ذلك كرجل همّ أن يسرق ولكن عرف أن رجال الأمن لن يمكنوه من ذلك، فهذا تكتب عليه سيئة أما إذا فعل أسباب الوصول إلى السيئة ولكنه عجز، فهذا يكتب له عقوبة السيئة كاملة " ثم استدل بالحديث السابق. [

انظر شرح البخاري ١٠ / ٤٨٥]

رابعاً: الهم بالسيئة دون عملها لاخوفاً من الله تعالى ولا عجزاً عنها.

فهذا لا يكتب عليه وزر ؛لأنه لم يعمل السيئة، ولا يكتب له أجر لأنه لم يترك السيئة من أجل الله تعالى.

ما تقدم هو التقسيم الصحيح للعمل والهم فيما يخص الحسنات والسيئات، وهو الذي دلت عليه الأدلة السابقة وأدلة أخرى، واقتصرت فيما مضى على دليل واحد لكل قسم.

الفائدة الثالثة: حديث أبي هريرة –رضى الله عنه– دليل على أن من سبل مضاعفة الحسنات أن يحسن العبد إسلامه،واختلف هل المراد أن يحسن إسلامه في كل شيء من أمر الإسلام ليحصل على المضاعفة، أو في الحسنة التي يفعلها العبد على قولين أصحهما الثاني، لأن تعليق الإثابة بالإحسان في كل أجزاء الدين من تكليف ما لا يطاق والله أعلم، والأقرب للتكليف وهو الموافق لرحمة الله وفضله وإحسانه أن المضاعفة لمن أحسن في الحسنة التي يفعلها واختاره شيخنا ابن عثيمين رحمه الله حيث قال:" **هل المراد إذا أحسن إسلامه في الحسنة التي يفعلها؟ أوعلى سبيل الإطلاق؟**

إن كان الثاني، فقد هلكنا ولم نحصل على هذا الثواب في الحسنات، وإن كان الأول " **إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ** " بمعنى أن الإسلام يطلق على كل جزء من أجزائه، فالأمر أهون، بل هو نعمة من الله عزوجل،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالظاهر لي هو هذا، أن المراد إذا أحسن أحدكم إسلامه فيما عمل، وإلا من الذي يحسن إسلامه على سبيل الإطلاق؟

لوقلنا لا تكتب الحسنة بعشر أمثالها إلا إذا أحسن إسلامه على سبيل الإطلاق لاختل هذا الثواب في كثير من الناس لأنه ما من إنسان إلا وفي إسلامه نقص وإساءة" [انظر التعليق على مسلم ١/ ٤١٩]

الفائدة الرابعة: الحديثان يدلان على سعة كرم الله تعالى وفضله على عباده حيث جعل المضاعفة والفضل في الحسنة، والعدل في السيئة ولم يضاعفها بل جعلها دائرة بين العدل (**بالسَيِّئَة الوَاحِدَةً**)، والفضل (**بكتابتها حسنة كاملة**) لمن همَّ بها وتركها من أجل الله تعالى.

الفائدة الخامسة: حديث ابن عباس- رضي الله عنهما -دليل على أن المضاعفة (**إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**)ليس خاصاً بالنفقة في سبيل الله كما قيل، وإنما دليل في أعمال البر الأخرى التي أحبطت بما يعظمها من الإخلاص وحضور القلب أو تعدي النفع ونحوها.

الفائدة السادسة: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- دليل على إثبات الكتابة للملائكة وأنهم يكتبون بأمر الله تعالى ففي الحديث " **وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً** ".

٦٠ - بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا

٩٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**». **رواه مسلم** .

وفي حديث عَبْدِ اللّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و سلم عَنِ الْوَسْوَسَةِ. قَالَ: «**تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ**».

رواه مسلم .

٩٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هٰذَا، خَلَقَ الله الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهِ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللّهِ».

وفي رواية : « آمَنْتُ بِاللّهِ وَرُسُلِه » رواه مسلم .

٩٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و سلم : «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذٰلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلِيَنْتَهِ ».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩٨- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم قال «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هٰذَا اللّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ. فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟».

وأما رواية البخاري فمن قول النبي صلى الله عليه و سلم بلفظ: «لن يَبرَحَ الناسُ يتساءَلون حتى يقولوا: .....».

ترجمة رواة الحديث :

أبو هريرة -رضي الله عنه- تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

وعبدالله بن مسعود - رضى الله عنه- تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين في كتاب الإيمان.

وأنس بن مالك -رضي الله عنه- تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث :

حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-" جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه و سلم-" أخرجه مسلم حديث (١٣٢) وانفرد به.

وأما حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، فأخرجه مسلم، حديث (١٣٣)، وانفرد به.

وأما حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- " **لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ** " حديث (١٣٤) أخرجه مسلم وانفرد به

وأما حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- " **يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ** " فأخرجه مسلم، حديث (١٣٤)، وأخرجه البخاري في " كتاب بدء الخلق " " باب صفة إبليس وجنوده " حديث (٧٢٩٦).

شرح ألفاظ الأحاديث :

- (**إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ**): يتعاظم الرجل الأمر أي عظم عليه والمقصود : نجد في أحاديث النفس أموراً كبيرة يعظم علينا أن ننطق بها لقبحها ونفورنا عنها، فما حكمها ؟

- (**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**): أي الذي يدفعكم لمنع ما يلقيه الشيطان في القلب واستنكاركم النطق وتعاظم ذلك هو اليقين والإيمان الصريح الواضح الخالص من الشوائب وفي حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- (**تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ**): أي أن تلك الحال التي تقف أمام الوسوسة وتدفعها هي الإيمان المحض الخالص.

والوسوسة هي حديث النفس وحديث الشيطان مما لا نفع فيه ولا خير.

وقيل المعنى أن وجود الوسوسة في القلب علامة على الإيمان (**الصريح والمحض**) وهو الخالص لأن قلب غيرك سيتمكن منه الشيطان ولن يجد معه وسوسة ومدافعة.

- (**لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ**): أي يسأل بعضهم بعضاً فيما لا يفيد، وفي حديث أنس-رضي الله عنه- في البخاري" لن يَبرَحَ الناسُ يتساءَلون ".

- (**هٰذَا، خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟**): أي إذا ثبت أن الله خلق كل شيء فمن خلق الله؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا**): أي من هذه الوسوسة.
- (**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ**): يُعرف إتيانه بالوسوسة، لأننا لا نراه.
- (**مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا**) وفي رواية أخرى عند مسلم (**مَنْ خَلَقَ السَماء؟ مَنْ خَلَقَ الأرض؟**)، والمقصود أنه يسأل عن أشياء مخلوقة للاستدراج لما بعدها مما يريده من الوسوسة.
- (**فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلِيَنْتَهِ**): أي فليستعذ بالله من وسوسة الشيطان، ولينته عن الاسترسال في ذلك.

من فوائد الأحاديث :

الفائدة الأولى: الأحاديث دليل على فضل الإيمان في ردِّ شبهات الشيطان ووسوسته، وتعظيم ما يلقيه في القلب.

قال القرطبي -رحمه الله- : " **قل آمَنْتُ بِاللّهِ** " أمر بتذكر الإيمان الشرعي، واشتغال القلب به لتمحي تلك الشبهات، وتضمحل تلك الترهات " [المفهم (١/ ٣٤٥)]

الفائدة الثانية: حديث أبي هريرة وابن مسعود-رضي الله عنهما- دليل على أن من علامات صحة الإيمان الخالص واليقين الوسوسة التي يصارعها قلب المؤمن جراء ما يلقيه الشيطان في قلبه وكراهته ذلك ومدافعته، ذلك أن القلوب التي ضعف فيها الإيمان لن يجد الشيطان فيها عناء حتى يدخل الشبهة عليها.

قال القرطبي – رحمه الله – " ومعنى هذا الحديث أن هذه الإلقاءات والوساوس التي تلقيها الشياطين في صدور المؤمنين تنفر منها قلوبهم، ويعظم عليهم وقوعها عندهم، وذلك دليل صحة إيمانهم ويقينهم ومعرفتهم بأنها باطلة، ومن إلقاءات الشيطان، ولولا ذلك لركنوا إليها، ولقبلوها ولم تعظم عندهم، ولاسموها وسوسة"

[المفهم (١/ ٣٤٤- ٣٤٥)].

الفائدة الثالثة: في الأحاديث دلالة على أهمية الحذر من استدراج الشيطان للعبد وأن له خطوات كما قال الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ (البقرة : ١٦٧)

قال ابن كثير – رحمه الله –" قال عكرمة: هي نزغات الشيطان " [تفسير ابن كثير (١/ ١٦٨)]

الفائدة الرابعة: الأحاديث فيها علم من أعلام النبوة لإخباره -صلى الله عليه و سلم- بوقوع هذه الوسوسة في بعض قلوب المؤمنين، وقد وقع.

الفائدة الخامسة: الأحاديث فيها الإشارة عن ذم السؤال فيما لا يعني، وذم التنطع المؤدي إلى الإسترسال حتى الوقوع في سؤال ما لاينبغي.

الفائدة السادسة: **الأحاديث فيها بيان علاج الوسوسة، وفي الوسوسة وعلاجها يقال ما يلي :-**

أولاً: معنى الوسوسة:

تقدم أن الوسوسة هي حديث النفس، وحديث الشيطان بما لا نفع فيه ولا خير.

وقال الفيروزآبادي:" الوسوسة والوسواس ما يلقيه الشيطان في القلب" [بصائر ذوي التمييز(٥/٢٠٨)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال الراغب: "الوسوسة: الخطرة الرديئة" [المفردات ص (٥٢٢)]

ثانياً: أنواع الوسوسة ومصادرها:

قال ابن تيمية " **الْوَسْوَسَةُ نَوْعَانِ** : نَوْعٌ مِنْ الْجِنِّ وَنَوْعٌ مِنْ نُفُوسِ الْإِنْسِ . كَمَا قَالَ : **{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ }** فَالشَّرُّ مِنْ الْجِهَتَيْنِ جَمِيعًا وَالْإِنْسُ لَهُمْ شَيَاطِينُ كَمَا لِلْجِنِّ شَيَاطِينُ "

[مجموع الفتاوى، تحقيق. أنور الباز – عامر الجزار ٥١٧/١٧]

فالوسوسة تأتي من الإنس كما تأتي من الجن، لكن الجن وسوسته إلقاء خفي، والإنس وسوسته إلقاء في الأذن كما ذكر ابن القيم.

قال ابن القيم: " في قوله تعالى { **من الجنة والناس** } يعني أن الوسواس نوعان: إنس وجن، فإن الوسوسة الإلقاء الخفي، لكن الإلقاء الإنسي بواسطة الأذن، والجني لايحتاج إليها.

ونظير اشتراكهما في الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني في قوله تعالى: **(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا..)** " [مخطوط ورقة المحب آخر ورقة فيه، نقلته بواسطة كتاب نضرة النعيم ٥٧٠٢/١١]

وعليه يقال: أن الوسواس نوعان:

الأول: الوسوسة بارتكاب المعاصي والذنوب والمحرمات والفواحش واتباع الهوى

فهذا النوع من الوسوسة له ثلاثة مصادر: النفس (وهي الأمَّارة بالسوء)، وشياطين الجن ، وشياطين الإنس .

قال تعالى في النفس: {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**}

وقال تعالى في شياطين الجن: { **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى** }.

وقال تعالى في شياطين الإنس: { **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** } أي أن هذه الوساوس تكون من الجن ومن الناس بني آدم .

النوع الثاني: ما يعرض للإنسان من الخواطر والوساوس التي لا يقصدها

كما يعرض له في وضوئه وصلاته فلا يدري كم توضأ ولا كم صلى، أو أنه طلَّق وهو لم يطلق، أو حلف وهو لم يحلف، أو تعرض له أفكار في عقيدته، ونحو ذلك فهذه وساوس مصدرها من الشيطان وإلقائه الخفي في نفس الإنسان، وهي المقصودة في أحاديث الباب، وهي تختلف باختلاف الشخص ومدافعته، وتكرارها عليه، ومدى استسلامه لها من عدمه، ويظل العبد معها أحيانا في نزاع ومحاولة متأرجحة بين المقاومة والفشل، بحسب قوة اعتماده على ربه ومن ثم اجتهاده، فإن استعاذ العبد من الشيطان وانتهى عن التفكير بها تغلَّب عليه، وإن استجاب له العبد وكان ضعيفا شدد عليه الشيطان وأكثر من وسواسه وتمكن منه حتى يشككه في دينه وربه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونبيه ويهجم على قلبه ويضعف عزيمته وهي الوساوس التي إن غلبت تُسمى (**الوسواس القهري**)، ويكون دفعها بخطوات ستأتي بإذن الله تعالى.

ثالثاً: هل وجود الوسوسة دليل على صريح الإيمان أم لابد من مدافعتها والنفرة عنها؟

اختلف أهل العلم في معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (**ذاك صريح الإيمان**) وقوله (**تلك محض الإيمان**) والصريح والمحض من الإيمان هو الخالص، اختلفوا على قولين:

القول الأول: أن مجرد وجود الوسوسة دليل على صريح الإيمان

واستدلوا: بحديث ابن مسعود -رضي الله عنه- في الباب حيث سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن مجرد الوسوسة دون المنازعة، فقال (**تلك محض الإيمان**)، وقالوا أيضاً لأن القلوب غير المؤمنة لا توسوس أصلاً لتمكن الشيطان منها، بخلاف القلوب المؤمنة، واختار هذا القول القاضي عياض وهو اختيار شيخنا ابن عثيمين. [انظر شرح النووي لمسلم ٣٣٣/٢ ، والتعليق على مسلم لشيخنا ٤٢٤/١]

والقول الثاني: أن مدافعة المسلم لها ونفرته من هذه الوساوس هي دليل على صريح الإيمان

واستدلوا: بحديث أبي هريرة في الباب حيث إن الصحابة شكوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ما يجدونه في أنفسهم ونفرتهم منه وتعاظمهم لما يجدونه، والنبي -صلى الله عليه وسلم -سألهم عنه فقال (**وقد وجدتموه؟**) ثم قال لهم (**ذاك صريح الإيمان**)، وقالوا المنازعة وكراهة ذلك هي دليل الإيمان وأثره، الذي يردّ وساوس الشيطان، وأما حديث ابن مسعود فهو محمول على حديث أبي هريرة، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الأظهر والله أعلم.

قال ابن تيمية : " أَيْ حُصُولِ هَذَا الْوَسْوَاسِ مَعَ هَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ وَدَفْعِهِ عَنْ الْقَلْبِ هُوَ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ. [ابن تيمية . مجموع الفتاوى. أنور الباز – عامر الجزار ٢٨٢/٧]

وقال في موضع آخر :" فَالشَّيْطَانُ لَمَّا قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ وَسُوسَةً مَذْمُومَةً تَحَرَّكَ الْإِيمَانُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ بِالْكَرَاهَةِ لِذَلِكَ وَالِاسْتِعْظَامِ لَهُ فَكَانَ ذَلِكَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ..... فَهُنَا لَمَّا اقْتَرَنَ بِالْوَسْوَاسِ هَذَا الْبُغْضُ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةُ كَانَ هُوَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ وَهُوَ خَالِصُهُ وَمَحْضُهُ ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ لَا يَجِدُ هَذَا الْبُغْضَ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةَ مَعَ الْوَسْوَسَةِ بِذَلِكَ" [٥٦٣/١٠- ٥٦٥]

قال القرطبي في تفسيره سورة الأعراف آية (٢٠٠): " (تلك محض الإيمان) وفي حديث أبي هريرة (ذلك صريح الإيمان) والصريح الخالص. وهذا ليس على ظاهره، إذ لا يصح أن تكون الوسوسة نفسها هي الإيمان، لأن الإيمان اليقين، وإنما الإشارة إلى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى أن يعاقبوا على ما وقع في أنفسهم، فكأنه قال: جزعكم من هذا هو محض الإيمان وخالصه، لصحة إيمانكم، وعلمكم بفسادها، فسمى الوسوسة إيمانا لما كان دفعها والإعراض عنها والرد لها وعدم قبولها"[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ٣٤٨/٧]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعاً: نتائجها وتأثيرها:

الخواطر والوساوس التي تطرأ على الفكر لا تخلو من حالين:

- إما أن تكون خواطر عارضة لم تجتلبها شبهة وإنما خطرة على الفكر فهذه تدفع بالاستعاذة والإعراض عنها.
- وإما أن تكون خواطر مستقرة نتيجة شبهة ملمة بالقلب، فهذه لا يكتفى بالإعراض عنها وإنما لابد من دفعها بالعلم والاستدلال والنظر.

قال النووي: " قَالَ الْإِمَام الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّه : ظَاهِر الْحَدِيث أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَوَاطِر بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَالرَّدّ لَهَا مِنْ غَيْر اِسْتِدْلَال وَلَا نَظَر فِي إِبْطَالهَا . قَالَ : وَالَّذِي يُقَال فِي هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ الْخَوَاطِر عَلَى قِسْمَيْنِ : فَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِمُسْتَقِرَّةٍ وَلَا اِجْتَلَبَتْهَا شُبْهَة طَرَأَتْ فَهِيَ الَّتِي تُدْفَع بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَل الْحَدِيث ، وَعَلَى مِثْلهَا يَنْطَلِق اِسْم الْوَسْوَسَة ؛ فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَمْرًا طَارِئًا بِغَيْرِ أَصْل دُفِعَ بِغَيْرِ نَظَر فِي دَلِيل إِذْ لَا أَصْل لَهُ يُنْظَر فِيهِ . وَأَمَّا الْخَوَاطِر الْمُسْتَقِرَّة الَّتِي أَوْجَبَتْهَا الشُّبْهَة فَإِنَّهَا لَا تُدْفَع إِلَّا بِالِاسْتِدْلَالِ وَالنَّظَر فِي إِبْطَالهَا . وَاَللَّه أَعْلَم ".[شرح النووي لصحيح مسلم ٢/٣٣٣-٣٣٤]

خامساً: علاج الوسوسة العارضة

وهي المقصودة في أحاديث الباب والتي تكون عارضة على الفكر، وقد جاءت نصوص الباب وغيرها من الأحاديث في بيان علاج الوسوسة، وإن أغلب من يقع بها إنما يُؤتى من قِبَل جهله بالعلاج الشرعي تجاه الوساوس، وبسبب الانسياق لها فلا يزال الشيطان يأخذ به في كل طريق، ويفتح عليه من الوسوسة أبواباً لم تكن منه على بال بحجة الحرص والاحتياط لهذا الدين فيسوس له بعدم اكتمال وضوئه أو صلاته أو أنه خرج منه ما يبطل أحدهما، وتارة يوهمه في علاقته مع ربه، أو مع أهله أو مجتمعه ليظفر من ذلك الإخلال بعقيدته أو عبادته، وكل ذلك بسبب جهله بعدوه الشيطان ومكائده وطرق العلاج تجاه هذا الوسواس، حتى يتطور الأمر فيحتاج بعد ذلك علاجا نفسيا وعلاجا طبيا، بسبب غفلته وجهله بالعلاج الشرعي.

قال ابن تيمية: "وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الْوَسْوَسَةُ إنَّمَا تَحْصُلُ لِعَبْدِ مِنْ جَهْلٍ بِالشَّرْعِ أَوْ خَبَلٍ فِي الْعَقْلِ"[الفتاوى ١٨/٢٦٣]

قال ابن القيم : " قال أبو حامد الغزالي وغيره الوسوسة سببها إما جهل بالشرع وإما خبل في العقل وكلاهما من أعظم النقائص والعيوب " [إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق : محمد حامد الفقي١/١٣٩]

وخطوات العلاج الشرعي للوسواس ما يلي :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاً: أن يعلم المبتلى أن ما أصابه قد أصاب الأخيار من قبله ومن ذلك الصحابة رضي الله عنهم في أحاديث كثيرة في الصحيحين والسنن، ومن ذلك أحاديث الباب حيث جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذلك وكراهتهم وتعاظم لما يجدونه في نفوسهم فقال صلى الله عليه وسلم "**ذاك صريح الإيمان**"

ثانياً: أن يعلم المبتلى بذلك أن كراهته لما يجول في نفسه ومدافعته إياه دليل على صريح الإيمان الذي في قلبه بنص قول النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما تقدَّم بيانه.

ثالثاً: أن يعلم المبتلى بذلك أن ما أصابه مرض ابتلاه الله به لحكمة، فيصبر على ذلك ويحتسب ويعلم أن في هذا البلاء تكفير لسيئاته، قال تعالى (**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**)، وهو بما أصابه من هم وغم جرَّاء ذلك مأجور فيه قد يدخل في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : (**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**).

رابعاً: أن يكثر العبد من الاستعاذة بالله تعالى من هذا الوسواس، كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم- في حديث الباب "**وليستعذ بالله**" ، وقال تعالى: (**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**).

خامساً: أن يلجأ إلى الله تعالى ويدعوه أن يصرف عنه الوسواس وهذا مما يتضمنه معنى الاستعاذة في الاستدلال السابق، فهي لجوء إلى الله تعالى، فيلجأ إليه ويدعوه ويستعين به في كف شرور الوساوس التي تطرأ ويتحيَّن في ذلك أوقات الإجابة، وليستشعر أن الله تعالى مطَّلع على حاله واضطراره وقال تعالى: (**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء**)

سادساً: أن يقول (**آمنت بالله ورسوله**) كما في حديث الباب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (**فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله ورسوله**)

قال ابن تيمية- رحمه الله- : " أن النبي -صلى الله عليه و سلم- أمر العبد أن يقول (آمنت بالله) وفي رواية (ورسوله) فهذا من باب دفع الضد الضار بالضد النافع فإن قوله : آمنت بالله يدفع عن قلبه الوسواس الفاسد

ولهذا كان الشيطان يخنس عند ذكر الله ويوسوس عند الغفلة عن ذكر الله ولهذا سمي الوسواس الخناس فإنه جاثم على فؤاد ابن آدم فإن ذكر الله خنس والخنوس الاختفاء ولهذا سميت الكواكب الخنس ..... فأمر النبي صلى الله عليه و سلم العبد أن يقول : آمنت بالله أو آمنت بالله ورسوله فإن هذا القول إيمان وذكر الله يدفع به ما يضاده من الوسوسة القادحة في العلوم الضرورية الفطرية ويشبه هذا الوسواس الذي يعرض لكثير من الناس في العبادات حتى يشككه هل كبر أو لم يكبر ؟ وهل قرأ الفاتحة أم لا ؟ وهل نوى العبادة أم لم ينوها ؟ وهل غسل عضوه في الطهارة أو لم يغسله فيشككه في علومه الحسية الضرورية، وكونه غسل عضوا أمر يشهده ببصره وكونه تكلم بالتكبير أو الفاتحة أمر يعلمه بقلبه ويسمعه بأذنه وكذلك كونه يقصد الصلاة مثل كونه يقصد الأكل والشرب والركوب والمشي وعلمه بذلك كله علم ضروري يقيني أولي لا يتوقف على النظر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاستدلال ولا يتوقف على البرهان بل هو مقدمات البرهان وأصوله التي يبنى عليها البرهان أعني البرهان النظري المؤلف من المقدمات

وهذا الوسواس يزول بالاستعاذة وانتهاء العبد وأن يقول إذا قال : لم تغسل وجهك ؟ بلى قد غسلت وجهي وإذا خطر له أنه لم ينو ولم يكبر يقول بقلبه : بلى قد نويت وكبرت، فيثبت على الحق ويدفع ما يعارضه من الوسواس فيرى الشيطان قوته وثباته على الحق فيندفع عنه، وإلا فمتى رآه قابلا للشكوك والشبهات مستجيبا إلى الوسواس والخطرات أورد عليه من ذلك ما يعجز عن دفعه وصار قلبه موردا لما توحيه شياطين الإنس والجن من زخرف القول وينتقل من ذلك إلى غيره إلى أن يسوقه الشيطان إلى الهلكة" [درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم ١١٣/٢]

سابعاً: أن يقطع هذه الخواطر ولا يلتفت إليها لقوله صلى الله عليه وسلم: (**وليستعذ بالله ولينته**) لأنه إن استجاب لها نقلته من حال إلى حال أسوأ، ووسعت عليه طرق الوسوسة في أشياء كثيرة في الحياة.

قال ابن القيم: " واعلم أن الخاطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل، فتستحكم فتصير عادة، فردها من مبادئها، أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها، ومعلوم أنه لم يعط الإنسان إماتة الخواطر ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النفس إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على قبول أحسنها ورضاه به ومساكنته له، وعلى رفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه كما قال الصحابة" [الفوائد ١٧٤]

ثامناً: أن يستحضر دوماً مقصود الشيطان من الوسوسة له، وأنه يريد بها قطع الطريق ولذا هو يجعل العبد يفكر في عبادته وعلاقته مع ربه وأنه قصَّر فيها ولم يأت بالوجه المطلوب، ويُلبِّس عليه عبادته وعقيدته ليختل شأنه ويعيد عبادته ونحو ذلك، وهذا من تكليف ما لا يطاق، والله تعالى قد تكفَّل لعباده ألا يكلفهم إلا ما يطيقون، وعليه فلا يمكن أن تكون هذه الوساوس والخواطر مما يريده الله تعالى؛ لأنها من تكليف ما لا يطاق، والله تعالى حينما دعوه المؤمنون بقولهم "**ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به**" قال الله تعالى (**قد فعلت**) والحديث رواه مسلم، فلم يبق من هذه الخواطر التي هي فوق طاقة العبد إلا أن يكون طريق الشيطان لا طريقا أراده الله لعباده، بل هو طريق الشيطان الذي أراد به أن يقطع على العبد علاقته بالله تعالى.

قال ابن تيمية: " وَكُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ تَوَجُّهًا إلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ جَاءَ مِنْ الْوَسْوَاسِ أُمُورٌ أُخْرَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ بِمَنْزِلَةِ قَاطِعِ الطَّرِيقِ، كُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ أن يَسِيرُ إلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرَادَ قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: إنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ: لَا نُوَسْوَسُ، فَقَالَ: صَدَقُوا، وَمَا يَصْنَعُ الشَّيْطَانُ بِالْبَيْتِ الْخَرَابِ"

[الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا ٢٢٣/٢-٢٢٤]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تاسعاً: أن يتذكر بأن كيد الشيطان ضعيف، وأنه لا يقوى إلا على من يستجيب له، أما من جدد عزمه معتمدا على الله تعالى، فلن يتغلَّب عليه الشيطان، بخلاف من يستسلم ويسترسل مع وساوس الشيطان وإغوائه فإنه كلما تقدم الوقت قوي نفوذ الشيطان، وتمكنه من قلب العبد، بخلاف ما لو دافعه من أول الخطرات وأعرض عنه فإن الشيطان سيبقى على أصله ضعيفا هو وكيده، قال تعالى: (**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**) ، لاسيما إذا دافعه العبد بذكر الله تعالى وتلاوة كتابه والرقية الشرعية في ذلك فسيندحر أمام ذلك.

قال ابن تيمية: " فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ، وَيُلَازِمَ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَلَا يَضْجَرُ، فَإِنَّهُ بِمُلَازَمَةِ ذَلِكَ يَنْصَرِفُ عَنْهُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ، (**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**)

[الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا ٢/٢٢٣-٢٢٤]

عاشرا: أن يعلم المبتلى أن من أهم القواعد النافعة للعبد في هذه الحال معرفته وفقهه لقاعدة**[اليقين لايزول بالشك]** وهي من القواعد الكلية التي اتفق عليها علماء الأمة، فيعلم العبد أن ما لديه من عبادات أو اعتقادات هي التي تيقن منها، أما ما يطرأ على القلب ويشغل الذهن من أشياء ينكرها هي شكوك لا تؤثر على ما لديه من العقيدة الحقة والعبادة الصحيحة، وعليه إن فعلت عبادة فلا تلتفت للشكوك التي تطرأ عليك، واعلم أنك في يقين وحق، وما طرأ عليك هو شك وباطل.

٦١ - بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ

٩٩- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئا يَسِيرا، يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبا مِنْ أَرَاكٍ**». **رواه مسلم** .

١٠٠- وعن الأَشْعثِ بْنِ قَيْسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ. فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟**» فَقُلْتُ: لاَ. قَالَ: «**فَيَمِينُهُ**» قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺعِنْدَ ذٰلِكَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» فَنَزَلَتْ: {**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنا قَلِيلاً**} إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

وجاء في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ نحو هذا الحديث .

١٠١- وعَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّﷺ فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ هٰذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لأَبِي. فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺلِلْحَضْرَمِيِّ: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**» قَالَ: لاَ. قَالَ: «**فَلَكَ يَمِينُهُ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرَّجُلَ فَاجِرٌ لاَ يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ. وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ: «**لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلاَّ ذٰلِكَ**» فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ: «**أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لَيَأْكُلَهُ ظُلْما، لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**».

وفي رواية : «**مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضا ظَالِما، لَقِيَ اللّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» رواه مسلم .

ترجمة رواة الأحاديث :

– **الراوي الأول**: أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري الحارثي- رضي الله عنه -، اختلف في اسمه قيل: ثعلبة، وقيل: سهيل، وقيل: عبد الله، وقيل: إياس، وهو قول الأكثر وبه جزم ابن الأثير في (أسد الغابة) حيث قال:" ولا يصح فيه غير إياس بن ثعلبة " له عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أحاديث ، أحدها :" **من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حقه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** "، والثاني: " **البذاءة من الإيمان** "، والثالث: " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى على أمه بعدما دفنت يعني أم أبي أمامة " انتهى.

وكان أبو أمامة - رضي الله عنه - ممن عزم على الخروج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر فقال له خاله أبو بردة بن نيار- رضي الله عنه -: " أقم على أمك، قال أبو أمامة : بل أنت فأقم على أختك، فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأمر أبو أمامة - رضي الله عنه - أن يقوم على أمه ولا يغزو فلما رجع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الغزوة وقد توفيت أمه فصلى عليها - صلى الله عليه وسلم -.

قال النووي - رحمه الله - : " واعلم أن أبا أمامة هذا ليس هو أبا أمامة الباهلي صدي بن عجلان المشهور - رضي الله عنه -، بل هذا غيره، واسم هذا إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي من بني الحارث بن الخزرج، وقيل إنه بلوي وهو حليف بني حارثة، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار، هذا هو المشهور في اسمه - رضي الله عنه -". [انظر شرح النووي لمسلم (٢/ ٣٣٨)، وانظر أسد الغابة(٦/ ١٧) والإصابة (٧/ ١٦)].

– **الرواي الثاني**: الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة الكندي يكنى أبا محمد- رضي الله عنه - ، وفد إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة عشر من الهجرة في وفد كندة وكانوا ستين راكباً فأسلموا، وذكر ابن حجر - رحمه الله - في (الإصابة) أن اسمه: معد يكرب ، ويلقب بالأشعث؛ لأنه أشعث الرأس، قيل: أنه ممن ارتد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكان في اليمن، ولما سيّر أبو بكر- رضي الله عنه - الجنود إلى اليمن أُتي به أسيراً إلى أبي بكر - رضي الله عنه - ، ثم أطلقه وزوجه أخته أم فروة، فدخل سوق الإبل ،ولا يرى جملاً ولا ناقة إلا عَرْقبهُ، وصاح الناس فقالوا: كفر الأشعث فلما فرغ طرح سيفه، وقال:" إني والله ما كفرت، ولكن زوجني هذا الرجل أخته، ولو كنا ببلادنا (يقصد اليمن) لكانت لنا وليمة غير هذه، يا أهل المدينة انحروا وكلوا، ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها" فما رُئي وليمة مثلها.

شهد الأشعث - رضي الله عنه - اليرموك بالشام، ثم سار إلى العراق فشهد القادسية والمدائن ونهاوند، ثم سكن الكوفة وشهد مع علي - رضي الله عنه - صفين وله معه أخبار، توفي سنة أربعين وقيل اثنين وأربعين- رضي الله عنه-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– **الراوي الثالث** : عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الإيمان.

– **الرواي الرابع** : وائل بن حُجْر بن سعيد بن مسروق الحضرمي أبو هنيدة الحضرمي - رضي الله عنه - كان قيلاً (أي ملكاً دون الملك الكبير) من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، وفد وائل - رضي الله عنه - على النبي - صلى الله عليه وسلم - قادماً من اليمن فرحب به النبي - صلى الله عليه وسلم - وأكرمه، واستعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على الأقيال من حضرموت، وأقطعه أرضاً وأرسل معه معاوية وقال أقطعها إياه فاستلمها من معاوية وله قصة مع معاوية - رضي الله عنه - ، ونزل وائل الكوفة وعاش فيها إلى أيام معاوية، وشهد مع على صفين وكان على راية حضرموت يومئذ– رضي الله عنه وأرضاه –. [انظر أسد الغابة (٥/ ٤٣٥) والإصابة (٤٦٦/٦)]

تخريج الأحاديث :

حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم حديث (١٣٧)، وانفرد به عن البخاري، ،أخرجه النسائي في " كتاب آداب القضاء " " باب القضاء في قليل الماء وكثيره " حديث (٥٤٣٤) وأخرجه ابن ماجه في "كتاب الحكام " " باب من حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مالاً" حديث (٢٣٢٤).

وأما حديث الأشعث بن قيس - رضي الله عنه - فأخرجه مسلم حديث (١٣٨)، وأخرجه البخاري في " كتاب المساقاة " " باب الخصومة في البئر والقضاء فيه " حديث (٢٣٥٦)، وأخرجه أبو داود في " كتاب الأيمان والنذور " " باب فيمن حلف يميناً ليقتطع بها مالاً لأحد " حديث (٣٢٤٣)، وأخرجه الترمذي في " كتاب البيوع " " باب ما جاء في اليمين الفاجرة يقتطع بها مال المسلم " حديث (١٢٦٩)، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الأحكام " " باب البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه " حديث (٢٣٢٢).

وسياق هذا الحديث في أوله:

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :" **من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان** " قال فدخل الأشعث بن قيس فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ قالوا : كذا وكذا قال : صدق أبو عبد الرحمن في نزلت كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ..." الحديث.

وحديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أخرجه مسلم أيضاً في الشواهد والمتابعات، وأخرجه البخاري في " كتاب التوحيد " باب قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة ٢١، ٢٢] حديث (٧٠٠٧).

وأما حديث وائل بن حجر - رضي الله عنه - فأخرجه مسلم حديث (١٣٩) وانفرد به عن البخاري، وأخرجه أبو داود في " كتاب الأيمان والنذور " " باب التغليظ في الأيمان الفاجرة " حديث (٣٢٤٥)، وأخرجه النسائي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في " كتاب الأحكام " " باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه " حديث (١٣٤٠).

شرح ألفاظ الأحاديث :

– (**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ**): اقتطع افتعل من القطع، أي أخذ قطعة من صاحبه، واقتطع أبلغ من (قطع) لأنه يفيد العموم، و(الحق) أعم من المال؛ لأنه كل شيء مالاً كان أو غيره

– (**و إِنْ قَضِيبا مِنْ أَرَاك**): بنصب " **قَضِيبا** " على أنه خبر كان المحذوفة مع اسمها، وهذا الحذف كثير ومشهور بعد **إنْ** " و " **لو** " كقول النبي – صلى الله عليه وسلم – " **ولو خاتماً من حديد** " وقوله – صلى الله عليه وسلم –" **قَضِيبا مِنْ أَرَاك** " أي عوداً من شجر الآراك وهو شجر يُستاك بأعواده.

– (**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ**): صَبْر بفتح الصاد وسكون الباء، وأصل الصبر الحبس و الإمساك، ويمين الصبر: اليمين التي يحبس الحالف نفسه عليها.

– (**هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ**): آثم، أي هو حين أقدم على يمينه فاجر؛ لتعمده الكذب، وتسمى هذه اليمين الغموس.

– (**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**) :البينة ما يبين الحق من الشهود، قوله: " **فَيَمِينُهُ** " أي: إذا لم تكن لك بينة فلك يمينه.

– (**مِنْ حَضْرَ مَوْتَ**) : بلدة قرب عدن.

– (**وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ**): بكسر الكاف وسكون النون حي باليمن، والنسب إليها كندي بسكون النون.

– (**غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي**) : أي غصبها مني قهراً.

من فوائد الأحاديث :

الفائدة الأولى: الأحاديث دليل على عظم ذنب أكل حقوق الناس بالحلف الكاذب ولو كانت الحقوق يسيرة، فإن الظلم عاقبته وخيمة مهما كان قدر الظلم ولو كان بمقدار عود الأراك فكيف بمن جمع مع ظلمه يمينه الكاذب؟، فمن فعل ذلك فقد تعرَّض لعقوبات ثلاث جاءت في أحاديث الباب :–

" **فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** ".

" **لَقِيَ اللّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**" .

" **لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ** " فإما أن يقال: أن المقصود بالإعراض هنا: الغضب، أو يقال: بجمع الحالين الغضب والإعراض، ولا مانع من إجتماعهما.

الفائدة الثانية: حديث أبي أمامة– رضي الله عنه – دليل على أن الوعيد شامل لكل حق اقتطعه العبد ظلماً بيمينه الفاجرة، وليس هذا خاص بالمال كما جاء في حديث الأشعث وحديث وائل بن حجر ﷺ، وإنما عام في كل حق بقوله – صلى الله عليه وسلم – : " **مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ**"

الفائدة الثالثة: الأحاديث دليل على عظم التهاون باليمين ومن صور ذلك الحلف الكاذب، وهي تسمى: اليمين الغموس وأحاديث الباب دليل على أن اليمين الغموس لا كفارة فيها؛ لعدم ذكر الكفارة في الأحاديث، وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي**

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران ٧٧)، وبعدم الكفارة قال الجمهور.

قال ابن بطال – رحمه الله- : " وبهذه الآيات والحديث احتج جمهور العلماء في أن اليمين الغموس لا كفارة فيها، لأنه – صلى الله عليه وسلم – ذكر في هذه اليمين المقصود بها الحنث والعصيان والعقوبة والإثم ولم يذكر هاهنا كفارة، ولو كان ها هنا كفارة لذكرها...قال ابن المنذر : والأخبار دالة على أن اليمين التي يحلف بها الرجل يقتطع بها مالاً حراماً هي أعظم من أن يكفرها ما يكفر اليمين، ولا نعلم سنة تدل على قول من أوجب الكفارة، بل هي دالة على قول من لم يوجبها" [شرح البخاري لابن بطال (٦ / ١٣٣-١٣٤)].

الفائدة الرابعة: الأحاديث دليل على أنه عند التنازع والترافع للقاضي أن على المدعي البيّنة، وعلى المدَّعي عليه اليمين، وجاء بيان المراد بالبينة في حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – حيث قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:" **شاهداك أو يمينه** " فالبينة اثنان من الشهود على الدعوى أو كما قال تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ** ﴾ (البقرة :٢٨٢) فإن لم تكن للمدعي بينة، فيحلف المدّعى عليه على عدم صحة دعوى المدعي.

قال القرطبي – رحمه الله – : " دليل على أن المدعي يلزمه إقامة البينة، فإن لم يقمها حلف المدعي عليه، وهو أمر متفق عليه، وهو مستفاد من هذا الحديث، فأما ما يروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قوله : " **البينة على المدعى واليمين على من أنكر** " فليس بصحيح الرواية لأنه يدور على مسلم بن خالد الزنجي لكن معنى متنه صحيح بشهادة الحديث المتقدم له." [المفهم (١/ ٣٤٨ – ٣٤٩)].

ومما يتعلق بهذا الشأن من فوائد أحاديث الباب ما يلي :-

١– أن البينة مقدمة على اليمين وبها يكتفي إن أثبتها المدعي ولا حاجة إلى اليمين إلا مع عدم البينة لقوله – صلى الله عليه وسلم – للمدعي " **هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟**» فَقُلْتُ: لاَ. قَالَ: «**فَيَمِينُهُ** ".

٢– أن اليمين وإن كانت فاجرة فهي معتبرة قضاءً وبها يُحكم لأن الأحكام القضائية مبنية على الظاهر والله يتولى السرائر، بدليل قول الحضرمي عن الكندي الذي سيحلف : " يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لاَ يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ. وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ – صلى الله عليه وسلم –: " **لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلاَّ ذٰلِكَ** "

قال النووي –رحمه الله – : " وفيه أن يمين الفاجر المدعى عليه تقبل كيمين العدل وتسقط عنه المطالبة بها". [شرح النووي لمسلم (٢/ ٣٤٢)]

٣– أن حكم الحاكم لا يجيز لصاحب اليمين الفاجرة فعله ، بدليل موعظة النبي – صلى الله عليه وسلم – للكندي حين أراد الحلف حيث قال له : " **أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْما، لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ** " واستحب العلماء التذكير والموعظة في هذا الموطن لفعل النبي – صلى الله عليه وسلم – .

قال النووي – رحمه الله –: " وفي هذا الحديث دلالة لمذهب مالك والشافعي وأحمد والجماهير أن حكم الحاكم لا يبيح للإنسان ما لم يكن له ". [شرح النووي لمسلم (٢ / ٣٤١)].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الخامسة: الأحاديث دليل على إثبات صفة الغضب لله تعالى، وهي من الصفات التي دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ** ﴾ (الممتحنة :١٣)، ومن السنة أحاديث الباب، وأجمع السلف على إثبات صفة الغضب لله تعالى كما يليق به سبحانه.

قال ابن القيم - رحمه الله -: " إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضا والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال " [الصواعق المرسلة (٤ / ١٤٥١)].

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -: " فإن قال قائل : هل الغضب صفة كمال ؟

فالجواب : نعم، الغضب في محله صفة كمال؛ لأنه يدل على قدرة الغاضب على أن ينتقم، ولهذا لو اعتديت على إنسان يستطيع أن يقتص منك، لوجدته غاضباً، ويقابلك بمثل ما اعتديت به. لكن لو اعتديت على إنسان صغير، لا يستطيع أن يقابلك؛ فماذا يفعل ؟ يبكي ولا يغضب، فالغضب في محلة صفة كمال، ولهذا اتصف الله تعالى به " [التعليق على مسلم (١ / ٤٣٧)]

الفائدة السادسة : في الأحاديث عدة إشكالات:-

الإشكال الأول: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيمن اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه " **فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** " ومعلوم أن هذا الذنب وإن كان عظيماً فهو غير مخرج من ملة الإسلام الذي يقضي بحرمان الكافر من الجنة ووجوب النار عليه، فكيف الجمع؟

الجواب : أن الوعيد في حديث الباب محمول على عدة أجوبة منها :-

قيل : هذا الجزاء للمستحل إذا مات على ذلك، أي من اعتقد بأن أكل حقوق الناس بالأيمان الفاجرة حلال، وهو بهذا جعل نفسه مشرِّعاً مع الله باستحلال ما حرم الله وهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

قيل : المعنى أن هذا الوعيد هو حقه لو جوزي به.

وقيل : المقصود أنه بفعله هذا استحق العذاب بالنار، وقد يعفو الله عنه، وقد حرم الله عليه دخول الجنة مع أول الداخلين وإن كان سيدخلها بعد ذلك.

الإشكال الثاني : ذكر سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (آل عمران :٧٧) ، وأنها نزلت في الأشعث بن قيس كما صرح - رضي الله عنه - في حديث الباب، كيف الجمع بين قول الأشعث - رضي الله عنه - أنها نزلت فيه، وعند البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - : " أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يُعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذكر الطبري - رحمه الله - عن عكرمة قوله : " ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ (البقرة ١٧٤) والتي في أل عمران ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ نزلت جميعاً في اليهود، وبيَّن أن هذا كتمانهم ما أنزل الله في التوراة من شأن النبي - صلى الله عليه وسلم - وحلفوا على ذلك ". [انظر تفسير الطبري (٣/ ٦٥)].

وغير ما تقدم في سبب نزول الآية فكيف الجمع بين تعدد النزول؟

الجواب : قيل : قد تتعدد الأسباب والمنزَّل واحد، ولفظ الآية يشمل جميع الأسباب. [انظر فتح المنعم (١/ ٤٤٠)]

وقيل : أنه لا يُحكم بأن ما تقدم سبب نزول إلا بعد التصريح بأنه سبب نزول كأن يقال سبب نزول كذا كذا؛ وأما لفظ (نزلت آية) ، أو (نزل فيها)، ونحوها من الألفاظ فإنها تدل على أن الآية نزلت في معنى كذا وليس تصريحاً بأن هذا هو سبب نزولها. [انظر التعليق على مسلم لشيخنا ابن عثيمين (١ / ٤٣٩)]

الإشكال الثالث: في قصة الأشعث بن قيس - رضي الله عنه - هو المدَّعي، وتقدم أنه كندي، وفي حديث وائل بن حجر - رضي الله عنه - المدَّعي حضرمي، والمدَّعى عليه كندي، فكيف الجمع إذا كانت القصتان واحدة ؟

الجواب : الصحيح أنهما قصتان قصة الأشعث - رضي الله عنه - مع رجل آخر غير القصة الواردة في حديث وائل بن حجر - رضي الله عنه - بين الحضرمي والكندي، لاسيما وأنه لم يأتِ في حديث وائل ذكر للأشعث، ولا لنزول الآية التي جاءت في حديث الأشعث - رضي الله عنه -.

الإشكال الرابع : قول الأشعث بن قيس - رضي الله عنه -: " كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ. فَخَاصَمْتُهُ " وجاء في رواية أخرى عند مسلم أن الخصومة كانت في بئر حيث قال : " كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومة في بئر " فكيف الجمع بين الروايتين؟

الجواب : قال ابن حجر - رحمه الله -: " ويجمع بأن المراد أرض البئر لا جميع الأرض".[الفتح (١١/ ٥٦٠)].

---

٦٣ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ

١٠٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**». **رواه مسلم** .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الصحيحين من حديث عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو - رضي الله عنه - : قال رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

ترجمة راويي الحديث :

أبو هريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

وعبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – تقدمت ترجمته في الحديث الثالث والعشرين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين :

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم حديث (١٤٠)، وانفرد به عن البخاري.

وأما حديث ابن عمرو – رضي الله عنهما – فأخرجه مسلم حديث (١٤١)، وأخرجه البخاري في " كتاب المظالم " " باب من قاتل دون ماله " .

شرح ألفاظ الحديثين :

– (**يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي**): أي غصباً عني، فماذا أفعل؟

– (**قَالَ: قَاتِلْهُ**): والتقدير قاتله إن قاتلك.

– (**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**): سمي الشهيد شهيداً، **قيل** : لأن الله شهد له بالجنة فشهيد بمعنى مشهود له، **وقيل** : لأنه يشاهد عند موته ما أعده الله – عزو جل – له من الكرامة، **وقيل** : لأن ملائكة الرحمة يشهدون فيأخذون روحه، **وقيل** : لأن عليه شاهداً يشهد بكونه شهيداً، وهو دمه فإنه يبعث يوم القيامة وجرحه يثعب دماً، **وقيل** : لأنه شُهد له بالإيمان، وخاتمة الخير بظاهر حاله، **وقيل** : لأن أرواحهم شهدت دار السلام، وأرواح غيرهم لا تشهد إلا يوم القيامة، وقيل غير ذلك. [انظر شرح النووي لمسلم (٢ / ٣٤٣)]

– (**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ**): أي من قتل بسبب الدفاع عن ماله فهو شهيد.

من فوائد الحديثين :

الفائدة الأولى: الحديثان يدلان على أن الأصل في النفس والمال العصمة والحرمة، فلا يجوز الإعتداء عليهما، وهما من الضروريات الخمس التي يجب حفظها : الدين، والعرض، والعقل، والنفس والمال.

الفائدة الثانية: الحديثان دليل على جواز قتل المعتدي بغير حق إن كان لا يندفع إلا بالقتل.

قال ابن المنذر - رحمه الله -: " عوام (أي جمهور) العلماء على قتال المحارب على كل وجه، ومدافعته عن المال والأهل والنفس". [المفهم للقرطبي (١/ ٣٥٢)].

وهنا مسألتان عن الكم والكيف، **ففي الكم هل يجوز له قتل الصائل ولو صال على شيء يسير من ماله؟ وفي الكيف هل له أن يعمد إلى قتل المعتدي مباشرةً دون دفعه بما هو أقل؟**

ففي الجواب على الأولى، قال النووي - رحمه الله -:" جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق، سواء كان المال قليلاً أو كثيراً، لعموم الحديث، وهذا قول الجمهور من العلماء، وقال بعض أصحاب مالك لا يجوز قتله إذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طلب شيئاً يسيراً، كالثوب والطعام وهذا ليس بشيء، والصواب ماقاله الجماهير، وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف، وفي المدافعة عن النفس بالقتل خلاف في مذهبنا ومذهب غيرنا، والمدافعة عن المال جائزة غير واجبة، والله أعلم". [شرح النووي لمسلم (٢ / ٣٤٤)]

وفي الجواب على المسألة الثانية: قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -: " هل له أن يقتل هذا الطالب بمجرد طلبه؟ يعني بمجرد أن يقول : أعطني مالك! فيقول : لا أعطيك إياه، فهل له أن يقتله؟

والجواب : لا بل يدفع بالأسهل فالأسهل، فإن دفع بالأسهل لم يجز ما فوقه، وإن لم يندفع إلا بالقتل فيقتله، فإن كان يندفع بقطع يديه، بأن يكون مع المعتدى عليه سيف يستطيع أن يبتر به يديه، فإنه لا يجوز أن يقتله؛ لأن قطع اليدين أهون من القتل. فإن خاف أن يبادره بالقتل، فهل له أن يقتله؟

الجواب : نعم، لو خاف بأنه لو دافع بالأسهل قتله، فله أن يقتله لأنه خائف على نفسه ". [التعليق على مسلم (١ / ٤٤٥)]

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على عظم منزلة من قتل دون ماله، فقد حكم عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه شهيد، فله ثواب الشهداء في الآخرة وإن كان لا يصل إلى مرتبة شهيد المعركة.

قال النووي - رحمه الله -: " واعلم أن الشهيد ثلاثة أقسام :

أحدها : المقتول في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال، فهذا له حكم الشهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا، وهو أنه لا يغسل ولا يصلى عليه.

والثاني : شهيد في الثواب دون أحكام الدنيا، وهو المبطون والمطعون وصاحب الهدم ومن قتل دون ماله وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً، فهذا يُغسل ويصلى عليه وله في الآخرة ثواب الشهداء، ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول. "

والثالث: من غلّ في الغنيمة وشبهه ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيداً إذا قتل في حرب الكفار، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا فلا يغسل ولا يصلى عليه، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة، والله أعلم ". [شرح النووي لمسلم (٢ / ٣٤٣)]

الفائدة الرابعة: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - فيه تحريم الإعتداء على مال المسلم وعظم جرم قاتل من دافع عن ماله، لقوله - صلى الله عليه وسلم - " **هُوَ فِي النَّارِ** " ومعلوم أن مذهب أهل السنة أن المسلم لا يخلد في النار وإن كان صائلاً على مال الغير، وعليه فمعنى " **هُوَ فِي النَّارِ**" أي مستحق ذلك فقد يجازى فيعذب بالنار لكن مآله إلى الجنة، وقد يعفى عنه، إلا أن يكون مستحلاً لذلك من غير تأويل فإنه يكفر ولا يُعفى عنه بل هو مخلد في النار ، والله أعلم .

٦٣ - بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْوَالِي الْغَاشِّ لِرَعِيَّتِهِ النَّارَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠٣- عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

وفي رواية لمسلم : « ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ ».

ترجمة راوي الحديث :

هو معقل بن يسار بن عبد الله بن معبِّر المزني - رضي الله عنه - ، يكنى أبا علي، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو يسار .

أسلم قبل الحديبية، وشهد بيعة الرضوان.

قال البغوي - رحمه الله -: " هو الذي حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر - رضي الله عنه - ، فنسب إليه، ونزل البصرة، وبنى بها داراً، ومات بها في خلافة معاوية - رضي الله عنه -"

مات في آخر خلافة معاوية - رضي الله عنه - ، وقيل إنه توفي أيام يزيد بن معاوية . وكان روى حديث الباب في ذم الإمام الذي يغش رعيته، رواه وهو في مرضه الذي توفي فيه - رضي الله عنه -." [انظر أسد الغابة (٥ / ٢٣٢) والإصابة (٦/ ١٤٦)]

تخريج الحديث :

أخرجه مسلم حديث (١٤٢)، وأخرجه البخاري في " كتاب الأحكام " " باب من استرعى رعية فلم ينصح " حديث (٦٧٣١).

شرح ألفاظ الحديث :

- (**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً**): أي يستحفظه ويجعله راعياً عليهم، وهذا يشمل الرعاية العامة كرعاية الحاكم والأمير، والخاصة كرعاية الرجل على أهل بيته.

- (**وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ**): الغش ضد النصيحة، وعدم القيام بما فيه نجاتهم مع قدرته.

- (عاد عبيد الله بن زياد): كان عبيد الله حين حدثه معقل - رضي الله عنه - أميراً في البصرة، في عهد معاوية - رضي الله عنه -

- (**ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ**): يجهد بفتح الياء والهاء وسكون الجيم أي لا يجتهد ويبذل وسعه من أجلهم.

من فوائد الحديث :

الحديث دليل على تحريم غش الرعية وأنه من كبائر الذنوب لما ترتب عليها من حرمان الجنة، وعموم اللفظ في الحديث الأول يدخل فيه الرعاية العامة، والرعاية الخاصة فيدخل فيه كل مسئول"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال القرطبي - رحمه الله - :" قوله - صلى الله عليه وسلم - **" مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً"** الحديث هو لفظ عام في كل من كُلِّف حفظ غيره، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : **" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"** فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، وهذا الرجل في أهل بيته والولد والعبد، والرعاية : الحفظ والصيانة، والغش ضد النصيحة، وحاصله راجع إلى الزجر عن أن يُضيِّع ما أُمر بحفظه، وأن يقصِّر في ذلك مع التمكن من فعل ما يتعين عليه" [المفهم (١/ ٣٥٣ – ٣٥٤)]

وقال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" **(مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً)** وهذا يشمل الرعاية العامة، والرعاية الخاصة، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم- "الرجل راعٍ في أهله ومسئوول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها" وإذا قلنا بهذا صار الإنسان مسؤولاً في أهله في حياته وبعد مماته، وأنه يجب أن يحذر، وأن ينصح لرعيته التي استرعاه الله عليها.

وينبني على ذلك: أن من خلف لأهله ما لا يجوز اقتناؤه من الآلات كالتلفزيون، والدش، ومأأشبه ذلك على وجه يعرف أنهم يستعملونه على محرم، فإنه سيلحقه هذا الوعيد، وأنه إذا مات على هذه الحال، فإن الله يحرم عليه الجنة والعياذ بالله " [التعليق على مسلم (١ / ٤٤٧ -٤٤٨)].

الفائدة الثانية: الحديث دليل على عظم المسؤلية على كل من ولي رعية، وعلى الرجل مع أهل بيته، والولاة والأمراء صغاراً وكباراً، وكل من ولي أمراً من أمور المسلمين بأن يحفظ حقهم من المسؤلية بنصحهم وعدم الغش لهم.

قال النووي - رحمه الله -: " قال القاضي عياض: معناه بيِّن في التحذير من غش المسلمين، لمن قلّده الله تعالى شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصّبه لمصلحتهم، في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما أُؤتمن عليه، فلم ينصح فيما قلده، إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم، والذب عنها لكل متعد لإدخال داخلة فيها ، أو تحريف لمعانيها،أو إهمال حدودهم أ أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم، ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم، فقد غشهم. قال القاضي: وقد نبَّه النبي - صلى الله عليه وسلم - على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة" [انظر شرح النووي لمسلم ٢ / ٣٤٥]

الفائدة الثالثة: الحديث فيه الوعيد الشديد لأئمة الجور وأن من صور جور الأئمة الغش للرعية، والنبي - صلى الله عليه وسلم - بيَّن الوعيد الشديد لمن غش رعيته وبيَّن في الحديث الثاني أنه عليه فوق ذلك نصحهم والاجتهاد في ذلك، وإلا كان عرضه للوعيد، وعليه فالمطلوب من الحكام وولاة الأمور أعظم، والتبعة عليهم أشد ففي الحديثين باب التحذير من غش الرعية، وباب بذل الجهد في النصح لهم.

الفائدة الرابعة: الحديث فيه الوعيد الشديد لمن غش رعيته وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - **" إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ "** ومعلوم أنه لن يحرم من دخول الجنة إلا من كتب عليه الخلود في النار لمروقه من ملة الإسلام، ومذهب أهل السنة والجماعة أن هذا الأمر وإن كان كبيرة من الكبائر إلا أنه ليس مخرجاً من ملة الإسلام بحيث يستوجب حرمان الجنة الأبدي، فكان لابد من توجيه الأحاديث كما قيل في نظائره جمعاً بين الأدلة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقيل إن الحديث محمول على ظاهره وأنه في المستحل، **وقيل** : المراد أنه يحرم دخول الجنة مع أول الداخلين وهو دخول الفائزين السابقين. [انظر شرح النووي ٢ / ٣٤٥]

الفائدة الخامسة: الراوية الأخرى فيها بيان حرص الصحابة- رضي الله عنهم - على تبليغ العلم والأحكام الشرعية حتى وإن كانوا على فراش الموت ومثل هذا الموقف تكرر كثيراً وماذاك إلا لحرصهم وخوفهم من كتمان العلم، فهذا معقل بن يسار- رضي الله عنه - يعظ والي البصرة حين زاره عبيد الله بن زياد بهذا الحديث، ولا يلزم من هذا أن معقل- رضي الله عنه - لم يحدث بهذا الحديث إلا في آخر حياته، ويحتمل أنه حدث به من قبل، إلا أن نصيحته لوالي البصرة كانت في هذه الحال، **وقيل:** أن معقل إنما أخَّر التحدث بهذا الحديث لما علمه من حال عبيد الله بن زياد من سفك لدماء الناس وشدة بطشه كما ذكر الحسن البصري - رحمه الله -، فخافه في حياته، فلما كان عند الموت ذكره لئلا يكتم العلم، **وقيل:** لم يذكره حال حياته لأنه علم أن عبيد الله ممن لا تنفعه الموعظة، وهذا بعيد لأنه ينافي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم سقوطه لعدم القبول.[انظر شرح النووي لمسلم (٣٤٥/٢) وفتح الباري (١٢٧/١٣)]

٦٤ - بَابُ رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ، وَعَرْضِ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ

١٠٤ - عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّهِ- صلى الله عليه وسلم - حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ. حَدَّثَنَا «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ. كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ** (ثُمَّ أَخَذَ حَصىً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) **فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ. لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**». وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ. لَئِنْ كَانَ مُسْلِما لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ. وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيّا أَوْ يَهُودِيّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنا وَفُلاَنا.

ترجمة رواي الحديث:

حذيفة بن اليمان - صلى الله عليه وسلم - ،تقدمت ترجمته في الحديث الثالث والسبعين من كتاب الإيمان.

ثانياً: تخريج الحديث:-

أخرجه مسلم حديث (١٤٣)، وأخرجه البخاري في " كتاب الرقاق " " باب رفع الأمانة " حديث (٦٤٩٧)، وأخرجه الترمذي في " كتاب الفتن " " باب ما جاء في رفع الأمانة " حديث (٢١٧٩)، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الفتن " "باب ذهاب الأمانة " حديث (٤٠٥٣).

شرح ألفاظ الحديث:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

–(**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّهِ** – صلى الله عليه وسلم – **حَدِيثَيْنِ**): معناه حدثنا في الأمانة، وإلا فإن حذيفة – رضي الله عنه – روى كثيراً من الأحاديث في الصحيحين وغيرها. قال صاحب التحرير:" وعنى بأحد الحديثين قوله " **الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**"، وبالثاني قوله: "ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ... إلى آخره" [انظر شرح النووي لمسلم ٢/ ٣٤٧]

– (**أَنَّ الأَمَانَةَ**): قال القرطبي – رحمه الله –:" الأمانة: كل ما يوكل إلى الإنسان حفظه، ويُخَلَّى بينه وبينه ، ومن هنا سمّي التكليف أمانة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[الأحزاب :٧٢] في قول كثير من المفسرين" [المفهم ١ / ٣٥٦]

(**نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**): الجْذر أصل الشيء، قال النووي – رحمه الله –:" أما الجذر فهو بفتح الجيم وكسرها، لغتان... وهو الأصل [شرح مسلم ٢/ ٣٤٧] ، ومعنى إنزالها في القلوب أي: أن الله تعالى جَبَل القلوب الكاملة على القيام بحقها، وليس لذكر الرجال معنى الخصوصية، وإنما المرأة داخلة في الذكر، وذكر الرجال في الحديث للتغليب.

– (**ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ**): المراد من رفع الأمانة ذهابها، أو ذهاب أهلها وقبضهم حتى يكون الأمين في حكم النادر.

– (**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ**): يحتمل أن المراد من ذكر النوم أن الأمانة تُقبض أي: تنزع في حال غفلة وضعف في العقيدة والإيمان، ويُحتمل على ظاهره، وأن المقصود سرعة رفع الأمانة من القلب فبمجرد النوم في ليل أو نهار ترفع الأمانة من القلب .

– (**فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ**): الوكت: بفتح الواو وإسكان الكاف وهو الأثر اليسير، والمعنى أن الأمانة تذهب حتى ما يبقى منها إلا اليسير

– (**فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ**): قال النووي – رحمه الله –:" وأما (**الْمَجْلِ**) بفتح الميم وإسكان الجيم وفتحها لغتان حكاها صاحب التحرير، والمشهود الإسكان" [شرح مسلم ١ / ٣٤٧] و(**الْمَجْلِ**) : ارتفاع في الجلد يظهر في اليد من العمل بفأس ونحوه، وفي الرجل بسبب الحذاء ونحوه، ويصير مثل القبة ويمتلئ ماء.

– (**فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً**): **نَفِطَ** بفتح النون وكسرها الفاء أي انتضح، وانبتر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلأ ماء، والمقصود من هذه التشبيهات بيان تدرج ذهاب الأمانة شيئاً فشيئاً.

– (**فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ**): أي يبيعون ويشترون.

– (**لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ**): فيه بيان لقلة الأمانة، وقرب رفعها نهائياً.

– (**مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ**): (**مَا أَجْلَدَهُ**) أي: ما أقواه، (**مَا أَظْرَفَهُ**) أي ما أحسن وجهه وهيئته ولسانه، (**مَا أَعْقَلَهُ**) أي: ما أقوى عقله وذهنه وتفكيره وتمييزه بين الحسن والقبيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– (**وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**): حبة خردل : حب لنبات صغير جداً يُضرب به المثل في الصغر من بين الحبوب، والمراد: المبالغة في الصغر.

– (**وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ**): يقصد به زمن الصدر الأول في الإسلام حين كانت الأمانة مستقرة في القلوب، فالمؤمن يدفعه إيمانه لدفعها، والنصراني أو اليهودي يدفعه من يتولاه.

والمعنى: أنني في ذلك الزمن لا أبالي في مبايعتي لأحد بيعي وشرائي لاستقرار الأمانة.

– (**وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنا وَفُلاَنا**): أي وأما الآن يقصد وقت تحديثه بهذا الحديث فإنني لا أثق إلا بأشخاص معينين في ديانتهم وأمانتهم، وحذيفة - رضي الله عنه - توفي سنة (٣٦) من الهجرة بعد قتل عثمان - رضي الله عنه - بقليل، أي أنه أدرك بعض زمن تغير الأمانة في القلوب.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على حفظ الأمانة ورعايتها، وأنها من الأخلاق عظيمة الشأن التي جُبل الإنسان عليها إذ أنها نزلت في جذر القلوب، لكن بقائها عزيز لاسيما آخر الزمان كما سيأتي.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن الأخلاق الإسلامية مستمدة من الكتاب والسنة، ومن ذلك الأمانة لقوله - صلى الله عليه وسلم - :" **ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**".

الفائدة الثالثة: في الحديث علم من أعلام النبوة، حيث حدَّث - صلى الله عليه وسلم - أصحابه عن رفع الأمانة فأدرك بعض أصحابه - رضي الله عنهم- شيئاً من ذلك ومنهم حذيفة - رضي الله عنه - كما في حديث الباب، وأدرك الناس من بعدهم كثيراً من ذلك، لاسيما في زماننا والله المستعان.

قال ابن بطال - رحمه الله -:" هذا الحديث من أعلام النبوة؛ لأنّ فيه الإخبار عن فساد أديان النَّاس وقلة أمانتهم في آخر الزمان، ولاسبيل إلى معرفة ذلك قبل كونه إلا من طريق الوحي" [شرح البخاري لابن بطال ٣٨/١٠]

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" ولقد شاهد الناس اليوم مصداق هذا الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنك تستعرض الناس رجلاً رجلاً تبلغ إلى حد المائة أو المئات، ولا تجد الرجل الأمين الذي أدى الأمانة كما ينبغي إلى حد المائة أو المئات، لا تجد الرجل الأمين الذي أدى الأمانة كما ينبغي في حق الله، ولا في حق الناس" شرح رياض الصالحين " باب الأمر بأداء الأمانة" [حديث (٢٠٠) ١ / ٥٢٢]

الفائدة الرابعة: الحديث فيه بيان سرعة رفع الأمانة من القلوب وتدرجها، فلربما استيقظ العبد من نومه وقد رفعت الأمانة من قلبه حتى لا يبقى إلا مثل " **الْوَكْتِ** " وهو الأثر اليسير، ثم ينام فيرتفع شئ مما تبقى من الأمانة على قلته فيكون مثل " **الْمَجْلِ** " وهو أقل أثراً من سابقه، ثم ينام فيذهب شيء مما تبقى على قلته فيصبح كالورم المنتفخ الذي ليس فيه شيء والمراد بيان التدرج في ذهاب ما تبقى من قليل الأمانة والله المستعان.

قال النووي - رحمه الله -:" أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً " [شرح النووي لمسلم ٢ / ٣٤٨]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" نسأل الله أن يثبتنا وإياكم، ينام الرجل النومة في ليل أو نهار على أنه أمين، فإذا استيقظ إذا الأمانة منزوعة من قلبه، ولهذا شرع للإنسان أن ينام على ذكر، وأن يستيقظ على ذكر، وما أجدر بنا أن نعلم أذكار النوم وأذكار الإستيقاظ... لكن الذي لاينام على ذكر يُخشى أن تنزع الأمانة من قلبه إذا استيقظ" [شرح البخاري ٨/ ٣٩٥].

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على أن من صور الأمانة الأمانة في البيع والشراء، وهي من الصور التي أدركها حذيفة - رضي الله عنه - حيث شهد زمناً كانت الأمانة مستقرة في نفوس المسلمين، وأما الكافر فالوالي عليه سيرد عليه حقه فيما لو خان، فلم يكن يبالي أي الناس بايع، وبعد ذلك أدرك حصر الأمانة في رجال معدودين؛ لرفعها عن قلوب كثير من الناس.

الفائدة السادسة: الحديث دليل على اغترار الناس بالمظاهر الخارجية في قلوبهم وحكمهم وثناءهم على الآخرين، مع ضعف مخابرهم في الإيمان والأمانة والصلاح وهذا من انتكاس المفاهيم والمعايير عند الناس، فيُمدح بحسن صبره أو لسانه، وجسده أو عقله، مع خواء جوفه أو ضعفه من الإيمان، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ** " وفي الحديث دلالة على وجود من عنده صبر وحسن لسان وعقل وتفكير ومع ذا ضعيف في دينه وأمانته.

قال القرطبي - رحمه الله -:" (**مَا أَظْرَفَهُ**) أي ما أحسنه، والظرف عند العرب في اللسان والجسم وهو حسنهما" [المفهم ١/ ٣٥٧] .

وقال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" تجد الرجل عنده تفكير، وعنده تصرف جيد، ويقول الناس : ما أعقله وما أظرفه ولكن ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وإنما صلاحه صلاح ظاهره فقط، أما قلبه فخال من الأمانة، ومن الإيمان" [التعليق على مسلم ١/ ٤٥٦]

الفائدة السابعة: قوله - صلى الله عليه وسلم -:" **وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ** " فيه دليل على أن الأمانة من الإيمان.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" قوله - صلى الله عليه وسلم - " **مِنْ إِيمَانٍ** " قد يفهم منه أن المراد بالأمانة في الحديث الإيمان، وليس كذلك بل ذكر ذلك لكونها لازمة الإيمان" [الفتح ١١/ ٣٣٤].

الفائدة الثامنة: الحديث فيه بيان صورة من صور غربة الإسلام وأهله، وهي صورة ارتفاع الأمانة من القلوب حتى لا يبقى من أهل الأمانة إلا رجال معدودين، ولاشك أن فقدان خلق الأمانة دليل على فساد الزمان؛ لأن كثيراً من الحقوق التي لله تعالى والتي للناس متعلقة بالأمانة، فالأمانة خُلق عظيم **ومن مباحثها ما يلي:-**

- المبحث الأول: معنى الأمانة:

الأمانة لغة: الوفاء، وفي لسان العرب : والأمان والأمانة بمعنى ... والأمانة ضد الخيانة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الاصطلاح: لها تعريفات كثيرة، وتقدم قول القرطبي - رحمه الله -في تعريفها:" كل ما يوكل للإنسان حفظه، ويخلَّى بينه وبينه" [المفهم ١/ ٣٥٦].

– المبحث الثاني: أهمية الأمانة:

للأمانة أهمية عظيمة لتعلقها بشئون العباد الدينية والدنيوية، وجاءت نصوص الكتاب والسنة في كثير من المواطن تبيِّن أهميتها وفضلها والتحذير من مخالفتها، **ومما يبيِّن أهميتها:–**

١. الأمانة إحدى صفات أهل الفلاح

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (المؤمنون :١) ثم ذكر من صفاتهم: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ◈وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ◈أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ◈الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (المؤمنون من ٨ :١١) فجعل من صفات المفلحين المدركين لهذا النعيم الأمانة ورعايتها.

٢. الأمانة صفة الرسل والأنبياء

ففي آيات كثيرة جاء وصف الرسل والأنبياء بوصف الأمانة، ومن ذلك سورة الشعراء، ففي قول نوح ولوط وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام: ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** ﴾(الشعراء:١٠٧)، ولُقب محمد – صلى الله عليه وسلم – سيد الأنبياء بالأمين.

٣. الأمانة علامة الإيمان وبراءة من النفاق

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:" **وآية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان"**

٤. الأمناء هم أهل المسؤولية:

وهذا ما لا يغيب عن ذهن أي عاقل فإن أهم صفة يتميز بها من يوكل لأي عمل أن يكون أميناً عليه، فالأمانة ترفع منزلة أصحابها وثقة الناس بهم، ولذلك قالت ابنة شعيب: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴾ (القصص:٢٦)، وفي صحيح البخاري قال أبو بكر – رضي الله عنه – لزيد بن ثابت عندما أمره أن يجمع القرآن:" إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتتبع القرآن فاجمعه" وبوَّب البخاري لهذا الخبر بـ " باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً "

– المبحث الثالث: مجالات الأمانة:

للأمانة مجالات متعددة فهي كما تقدم ذات علاقة وطيدة بشؤون العباد الدينية والدنيوية.

قال القرطبي – رحمه الله –:" الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً" [الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٠٧]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذن: الأمانة شاملة لأمر الدين والدنيا على خلاف الفهم القاصر للأمانة عند كثير من الناس، حيث يحصرونها في أداء الإنسان للودائع المالية لأهلها، وهذا وإن كان من الأمانة إلا أنها صورة من صور عديدة يشملها مفهوم الأمانة.

ويمكن القول بأن للأمانة بشكل عام نوعين يدخل تحتهما عدة صور:

النوع الأول: الأمانة في حقوق الله تعالى، ويدخل فيها صور عديدة أعظمها التوحيد وحفظ جنابه، ثم بقية الفرائض والحدود، ولقد فسر كثير من السلف الأمانة في قوله تعالى:﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ**﴾ (الأحزاب :٧٢) بالفرائض كما روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن البصري، وقال قتادة: الأمانة هي الدين والفرائض والحدود.[تفسير ابن كثير ٦/ ٤٨٨- ٤٩٠]

فيدخل في ذلك أمانة الدعوة إلى الله وما يجب تجاهها من حقوق وواجبات كل بحسبه، وأمانة الجوارح في حفظ البصر والاستمتاع واللسان والفرج وسائر الجوارح.

والنوع الثاني: الأمانة في حقوق البشر، ويدخل فيها صور عديدة أيضاً وقد أمر الله تعالى بأدائها إلى أهلها فقال:﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** (النساء :٥٨)٠

ومن صورها: أمانة الودائع وحفظها لأهلها، وأمانة المجالس وما يدور فيها من أسرار، وأمانة العلاقات الأخوية كما يجري بين الأصحاب من أسرار وحقوق، وأمانة الأسرة الواحدة فيما بينهم: كأمانة الأسرار الزوجية بكتمانها، وفي صحيح مسلم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **إن من أعظم الأمانة** – بحذف المضاف أي أعظم صور خيانة الأمانة – **عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**" وكذلك :أمانة القيام بالواجبات الأسرية، وأمانة علاقات المجتمع فيما بينهم كأمانة المشورة والصدق فيها، وأمانة الجار مع جاره وأمانة صيانة أعراض المسلمين وستر عوراتهم والبعد عن غشهم، ونحو ذلك من صور حقوق البشر فيما بينهم.

– المبحث الرابع: عواقب تضيع الأمانة:

ضد الأمانة الخيانة، وللخيانة عواقب جائت في الكتاب والسنة، ومن ذلك:

١. أن الخيانة من صفات المنافقين، وتقدم حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -:" **آية المنافق ثلاث ومنها إذا أؤتمن خان**".

٢. **أن للخائن فضيحة يوم القيامة**، ففي الصحيحين قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" لكل غادر لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان بن فلان".

٣.عدم محبة الله تعالى للخائنين، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾(الأنفال :٥٨)

٤. الخيانة طريق من طرق النار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الله تعالى عن امرأتي نوح ولوط: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠)

-المبحث الخامس: ذهاب الأمانة من علامات الساعة:

وذلك حين لايبقى من الأمناء إلا قلة حتى يقال في بني فلان رجل أمين كما في حديث الباب، فتُرْفع الأمانة شيئاً فشيئا، ومن تأمل الزمان اتضح له الحال في كثير من صور الواقع، والله المستعان، وضياع الأمانة علامة من علامات الساعة، ففي صحيح البخاري قال - صلى الله عليه وسلم -:" **إذ ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**، قيل : وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: **إذا اسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**".

- المبحث السادس: الأمانة في القرآن جاءت على ثلاثة أوجه:

ذكرها ابن الجوزي - رحمه الله -عن بعض المفسرين:-

أحدها: الفرائض ومنه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(الأنفال:٢٧)

الثاني: الوديعة، ومنه قوله تعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾(النساء:٥٨)

الثالث: العفة، ومنه قوله تعالى:﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴾ (القصص:٢)·

---

٦٥ - بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ

١٠٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبا. فَطُوبىٰ لِلْغُرَبَاءِ**». رواه مسلم .

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم حديث (١٤٥)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الفتن " " باب بدأ الإسلام غريباً " حديث (٣٩٨٦)

شرح ألفاظ الحديث:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– (**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبا**): الغريب هو المفارق وطنه إلى وطن جديد ليس وطنه، وهذا المعنى ليس هو المراد في الحديث، وسيأتي في الفوائد المعنى المراد، ومعنى (**وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبا**)

– (**فَطُوبىٰ لِلْغُرَبَاء**): طوبى على وزن فعْلى من الطيب، وقيل المعنى: طيب العيش لهم وقيل: حسنى لهم، وقيل: خيراً لهم، وقيل: شجرة في الجنة، وقيل: الجنة، كل هذه الأقوال متقاربة يحتملها الحديث ولاتنافي بينها. [انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٣٥٢]

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث فيه الدلالة على غربة الإسلام أول ما ظهر حيث ظهر في قلة من الناس، ولذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – " **بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبا** "

قال القرطبي – رحمه الله –:" يُحتمل أن يراد بالحديث: المهاجرين، إذ تغربوا عن أوطانهم فراراً بأديانهم، فيكون معناه: أن آخر الزمان تشتد فيه المحن على المسلمين فيفرون بأديانهم، ويغتربون عن أوطانهم، كما فعل المهاجرون" [انظر المفهم ١/ ٣٦٣]

قال النووي – رحمه الله –:" قال القاضي: وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضاً " [انظر شرح النووي لمسلم ٢/ ٣٥٤]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على علم من أعلام النبوة، وآية من آيات النبي – صلى الله عليه وسلم –، حيث أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن شيء سيحدث في المستقبل وهو غربة الإسلام.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على ما سيؤول إليه حال الإسلام من الغربة لقوله: " **وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبا** " واختلف في معنى الغربة التي ستكون.

فقيل: المراد آخر الزمان تشتد المحن على المسلمين فيفرون بأديانهم، ويغتربون عن أوطانهم كما فعل المهاجرون، وتقدم ذلك في كلام القرطبي رحمه الله.

وقيل: إن الإسلام سيلحقه النقص والقلة حتى لا يكون إلا في آحاد الناس، وتقدم في كلام القاضي عياض – رحمه الله– .

وقيل: إن المراد أنه كما بدأ الإسلام غريباً لايُعرف ثم ظهر، فكذلك ستعود الغربة إليه بحيث لا يعرفه إلا قلة ثم يظهر.

وقيل: المراد به آخر الزمان بعد الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة، حيث لا يبقى على الإسلام إلا قليل يبعث الله ريحاً تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، ثم تقوم القيامة، وذكر القولين الأخيرين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال:" وقوله – صلى الله عليه وسلم –:" **وَثُم يَعُودُ غَرِيبا كَمَا بَدَأَ** " يحتمل شيئين... [ثم ذكر القولين السابقين إلى أن قال]... فأما بقاء الإسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا" أ. هـ ، واستدل بقول النبي – صلى الله عليه وسلم –:" **ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**" [انظر مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٩٦] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل فهم بعض العلماء أن قول النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبا** " يُعتبر بشارة لأهل الإسلام بنصرة الإسلام بعد غربته الثانية، كما انتصر بعد غربته الأولى.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة:" وقد رأى جماعة – منهم الشيخ محمد رشيد رضا – أن في الحديث بشارة بنصرة الإسلام بعد غربته الثانية آخذين من ذلك من التبشير في قوله - صلى الله عليه وسلم -" **وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبا** " فكما كان بعد الغربة الأولى عز للمسلمين وانتشار للإسلام، فكذا سيكون له بعد الغربة الثانية نصرة وانتشار، وهذا الرأي أظهر، ويؤيده ما ثبت في أحاديث المهدي ونزول عيسى -عليه السلام- آخر الزمان من انتشار الإسلام وعزة المسلمين وقوتهم، ودحض الكفر والكفرة، وبالله التوفيق" [فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ١٧٠].

الفائدة الرابعة: في الحديث بيان فضل الغرباء وهم المستمسكون بشرع الله، الباقون على سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وهم لقلتهم سمو غرباء، ويدخل في عموم هذا الوصف كل من كان مستمسكاً بعبادة سنة كانت أو دعوة، أو خُلقاً، أو علماً، والمستمسكون بالعقيدة الصحيحة أولى من دخل في وصف الغرباء فهم أهل الثبات على الحق وإن خالفهم الناس.

ومن فضائل الغرباء المستمسكين بالدين آخر الزمان ما يلي:-

أولاً: طوبى لهم كما في حديث الباب.

ثانياً: للعامل منهم أجر خمسين من الصحابة - رضي الله عنهم -

ويدل على ذلك: حديث أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :" **فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**، قلت: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: **أجر خمسين منكم**" رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني(صحيح الترغيب٣١٧٢)

قال ابن القيم - رحمه الله -:" وهذا الأجر العظيم إنما هولغربته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم" [مدارج السالكين ٣ / ١٩٩]

ثالثاً: أنهم هم الطائفة المنصورة.

ويدل على ذلك: حديث ثوبان - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" رواه مسلم، وعنة جابر - رضي الله عنه - مرفوعاً:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"رواه مسلم

رابعاً: أن لهم فضل العبادة زمن الفتن، وهو كهجرة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ويدل على ذلك: حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" **عبادة في الهرج كهجرة إلي**" رواه مسلم

قال ابن رجب - رحمه الله -:" وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهوائهم ولا يرجعون إلى دين؛ فيكون حالهم شبيهاً بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه، ويتبع مراضيه، ويجتنب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مساخطه، كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، مؤمناً به، متبعاً لأوامره، مجتنباً لنواهيه" [لطائف المعارف ١ / ١٣٨]

وقال النووي - رحمه الله -:" المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد" [شرح النووي لصحيح مسلم ٩/ ٣٣٩]

وفي قول النووي - رحمه الله -" ولا يتفرغ لها إلا الأفراد " إشارة إلى قلتهم وغربتهم في مجتمعاتهم فقد يكون العبد غريباً في عبادته، غريباً في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، غريباً في الدعوة عموماً، غريباً في تمسكه بالسنة، وبالجملة غريباً في ثباته على الحق الذي معه، ولشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كلاماً بديعاً في الغربة وبيان صفات الغرباء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:" ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً أن المتمسك به يكون في شر بل هو أسعد الناس كما في تمام الحديث " **فَطُوبىٰ لِلْغُرَبَاءِ** " و (**طُوبىٰ**) من الطيب.قال تعالى :﴿ **طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾ (الرعد : ٢٩) ، فإنه من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريباً، وهم أسعد الناس، أما في الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام، وأما في الدنيا فقد قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّـهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الأنفال :٦٤) ، أي أن الله حسبك وحسب متبعك، وقال تعالى:﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ (الأعراف: ١٩٦)، وقال تعالى:﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ (الزمر : ٣٦)، وقال جل شأنه:﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ (الطلاق:٢،٣) ، فالمسلم المتبع للرسول - صلى الله عليه وسلم - الله تعالى حسبه وكافيه وهو وليه حيث كان ومتى كان، ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالإسلام في بلاد الكفر لهم سعادة كلما كانوا أتم تمسكاً بالإسلام" [الفتاوى ١٨/٢٩١- ٢٩٢]

وقال ابن القيم - رحمه الله -:" ولقلتهم في الناس جداً سموا غرباء،فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء،وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة...

فالغربة ثلاثة أنواع: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بين هذا الخلق، وهي الغربة التي مدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهلها، وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه:" جاء غريباً ،وأنه سيعود غريباً كما بدأ "، وأن أهلها يصيرون غرباء، وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقاً، فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم، فيقال لهم: ألا تنطلقوا حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منا اليوم، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده، فهذه الغربة لاوحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي – صلى الله عليه وسلم –: التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم - ، لاشيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء على الجمر حقاً، وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم" [مدارج السالكين ٣/ ١٩٥- ١٩٨].

١٠٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**»

١٠٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**».

ترجمة راويي الحديثين:

ابن عمر -رضي الله عنهما -تقدمت ترجمته في الحديث السادس من كتاب الإيمان.

أبو هريرة - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه مسلم، حديث (١٤٦)، وانفرد به عن البخاري.

وأما حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - فأخرجه حديث (١٤٧)، وأخرجه البخاري في " كتاب فضائل المدينة " " باب الإيمان يأرز إلى المدينة " حديث (١٨٧٦)، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب المناسك " " باب فضل المدينة " حديث (٣١١١).

شرح ألفاظ الحديثين:

-(**يَأْرِز**): قال القرطبي - رحمه الله -:" قال أبو عبيد : أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض كما تنضم الحية في جحرها" [المفهم ١/ ٣٦٣]

- (**بين المسجدين**): يعني مسجدي مكة والمدينة.

من فوائد الحديثين:

الفائدة الأولى: الحديثان يدلان على فضل المدينة، وأنها مأوى الإيمان في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث مكث فيها أهلها، وهاجر إليها الناس من كل مكان، وأنها ستبقى في آخر الزمان مأوى الإسلام وأهله.

قال ابن بطال - رحمه الله -:" قال المهلب: فيه أن المدينة لايأتيها إلا مؤمن، وإنما يسوقه إليها إيمانه ومحبته في النبي - صلى الله عليه وسلم - فكأنما الإيمان يرجع إليها كما خرج منها أولاً، ومنها ينتشر كانتشار الحية من جحرها" [شرح البخاري لابن بطال ٤/ ٥٤٨]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي هذا دليل على فضيلة المدينة، وأنها في آخر الزمان ستكون مأوى الإسلام، كما أن الإسلام انتشر بقوته وجهاده من المدينة، بعد أن كوّن المسلمون دولة، وانتشر بعلمه من مكة لاشك" [التعليق على مسلم ١ / ٤٦٤]

فإن قيل: حديث ابن عمر - رضي الله عنهما- دل على أن الإيمان يأرز بين المسجدين فما الجواب؟

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" وهنا إشكال حيث قال " **بين المسجدين** " وفي حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - " **إِلَى الْمَدِينَةِ** " وهذا يمكن الجمع بينهما فيقال: بين المسجدين إما هذا وإما هذا، ويكون اللفظ الثاني قد عيَّن المدينة، مثل أن تقول: هذا الأمر بين فلان وفلان، أو بين رجلين يعني إما هذا وإما هذا، وعينه في اللفظ الثاني بأنه" **يَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ** " [المرجع السابق]

الفائدة الثانية: الحديثان دليلان على علم من أعلام نبوته - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر عن أمور مستقبلية.

باب ذهاب الإيمان آخر الزمان

١٠٨- عَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه - ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ: الله، الله**».رواه مسلم .

ترجمة راوي الحديث:

أنس بن مالك - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم حديث (١٤٨)، وانفرد به عن البخاري.

شرح ألفاظ الحديث:

- (**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ**): المراد يوم القيامة.

- (**حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ: الله، الله**): وفي الرواية الأخرى عند مسلم " **على أحد يقول الله الله** " ، وعند أحمد " **على أحد يقول: لا إله إلا الله** ".

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على أن الساعة تقوم على شرار الخلق الذين لا يعبدون الله ولا يدعونه، ودل على هذا المعنى أحاديث كثيرة منها حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -مرفوعاً:" **من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء** " رواه البخاري، وحديث ابن مسعود عند مسلم مرفوعاً:" لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق " وأما ما رواه أهل السنن:" **لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة** " فالمراد حتى يقترب وقتها أو حتى تقوم ساعتهم بموتهم فتأتي ريح اليمن تقبض أرواحهم ثم تقوم الساعة على شرار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخلق، ومما يدل على ذلك ما رواه مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:" **إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة إيمان إلا قبضته**" وأصرح منه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه -:" **إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة**" رواه مسلم.

قال النووي - رحمه الله -عن حديث الباب:" أما معنى الحديث فهو أن القيامة إنما تقوم على شرار الخلق" [شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٣٥٥]

وقال ابن حجر - رحمه الله -:" المراد بقوله في حديث عقبة - رضي الله عنه -:" **حتى تأتيهم الساعة** " ساعتهم وهي وقت موتهم بهبوب الريح والله أعلم" [الفتح ٣١/ ٧٧]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على إثبات الساعة.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على ذم آخر الزمان.

الفائدة الرابعة: الحديث فيه فضل الله تعالى على المؤمنين حيث أكرمهم بقبض أرواحهم بريح اليمن، وعدم قيام الساعة عليهم؛ لأنها تقوم على شرار الخلق الذين لا يقولون الله الله.

٦٧ - بَابُ الِاسْتِسْرَارِ لِلْخَائِفِ

١٠٩ - عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: «**أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الإِسْلاَمَ**» قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ ! أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمائَةِ؟ قَالَ: «**إِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ. لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا**» قَالَ، فَابْتُلِينَا. حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لاَ نُصَلِّي إِلاَّ سِرّا.

ترجمة راوي الحديث:

حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الثالث والسبعين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم حديث (١٤٩)،وأخرجه البخاري في " كتاب الجهاد " " باب كتابة الإمام " حديث (٣٠٦٠)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن " " باب الصبر على البلاء " حديث (٤٠٢٩).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**أَحْصُوا**): أي عدّوا، وجاء عند البخاري (**اكتبوا**)
- (**كَمْ يَلْفِظُ الإِسْلاَمَ**): أي كم شخصاً يتلفظ بكلمة الإسلام.
- (**أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمائَةِ؟**): جاء عند البخاري:" فكتبنا ألفاً وخمسمائة، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة" وفي رواية أخرى للبخاري " فوجدناهم خمسمائة"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال النووي - رحمه الله - في الجمع بين الروايات:" والجواب الصحيح إن شاء الله تعالى أن يقال: لعلهم أرادوا بقولهم:" ما بين الستمائة إلى السبعمائة " رجال المدينة خاصة، وبقولهم:" فكتبنا له ألفاً وخمسمائة هم مع المسلمين حولهم" [شرح النووي لصحيح مسلم (٢/٣٥٧)]

وقيل: الاختلاف سببه تعدد كتابة العدد في أكثر من موطن. [انظر الفتح (٦/ ١٧٨)]

- (**فَابْتُلِينَا،حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لاَ نُصَلِّي إِلاَّ سِرّا**): أي وقع لهم الابتلاء حتى وصل الحال بهم إلى إخفاء الصلاة خشية الضرر.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على جواز الاستسرار في الدين للخائف على نفسه، سواء كان ذلك في الدعوة إلى الله، أو في شعيرة من شعائر الدين كالصلاة مثلاً كما في حديث الباب، قال حذيفة - رضي الله عنه - :" حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لاَ نُصَلِّي إِلاَّ سِرّا "

واختلف متى كان هذا:

قال النووي - رحمه الله - :" فلعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكان بعضهم يخفي نفسه ويصلي سراً مخافة من الظهور والمشاركة في الدخول في الفتنة والحروب والله أعلم" [شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٣٥٧)].

وقال القرطبي - رحمه الله -:" يعني بذلك والله أعلم ما جرى لهم أول الإسلام بمكة حين كان المشركون يؤذونهم ويمنعونهم من إظهار صلاتهم حتى كانوا يصلون سرا" [المفهم(١/ ٣٦٥)]

ويردّ قول القرطبي - رحمه الله -ظاهر الرواية أن ابتلاءهم كان بعد صدر الإسلام لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لهم:" **لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا** "وأيضاً روايات الحديث في ذكر العدد فهو كثير على أول الإسلام.

قال ابن حجر - رحمه الله -": أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان- رضي الله عنه - من ولاية بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها، وكان بعض الورعين يصلي وحده سراً ثم يصلي معه خشية من وقوع الفتنة، وقيل: كان ذلك حين أتمَّ عثمان - رضي الله عنه - الصلاة في السفر وكان بعضهم يقصر سراً وحده خشية الإنكار عليه، ووهم من قال أن ذلك كان أيام قتل عثمان - رضي الله عنه - لأن حذيفة - رضي الله عنه - لم يحضر ذلك"[الفتح (٦/١٧٨)]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على علم من أعلام النبوة حيث أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمر مستقبلي وقد وقع.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" وفي ذلك علم من أعلام النبوة من الإخبار بالشيء قبل وقوعه، وقد وقع أشد من ذلك بعد حذيفة - رضي الله عنه - في زمن الحجاج وغيره" [انظر الفتح (٦/ ١٧٨)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة: في الحديث الحذر من الإعجاب بالكثرة فإن العبد لا يعلم بما سيؤول له أمره وأنه قد يبتلى، وهو يظن أنه لن يبتلى ولربما استهان بموضع من مواضع الفتنة ظناً منه أنه يستطيع الاحتراز منه فيبتلى ويقع في الفتنة، ومن تأمل واقعه والناس من حوله وجد شيئاً من ذلك.

٦٩ - بَابُ زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ

١١٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**». قَالَ: «**وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**».

ترجمة راوي الحديث:

أبوهريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم حديث (١٥١)، وأخرجه البخاري في " كتاب التفسير " " باب "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ**" (البقرة:٢٦٠) حديث (٤٥٣٧)، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الفتن " " باب الصبر على البلاء" حديث (٦٠٩٤)، وسيأتي تخريج مسلم له مرة أخرى في " كتاب فضائل إبراهيم عليه السلام".

شرح ألفاظ الحديث:

- (**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ**): قال ابن حجر - رحمه الله -:" واختلف في معنى قوله - صلى الله عليه وسلم -" **نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ**" فقال بعضهم معناه: نحن أشد إشتياقاً إلى رؤية ذلك من إبراهيم عليه السلام، وقيل: معناه إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى بالشك، أي لوكان الشك متطرقاً إلى الأنبياء عليهم السلام لكنت أنا أحق به منهم وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك، وإنما قال ذلك تواضعاً منه، أو من قبل أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم، وهو كقوله في حديث أنس - رضي الله عنه - عند مسلم" أن رجلاً قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - يا خير البرية، قال- صلى الله عليه وسلم - :" **ذاك إبراهيم** ".

وقيل: إن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس شك إبراهيم ولم يشك نبياً، فبلغه ذلك فقال:" **نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ** " وأراد ما جرت به العادة من المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً، قال مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي، ومقصوده (لاتقل ذلك).

وقيل: أراد بقوله: نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وإخراجه منه بدلالة العصمة، **وقيل**: معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان" [الفتح(٦/٤١٢)]

وفي معناها أقوال أخرى ما تقدم أشهرها، وخلاصتها نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء، فالشك لا يقع ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة؟

وطلبه ذلك أراد به زيادة الإيمان والانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين، وطمأنينة القلب ولذا قال:﴿**وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾

- (**وَيَرْحَمُ اللّهُ لُوطا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**): قال النووي - رحمه الله -:" المراد بالركن الشديد، هو الله سبحانه وتعالى، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها، ومعنى الحديث والله أعلم، أن لوطاً عليه السلام لما خاف على أضيافه، ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين، ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم، فغلب ذلك عليه، فقال في ذلك الحال: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوي إلى عشيرة تمنع لمنعتكم، وقصد لوط عليه السلام إظهار العذر عند أضيافة، وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما لفعله، وأنه بذل وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم، ولم يكن ذلك إعراضاً منه - صلى الله عليه وسلم - عن الإعتماد على الله تعالى، وإنما كان لما ذكرناه من تطييب قلوب الأضياف" [شرح النووي لصحيح مسلم(٢/٣٦٢)]

وعليه فمعنى الركن الشديد في الآية :﴿**لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾ (هود: ٨٠)، ﴿ **رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾ :هم العشيرة التي تدافع عنه فليس له عشيرة، والمراد بالركن الشديد في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - بالحديث :" **لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**" هو الله تعالى.

- (**وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**): قال النووي - رحمه الله -:" هو ثناء على يوسف عليه الصلاة والسلام، وبيان لصبره وتأنيه، والمراد بالداعي رسول الملك الذي أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال:﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ (يوسف: ٥٠) فلم يخرج يوسف - عليه السلام - مبادراً إلى الراحة ومفارقة للسجن الطويل، بل تثبت وتوقر وراسل الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه ، ولتظهر براءته عند الملك وغيره ، ويلقاه مع اعتقاده براءته مما نسب إليه، ولاخجل من يوسف ولاغيره،فبيَّن نبينا - صلى الله عليه وسلم - فضيلة يوسف - عليه السلام - في هذا وقوة نفسه في الخير وكمال صبره وحسن نظره، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه ما قال تواضعاً وإيثاراً للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف - عليه السلام - والله أعلم." [شرح النووي لصحيح مسلم (٢/٣٦٢)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث مثال عظيم من أمثلة تواضع النبي - صلى الله عليه وسلم - ودفاعه عن إخوانه ونفيه الشبهة عن الأنبياء إبراهيم ولوط ويوسف - عليهم الصلاة والسلام- وتقدم بيان ذلك بجلاء في شرح ألفاظ الحديث، ففي قول إبراهيم - عليه السلام - بيَّن أن قوله ليس شكاً كما يفهمه البعض بل طلب لزيادة الإيمان واطمئنان القلب، وأن قول لوط - عليه السلام - لا يفهم منه عدم الاعتماد على الله تعالى؛ بل لأن ليس له عشيرة تدافع عنه، وأن قول يوسف - عليه السلام - دليل على ثباته وصبره حيث لم يجب الداعي ولو كان مكانه لأجابه، قال ذلك تواضعاً، وإظهاراً لفضل أخيه، مع أنه - صلى الله عليه وسلم - بلا شك أفضل منه، ومثله حين نهى عن مفاضلته بيونس - عليه السلام - ففي الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :" **ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى** " مع أنه - صلى الله عليه وسلم -أفضل الأنبياء بلاشك، وفي هذا أدب يتعلمه المسلم فيتواضع لإخوانه ويقدمهم عليه ويثني عليهم بما فيهم كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في ثناءه على صبر وثبات يوسف - عليه السلام - في حديث الباب.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، ومن ذلك التأمل في آيات الله تعالى التي فيها إحياء الأموات، وفي حديث الباب طلب إبراهيم - عليه السلام - من ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى ليزداد إيمانه ويطمئن قلبه، وتقدم الحديث عن معتقد أهل السنة من أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الفائدة الثالثة: في طلب إبراهيم عليه السلام دلالة على أن عين اليقين أقوى من خبر اليقين، وهو ما أراده إبراهيم عليه السلام فهو موقن بخبر الله تعالى أنه يحيي الموتى ولكنه أراد عين اليقين بأن يرى ذلك وليس الخبر كالمعاينة **واليقين كما ذكر العلماء له ثلاث درجات دلت عليها الآيات علم اليقين وأقوى منه عين اليقين وأقوى منه هو حق اليقين ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾** (الواقعة:٩٥)

ومثال ذلك: قول الثقة لك عندي تفاحة حلوة هذا علم اليقين، فإن أراك إياها فهذا عين اليقين، فإن أعطاك إياها لتأكلها ووجدتها كما وصفها فهذا حق اليقين.

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على إثبات صفة الكلام لله تعالى حيث قال:﴿ **قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ** ﴾ وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله عزوجل يتكلم وأن كلامه بصوت وحرف، وأن القرآن كلامه منَّزل غير مخلوق، وكلام الله صفة ذاتية فعلية، فهو متكلم سبحانه ولم يزل متكلماً، وتقدم الكلام عن هذه الصفة والأدلة عليها من الكتاب والسنة في حديث "**ثلاثة لا يكلمهم** ..." الحديث

٧٠ - بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١١١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ- صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيَ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٥٢)، وأخرجه البخاري في " كتاب فضائل القرآن " " باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل" حديث (٤٩٨١).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ**): الآيات العلامات والمقصود ما يأتي به الأنبياء من خوارق العادات.

- (**مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ**): أي أن كل نبي أعطي آية أو أكثر، تجعل من يشاهدها يؤمن بنبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - من البشر.

- (**وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ**): قال النووي - رحمه الله -:" اختلف فيه على أقوال؛ **أحدها**: أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء، فآمن به البشر، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يُعط أحد مثله، فلهذا قال أنا أكثرهم تابعاً...

والثاني: معناه أن معجزات الأنبياء -عليهم السلام- انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا - صلى الله عليه وسلم - القرآن المستمر إلى يوم القيامة، مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يتوا بسورة من مثله، مجتمعين أو متفرقين، في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة" [شرح النووي لصحيح مسلم (٢/٣٦٤)]

والمعنى الأخير هو الأظهر، واختاره ابن حجر - رحمه الله -قال بعدما أورده:" وهذا أقوى المحتملات وتكميله في الذي بعده، وقيل المعنى: أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن، تُشاهد بالبصيرة فيكون من اتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً" [الفتح (٩/٧)]

وليس المراد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يؤت بآية إلا القرآن، وإنما ذكرت هنا لأنها هي الآية العظمى والأعم والأبقى.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" وليس المراد حصر معجزاته فيهن ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره" [الفتح (٩/٦)]

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" والحصر هنا إضافي؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوتي من الآيات غير القرآن، لكنه حصر الآيات بالقرآن؛ لأنه أعمها وأشملها وأبقاها... لأن القرآن بقي ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر:٩) ، والآيات الأخرى كلها زالت. فمثلاً من آيات الرسول - صلى الله عليه وسلم -أنه دخل رجل يوم الجمعة، فسأل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وسأل الله أن يغيثه فرفع يديه وأغاثهم الله قبل أن ينزل من المنبر، نحن الآن وصلتنا هذه الآية عن طريق الخبر، ومن المعلوم لو أننا كنا شاهدناها؛ لكنا أكثر إيماناً مما لو سمعناها لاشك... كل الآيات التي مضت في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - زالت عنا باعتبار المشاهدة لكن القرآن باق بين أيدينا لكننا فقدنا طعمه ولم نذقه؛ لأننا لا نقرأ على الوجه الذي أراد الله تعالى منا:﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ** ﴾ لماذا ؟ ﴿**لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (ص:٢٩) فهذا القرآن آية إلى أن يأذن الله سبحانه وتعالى برفعه؛ لأنه قد وردت آثار بأنه سيرفع عند قيام الساعة من المصاحف والصدور، وهذا والله أعلم إذا أعرض الناس عنه إعراضاً كلياً، لايتلونه تلاوة لفظية ولا معنوية، ولا عملية يرفعها الله؛ لأنه أكرم من أن يبقى بين أناس لا يبالون به، ولا يهتمون به، كما أن الكعبة في آخر الزمان تهدم، لأن أهلها ينتهكونها ولا يعطونها حقها من الحرمة" [التعليق على مسلم (١/٤٨٥-٤٨٧)]

- (**فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**): لأن آيته - صلى الله عليه وسلم - القرآن باقية مستمرة فسيستمر تتابع الأتباع وكثرتهم إلى قيام الساعة.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على إثبات الآيات للأنبياء وهذا من رحمة الله تعالى وفضله على الأمم حيث جعل مع كل نبي آية أو أكثر، وهي الفارقة بين النبي حقاً وبين من يدَّعي النبوة، إذ لا نبي إلا وقد أوتي آية أو أكثر كما هو ظاهر الحديث، والتعبير بلفظ الآيات أولى من التعبير بالمعجزات.

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" وما اشتهر من العلماء بتسميتها بالمعجزات ففيه قصور وذلك لأن المعجزات يدخل فيها معجزات السحرة، وخوارق الشياطين... **فالتعبير بالآيات خير من التعبير بالمعجزات لسببين:**

أولاً: لأنه اللفظ الذي جاء في الكتاب والسنة.

ثانياً: لا يرد عليه مثل الخوارق التي تكون من السحرة والشياطين" [التعليق على مسلم(١/٤٨٤)]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن القرآن الكريم هو الآية العظمى التي أوتيها نبينا - صلى الله عليه وسلم -، وتقدم بيان وجه ذلك، **وخلاصة القول أن سبب تميز آية النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم عن آيات الأنبياء ما تقدم في كلام الأئمة:**

١. أن القرآن الكريم آية مستمرة إلى يوم القيامة فهي باقية على مر العصور، وآيات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. أن القرآن الكريم آية تُشاهد بالبصيرة، وآيات الأنبياء حسية تُشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصى موسى، وفرق بين مايشاهد بعين الرأس ينقرض بإنقراض مشاهدته، وما يُشاهد بعين العقل فهو باق، يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً، ولذا كان نبينا - صلى الله عليه وسلم - أكثر الأنبياء تابعاً.

الفائدة الثالثة: الاقتصار على ذكر القرآن الكريم في حديث الباب دون غيرها من الآيات التي أعطيها نبينا - صلى الله عليه وسلم - لايدل على الحصر كما تقدم؛وإنما لأنها آية اتسمت بالشمول والعظمة، والبقاء والتحدي للثقلين الإنس والجن أن يأتوا بمثلها، بخلاف غيرها من آياته وآيات الأنبياء من قبله.

قال ابن بطال - رحمه الله -في حديث الباب:" صدق بتلك الآيات لإعجازها لمن شاهدها، كقلب العصا حية، وفلق البحر لموسى - عليه السلام - ، وكإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى - عليه السلام - ، وكان الذي أعطيته أنا وحياً أوحاه الله إليَّ فكان آية باقية دُعي إلى الإتيان بها أهل التعاطي له، ومن نزل بلسانهم، فعجزوا عنه، ثم بقي آية ماثلة للعقول إلى من يأتي إلى يوم القيامة، يرون إعجاز الناس عنه رأي العينن والآيات التي أوتيها غيره من الأنبياء قبله رُئي إعجازهم في زمانهم، ثم لم تصحبهم مدة إلا حياتهم، وانقطعت بوفاتهم، وكان القرآن باقياً بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -" [شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٣٣٠)]

ولقد أبقى الله تعالى القرآن الكريم آية محفوظة خالدة إلى قيام الساعة فقال تعالى:﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(الحجر:٩)، **وتحدى بها الثقلين على مر العصور إلى قيام الساعة على عدة أوجه:**

- تحداهم بالقرآن كله فقال:﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾(الإسراء:٨٨)
- وتحداهم بأقل من ذلك بأن يأتوا بعشر سور مثله فقال تعالى:﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (هود:١٣)
- وتحداهم بأقل منه بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، فقال الله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(البقرة:٢٣)

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على أن الأنبياء - عليهم السلام - يتفاوتون في عدد أتباعهم ويدل على ذلك أيضاً حديث ابن عباس -رضي الله عنهم - في الصحيحين قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك** " الحديث.

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة، ويدل على ذلك أيضاً حديث ابن عباس السابق، وما جاء في الصحيحين من قوله - صلى الله عليه وسلم -:"**والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**"، وما رواه أحمد وابن ماجه من حديث بريدة - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم**" صححه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٢٨٩) وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند(٢٢٩٩٠): أن إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح"

وذكر ابن القيم - رحمه الله -أنه لا تنافي بين العدد في الحديثين وعلل ذلك بقوله:" لأنه رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة وأعطاه الله سبحانه وتعالى رجاءه وزاده عليه سدساً آخر" [حادي الأرواح ص (٨٥)]

الفائدة السادسة: الحديث دليل على أن القرآن سبب لكثرة الأتباع، لعموم نفعه، وتأثيره على تاليه وسامعه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته، وعموم نفعه لاشتماله على الدعوة والإخبار بما سيكون فعمّ نفعه من حضر ومن غاب، ومن وُجد ومن سيوجد، فَحسُنَ ترتيب الرجوى المذكور على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت فإنه - صلى الله عليه وسلم -أكثر الأنبياء تبعاً" [الفتح(٧/٩)]

الفائدة السابعة: الحديث علم من أعلام النبوة حيث أخبر بكثرة الأتباع رغم قلتهم حينما قال ذلك.

قال النووي - رحمه الله -:"(**فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعا**) علم من أعلام النبوة فإنه أخبر - صلى الله عليه وسلم - بهذا في زمن قلة المسلمين، ثم منَّ الله تعالى وفتح على المسلمين وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الأمر في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة ولله الحمد [انظر شرح النووي لصحيح مسلم(٢/ ٣٦٥)].

١١٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». **رواه مسلم** .

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم حديث (١٥٣)، وانفرد به عن البخاري.

شرح الفاظ الحديث:

-(**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**): هذا حلف بالله تعالى، فهو الذي بيده كل نفس جلّ وعلا.

-(**لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ**): المراد به السماع الذي يكون فيه بيان الأمر لا مجرد السماع.

-(**مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ**): أصل الأمة الجماعة، وتطلق الأمة ويراد بها: (**أمة الإجابة**) وهم المسلمون كقوله - صلى الله عليه وسلم -:" **شفاعتي لأمتي** "، وأحياناً يراد بها: (**أمة الدعوة**) وهم كل من أرسل إليهم رسول ليدعوهم، وهي المرادة هنا، فالأمة في حديث الباب أمة الدعوة الموجودة في زمنه ومن سيوجد إلى يوم القيامة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-(**وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**): من الشرع في الكتاب والسنة، وأنه - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على نسخ جميع الرسالات برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعليه فيجب على كل عبد أن يؤمن بشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - ليحقق الإسلام، يهودياً كان أو نصرانياً أو غيرهما من ملل الكفر، فإن قيل: لم خصَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود والنصارى في حديث الباب؟

فالجواب: قال النووي - رحمه الله -:" وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاب، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى"[شرح النووي لصحيح مسلم(٢/٣٦٥)]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - عامة لجميع الناس إلى قيام الساعة، وهذا من خصائص دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾(الأعراف:١٥٨)، وقال الله تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وجاء في الصحيحين مايؤيد ذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي**" وفيه " **وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**" وفي رواية لمسلم" **وبعثت إلى كل أحمر وأسود**" وفي رواية " **وأرسلت إلى الخلق كافة**"

الفائدة الثالثة: الحديث في مفهومه دليل على أن من لم تبلغه الدعوة فهو معذور، لأن الوعيد في الحديث لمن سمع بالرسالة ولم يؤمن بها، بخلاف من لم تبلغه.

قال القرطبي - رحمه الله -:" وفيه دليل على أن لم تبلغه دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أمره لاعقاب عليه، ولامؤاخذة، وهذا كما قال تعالى:﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ (الإسراء:١٥)" [المفهم (١/٣٦٨)]

واختلف أهل العلم فيمن لم تبلغه الدعوة ومات على ذلك وكذلك أطفال المشركين على أقوال ذكرها ابن القيم - رحمه الله -بأدلتها:

أحدها: الوقف، وترك الشهادة بأنهم في الجنة أو في النار.

والثاني:أنهم في النار.

والثالث: أنهم في الجنة.

والرابع: أنهم في منزلة بين المنزلتين بين الجنة والنار.

والخامس: أنهم تحت مشيئة الله تعالى.

والسادس: أنهم خدم أهل الجنة ومماليكهم.

والسابع: أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة.

والثامن: أنهم يمتحنون في عرصة القيامة، واختاره ابن القيم - رحمه الله -حيث قال:" المذهب الثامن أنهم يمتحنون في عرصات القيامة ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عصاه أدخله النار، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث... وقد جاءت بذلك آثار كثيرة يؤيد بعضها بعضاً " [انظر طريق الهجرتين الأقوال بأدلتها " فصل في مراتب المكلفين في الدار الآخرة(١/ ٥٧٠)]

وسئل الشيخ ابن باز - رحمه الله -:" **ما مصير من لم يبلغ بالإسلام يوم القيامة، باعتباره لم يتبلغ ولم يعرف الإسلام؟**

فأجاب - رحمه الله -:" **هذا حكمه حكم أهل الفترة الذين لم تبلغهم رسالة الرسل عليهم السلام، وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن نجح منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، فمن لم تبلغه دعوة الإسلام ممن يكون نشأ في جاهلية بعيدة عن المسلمين، كما في زمانان مثلاً في أطراف أمريكا أو شواطئ إفريقيا البعيدة عن الإسلام، أو ما أشبه ذلك من الجهات التي لم تبلغها الإسلام، فهذا يمتحن يوم القيامة**" [مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء الثامن، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة (٢/١٥٠)]

أما في الدنيا فإننا نحكم عليهم بأنهم كفار كما هو ظاهر لنا، لأن كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر، وإنما مصيرهم في الآخرة فإلى الله تعالى.

قال ابن القيم - رحمه الله -:" والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولايعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل فهذا مقطوع به في جملة الخلف، وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا؟ فذلك مالا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر" [طريق الهجرتين (١/٦١٠)]

وقال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" وظاهر الحديث أن مجرد السماع تقوم به الحجة؛ لأنه قال" **لاَ يَسْمَعُ بِي**" ولكن قيّد هذا الإطلاق بسماع يبين به الأمر؛ لقوله تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ** ﴾ لماذا؟ ﴿ **لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ (إبراهيم:٤) فلابد أن يحصل البلاغ الذي تقوم به الحجة... وأما الذين في أوربا وغيرها ممن لم يصل إليهم الإسلام إلا مشوهاً، فهل يُعذبون؟

فنقول في هؤلاء: هم الآن يدينون بالكفر، ويرون أنهم طرف نقيض مع الإسلام، فنحن نحكم عليهم بأنهم كفار في الظاهر، فإذا لم تبلغهم الدعوة على وجه تقوم به الحجة، فأمرهم إلى الله يوم القيامة؛ لكن نحن نعاملهم الآن بما تقتضيه حالهم؛ لأنهم كفار" [التعليق على مسلم(١/٤٩٠-٤٩١)]

الفائدة الرابعة: قوله - صلى الله عليه وسلم -:" **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ** " فيه جواز الحلف من غير استحلاف لاسيما في الأمور المهمة.

الفائدة الخامسة: قوله - صلى الله عليه وسلم -" **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ** " فيه إثبات اليد لله تعالى إثباتاً يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف، ولاتعطيل، وهي صفة ذاتية خبرية دلّ عليها الكتاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسنة والإجماع، قال تعالى:﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ (المائدة:٦٤) ومن السنة حديث الباب، وأجمع السلف على ثبوتها.

وخالف أهل السنة والجماعة المعطلة من الجهمية والمعتزلة الذين يؤولون صفة اليدين ويقولون المراد بها في النصوص؛ القدرة أو النعمة، أو القدرة والنعمة، والرد عليهم من وجوه أشهرها:

١. أن تفسير اليد بالقدرة والنعمة مخالف لظاهر لفظ الآية، ولادليل على هذا التأويل.

٢. أنه مخالف لإجماع السلف، فلايعرف أحدٌ أولها بالقدرة والنعمة.

٣. أن تأويلها بالقدرة والنعمة ممتنع في بعض الآيات كقوله تعالى:﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾(ص:٧٥)، وقوله ﴿**يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ مما يدل على أنهما يدان اثنان، وتأويلهما بالنعمة يلزم أن تكون النعمة نعمتين فقط وهذا ممتنع؛ لأن نعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى قال تعالى:﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ (إبراهيم:٣٤) وتأويلها بالقدرة يلزم أن يكون له سبحانه قدرتان، ولا يجوز أن يكون له سبحانه قدرتان بإجماع العلماء.

٤. أن الله تعالى يقول:﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ (ص:٧٥) ولو كان المراد باليد القدرة لما كان لآدم- عليه السلام - فضل على غيره؛ لأن الخلق كلهم خلقوا بقدرة الله تعالى، بل لم يكن لآدم - عليه السلام - فضل على إبليس فإبليس خلق بقدرة الله أيضاً، والله تعالى ذكر ذلك مزية لآدم وأنه خلقه بيديه.

٥. أن اليد التي أثبتها الله تعالى لنفسه جاءت في الأدلة مقرونة بأمور كثيرة، تدل على أنها يد حقيقية، فجاءت على وجوه يمتنع تأويلها بالقدرة والنعمة؛ حيث جاءت مقرونة بالطي، والقبض، والبسط واليمين، والنعمة، والقدرة لا توصف بهذه الأوصاف.

١١٣- عَنْ أَبِي مُوسَىٰ- رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكتاب آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا. ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا. ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ**»، ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ لِلْخُرَاسَانِيِّ: خُذْ هٰذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ. فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هٰذَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

ترجمة راوي الحديث:

أبوموسى الأشعري - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الثاني والسبعين.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم حديث (١٥٤)، وأخرجه البخاري في " كتاب العلم" " باب تعليم الرجل أمته وأهله" حديث (٩٧)، وأخرجه الترمذي في " كتاب النكاح" " باب ما جاء في الفضل في ذلك " حديث (١١١٦)، وأخرجه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النسائي " كتاب النكاح" " باب عتق الرجل جاريته ثم يتزوجها " حديث (٣٣٤٤) وابن ماجه : كتاب النكاح " " باب الرجل يعشق أمته ثم يتزوجها" حديث(١٩٥٦).

شرح ألفاظ الحديث:

-(**ثَلاَثَةٌ**): أي ثلاثة أصناف، والعدد لايدل على الحصر وإنما الإخبار عن الثلاثة أصناف المراد ذكرها، بدليل ورود نصوص أخرى بنفس الثواب لأصناف آخرين سيأتي ذكرهم.

- (**رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكتاب**): وكذلك المرأة تدخل في الفضل، وذكر الرجل للتغليب،(أَهْلِ الكتاب) هم الذين أنزل عليهم الكتاب، التوراة على موسى عليه السلام والإنجيل على عيسى عليه السلام وأهل الكتاب أقوامهم اليهود والنصارى. وقيل المراد بأهل الكتاب أهل الإنجيل خاصة لأن النصرانية ناسخة لليهودية، فمن لم يكن مؤمناً بعيسى من بني إسرائيل فليس بمؤمن وهو على باطل لا على حق ويستثنى من ذلك من كان يهودياً وليس من بني إسرائيل؛ لأن عيسى - عليه السلام - إنما أرسل إلى بني إسرائيل بلا خلاف، ويستثنى أيضاً من لم تبلغه دعوة عيسى - عليه السلام -.[انظر الفتح (١/١٩٠)]

- (**فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ**): يحتمل أن تكون الألفاظ بمعنى واحد المراد بها التأكيد، ويحتمل أن الإيمان التصديق برسالت، والاتباع لزوم العمل بشريعته، والتصديق تصديقه بكل ما جاء به من أحكام.

- (**وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ**): وكذلك الأمة داخلة في الفضل، وفائدة ذكر " مَمْلُوكٌ" بعد " وَعَبْدٌ" حتى لا يتوهم بأن المراد بالعبودية العبودية العامة لله تعالى، وإنما المراد الرقاق.

- (**فَغَذَاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا**): أي أطعمها فأحسن إطعامها، ومن ذلك ألا يدعها تجوع.

- (**خُذْ هٰذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ**): بغير شيء من الأمور الدنيوية، وإلا فالثواب الأخروي حاصل له.

- (**فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هٰذَا إِلَى الْمَدِينَةِ**): أي قد كان يُرحل لأجل ما هو أقل أهمية من هذا الحديث من الكوفة إلى المدينة النبوية.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه ثم آمن بنبينا - صلى الله عليه وسلم - فإن له أجرين، وذهب بعض أهل العلم ومنهم الكرماني إلى أن هذا الفضل خاص بمن آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في زمن بعثته أما من آمن من أهل الكتاب بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا يدخل في الفضل؛ لأن نبيهم بعد البعثة هو محمد - صلى الله عليه وسلم -، والقول الثاني أنه يدخل لعدم المخصص واختاره ابن حجر - رحمه الله -[انظر الفتح (١/١٩١)]

والحكمة من المضاعفة: أن الأجر الأول ترتب على إيمانه بنبيه قبل النسخ، والأجر الثاني لإيمانه بمحمد - صلى الله عليه وسلم -.

قال النووي - رحمه الله -:" فيه فضيلة من آمن من أهل الكتاب بنبينا - صلى الله عليه وسلم -، وأن له أجرين، لإيمانه بنبيه قبل النسخ، والثاني لإيمانه بنبينا - صلى الله عليه وسلم -" [شرح النووي لصحيح مسلم (٢/٣٦٥)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وظاهر الحديث أن من انتسب لأهل الكتاب ولم يكن إنتمائه للحق الذي جاء به نبيه وإنما على عقيدة محرمة فإنه لا يدخل في فضل الأجرين، وإن زعم أنه من أهل الكتاب، لقوله - صلى الله عليه وسلم - " **رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكتاب آمَنَ بِنَبِيِّهِ** " ومن لم يكن على ما جاء به نبيه فإنه لم يؤمن به.

قال القرطبي - رحمه الله -:" وأما من اعتقد الإلهية لغير الله تعالى كما تعتقده النصارى اليوم، أو مَن لم يكن على حق في ذلك الشرع الذي ينتمي إليه، فإذا أسلم جبَّ الإسلام ما كان عليه من الفساد والغلط، ولم يكن له حق يؤجر عليه إلا الإسلام خاصة والله أعلم" [المفهم (٣٦٩/١)]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على فضل العبد المملوك القائم بحق الله تعالى وحق سيده، فإن له أجرين، وجاءت أدلة أخرى في الصحيحين تدل على هذا الفضل، منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً:" **إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين**" متفق عليه، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **للعبد المملوك المصلح أجران**" متفق عليه، وعن أبي موسى - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **المملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران**" رواه البخاري .

قال ابن عبد البر - رحمه الله -:" معنى هذا الحديث عندي أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان، طاعة ربه في العبادات، وطاعة سيده في المعروف، فقام بهما جميعاً، كان له نصف أجر الحر المطيع لطاعته، لأنه قد ساواه في طاعة الله، وفضل عليه بطاعة من أمره الله بطاعته"[التمهيد (٢٢٦/١٤) وانظر الفتح(١٧٦/٥)]

قال ابن حجر - رحمه الله -:" الذي يظهر أن مزيد الفضل للعبد الموصوف بالصفة لما يدخل عليه من مشقة الرقة وإلا فلو كان التضعيف بسبب اختلاف جهة العمل لم يختص العبد بذلك"[الفتح (١٧٦/٥)]

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على فضل من أعتق مملوكته بعدما أحسن إليها وتزوجها، فإن له أجرين، **الأول**: بما له عليها من فضل العتق، **والثاني**: بفضل التزوج بها وهذا من تواضعه لتركه ذات الحسب والشرف وتزوجه بالتي أعتقها.

قال ابن بطال - رحمه الله -:" والذي يعتق أمته فيتزوجها فله أجر العتق والتزويج، وأجر التأديب والتعليم ومن فعل هذا فهو مفارق للكبر، آخذ بحظ وافر من التواضع، وتارك للمباهاة بنكاح ذات شرف ومنصب"

[شرح صحيح البخاي لابن بطال (١٧٣/١)]

وقال العيني - رحمه الله -بعدما رجح أن ترتب الأجرين على العتق والتزويج:" فإن قلت لِمَ لم يعتبر إلا اثنتان ولم يعتبر الكل؟ قلت: لأن التأديب والتعليم يوجبان الأجر في الأجنبي والأولاد وجميع الناس فلم يكن مختصاً بالإماء، فلم يبق الاعتبار إلا في الجهتين وهما العتق والتزوج، فإن قلت إذا كان المعتبر أمرين، فما فائدة ذكر الأمرين الآخرين؟ قلت لأن التأديب والتعليم أكمل للأجر إذا تزوج المرأة المؤدبة المعلمة أكثر بركة وأقرب إلى أن تعين زوجها على دينه"[عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨٤/٣)]

والرجل في نكاح أمته له ثلاث أحوال:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" **وأعلم أن الرجل مع أمته له أحوال:**

الحال الأول: أن يتزوجها – وهي ملكه – فالنكاح باطل؛ لأنه لا يُرد الأضعف على الأقوى، وملكها باليمين أقوى من ملكها بالنكاح، ونقول له هذه المرأة تحل لك بدون عقد نكاح لأنها أمتك.

الحال الثانية: أن يعتقها، ويجعل عتقها صداقها، فهذا جائز، كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع صفية بنت حيي -رضي الله عنها-.

الحال الثالثة: أن يعتقها على أنها تحررت نهائياً، ثم بعد ذلك يتزوجها، ويكون وليها أباها – إن كان موجوداً – أو ابنها – إن كان لها ابن – أو أحد أوليائها من العصبة، أو سيدها؛ لأن ولاية الولاء تأتي بعد ولاية النسب، وهذا موضوع حديثنا الآن، وهو جائز، ولمن أعتقها ثم تزوجها أجران: أجر العتق أولاً، ثم أجر تحصين الفرج وكفها ثانياً " [التعليق على مسلم (١/٤٩٤)]

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على إثبات الرسل قبل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، ودليل على عموم رسالة نبينا - صلى الله عليه وسلم - ووجوب الإيمان به على كل أحد سمع به.

الفائدة الخامسة: الحديث دليل على ترغيب العبد على طاعة الله وطاعة سيده، وتقدم شرح ما يدل على التحذير من التفريط في حق السيد كقوله - صلى الله عليه وسلم -:" **أيما عبد أبق من سيده لم تقبل له صلاة**" وفي رواية " **برئت منه الذمة**"

الفائدة السادسة: الحديث دليل على حرص الشريعة على العتق وتشوفها له والترغيب فيه.

الفائدة السابعة: الحديث فيه الحث على الإحسان للمملوك في غذائه وتربيته.

الفائدة الثامنة: في قول الشعبي للخرساني بيان قدر العلم والفائدة ، وما خصَّه به ليكون أدعى لقبوله، وفيه بيان ماكانوا عليه من الرحلة في طلب العلم .

قال ابن بطال:"وقول الشعبي (أعطيناكها بغير شيء) فيه أن للعالم أن يُعرِّف المتعلم منه قدر ما أفاده من العلم، وما خصَّه به، ليكون ذلك أدعى لحفظه ، وأجلب لحرصه" [شرح ابن بطال لصحيح البخاري(١/ ١٧٤)].

وقصد الشعبي أن ما أعطاه للخرساني من العلم هو أكثر أهمية من بعض ماكان يرحل من أجله للمدينة، وقد ثبت أن بعض السلف ومنهم الصحابة يرحلون من أجل طلب علو الإسناد، مع أن الحديث عندهم وحدثهم الثقة لكنهم أرادوا إسناداً أعلى فيرحلون من أجل ذلك ، مثل مارحل جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - إلى عبدالله بن أنيس - رضي الله عنه -ليسمع منه حديث " **يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك أنا الديان.....**" الحديث رواه البخاري.

وكانت رحلته شهر من أجل من أجل طلب علو إسناد لحديث واحد رضي الله عنهم وأرضاهم ، وروى الداودي عن بشر بن عبيدالله قال :"إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد" وعن أبي العالية قال:" كنا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم" رحم الله حالنا وغفر تقصيرنا .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفائدة التاسعة: ليس في الحديث دلالة على حصر فضل الأجرين في الأصناف المذكورة في حديث الباب بل جاء ذلك في نصوص كثيرة ومن ذلك:

- قول الله تعالى:{ **مَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ**} [الأحزاب: ٣١]
- وقول النبي- صلى الله عليه وسلم -: " **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران**" متفق عليه.
- وهذا الحديث يدل على أن تعدد الأجر ليس أولى من عظمته ، فالماهر أعظم أجراً ولو لم يكن متعدد وسيأتي بيانه .
- وقول النبي- صلى الله عليه وسلم -: " **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران**" متفق عليه .
- وقوله- صلى الله عليه وسلم - لزينب لما سألته عن الصدقة على الزوج :" **لها أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة**" متفق عليه.
- وقول النبي- صلى الله عليه وسلم -:" **من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئ**" .

قال شيخنا ابن عثيمين:" ولكن ليعلم أنه ليس العبرة بالكم، بل العبرة بالكيف، فقد يؤجر الإنسان مرتين أو أكثر، ولكن يؤجر غيره بما هو أكثر، كما في قصة الرجلين اللذين سافرا بعثهما النبي- صلى الله عليه وسلم - ، فحانت الصلاة ولم يجدا الماء، فتيمما ثم وجدا الماء، أما أحدهما فتوضأ وأعاد الصلاة ، وأما الثاني فلم يعد الصلاة ، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم - للذي توضأ وأعاد الصلاة "**لك الأجر مرتين**" ، وقال للثاني :"**أصبت السنة**" فيكون عمل الأول أكمل من عمل الثاني، لكن الثاني لما كان فعله مبنياً على الاجتهاد وكان يحتسب به الأجر عند الله لم يضيع الله تعالى عمله"[شرح البخاري(١/ ٢٦٢)].

---

٧١ - بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١١٤- عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَما مُقْسِطا. فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

١١٥- وعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ : «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**». وفي رواية لمسلم : « **فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟**»

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١١٦- وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ فَصَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لاَ. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ الله هٰذِهِ الأُمَّةَ**». رواه مسلم .

وفي رواية : «**وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: **{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}**

وفي رواية لمسلم : « **وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاَصُ فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا. وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ**».

تكرمة الله هذه الأمة"

ترجمة رواة الأحاديث:

أبوهريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما تقدمت ترجمته في الحديث الخامس من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث أبي هريرة الأول أخرجه مسلم حديث (١٥٥)، وأخرجه البخاري " كتاب البيوع" " باب قتل الخنزير " حديث (٢٢٢٢)، وأخرجه الترمذي في " كتاب الفتن " " باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم عليه السلام" حديث (٢٢٣٣)

وأما حديث أبي هريرة الآخر، أخرجه مسلم (١٥٥)، وأخرجه البخاري في " كتاب الأنبياء " " باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام" حديث (٣٤٤٩)

وأما حديث جابر فأخرجه مسلم حديث (١٥٦)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه مسلم أيضاً مرة أخرى في " كتاب الجهاد" " باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق".

شرح ألفاظ الأحاديث:

- (**لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ**): ليوشكن بضم الياء وكسر الشين، أي ليقربن.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" أي ليقربن، أي لابد من ذلك سريعاً، قوله (**أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ**) أي في هذه الأمة فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله" [الفتح (٦/٤٩١)] .

- (**حَكَما مُقْسِطا**): قال النووي - رحمه الله -:" (حَكَما) أي ينزل حاكماً بهذه الشريعة، لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة، والمقسط العادل" [شرح النووي لمسلم (٢/٣٦٦)]

- (**فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ**): قال النووي - رحمه الله -:" معناه يكسره حقيقة، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه" [راجع المصدر السابق] وفي هذا إبطال لدين النصرانية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ**): اسم لحيوان خبيث، وفي قتل عيسى -عليه السلام- له إبطال لما يزعمه النصارى أيضاً، الذين يأكلونه ويدعون أنه حلال.

- (**وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ**): اختلف في معناها، فقيل: أي يقررها ويفرضها على جميع الكفار فإما الإسلام أو دفع الجزية وهو قول القاضي عياض رحمه الله.

وقيل: يسقطها فلا يقبلها من أحد لكثرة الأموال فيكون أخذها لامنفعة فيه للإسلام.

وقيل: لا يقبل من أحد الجزية، وإنما القتل أو الإسلام، لأنه لا يقبل من أحد يومئذ إلا الإسلام لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند أحمد:" وتكون الدعوى واحدة" أي لا يكون إلا الإسلام وهو اختيار النووي وعزاه للخطابي واختاره بدر الدين العيني، وهو قول شيخنا ابن عثيمين رحمهم الله جميعا وهو الأظهر والله أعلم فيكون قبول الجزية مقيد بما قبل نزول عيسى -عليه السلام-، ولا يقال أن الجزية حكم ينسخه عيسى عليه السلام عند نزوله وإنما هو حكم أخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - بنسخه آخر الزمان[انظر عمدة القارى(١٨/١٥٠) وشرح النووي لمسلم (٢/٣٦٧) والتعليق على مسلم لشيخنا (١/٥٠٧)]

- (**وَيَفِيضُ الْمَالُ**): بفتح الياء، قال النووي - رحمه الله -:" معناه يكثر وتنزل البركات، وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم، وتقيء الأرض أفلاذ كبدها كما جاء في الحديث الآخر، وتقل أيضاً الرغبات لقصر الآمال، وعلمهم بقرب الساعة، فإن عيسى -عليه السلام- علم من أعلام الساعة" [شرح النووي لمسلم (٢/٣٦٧)]

- (**وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**): قيل لكثرة المال وهوانه وقلة الحاجة إليه تكون السجدة الواحدة خير من صدقته بالدنيا وما فيها وهو قول القاضي عياض واختاره القرطبي، وقيل إن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات، لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة، وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم حاجتهم إليها، واختاره النووي رحمه الله، والمراد بالسجدة السجود بعينه ، أو الصلاة وهو من التعبير بالجزء وإرادة الكل [انظر المرجع السابق(٢/ ٣٦٨) وانظر المفهم(١/ ٣٧١)] .

- (**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**): المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، والضمير في (بِهِ) عائد على عيسى-عليه السلام- على الصحيح أي ليؤمنن بعيسى-عليه السلام- ، واختلف متى يكون ذلك ، لاختلافهم بالضمير في (**مَوْتِهِ**) على من يعود؟

قيل: الضمير في (**مَوْتِهِ**) يعود على عيسى-عليه السلام- ، فيكون المعنى أنه لا يبقى أحد من اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته وهو مذهب أبي هريرة - رضي الله عنه - ولذا استدل بالآية في حديث الباب.

وقيل: الضمير في(**مَوْتِهِ**) يعود على الكتابي، فيكون المعنى لايبقى يهودي ولا نصراني يحضره الموت إلا آمن قبل خروج روحه بعيسى -عليه السلام- وأنه عبد الله وابن أمته، ولكن لاينفعه هذا الإيمان؛ لأنه في حضرة الموت وحال النزع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واختاره النووي - رحمه الله -وقال:" وهذا المذهب أظهر، فإن الأول يخص الكتابي الذي يدرك نزول عيسى عليه السلام، وظاهر القرآن عمومه لكل كتابي في زمن عيسى عليه السلام وقبل نزوله، ويؤيد هذا قراءة من قرأ (**قَبْلَ مَوْتِهِم**)" [انظر المرجع السابق(٣٨٩/٢)، وانظر الفتح (٤٩٣/٦)]

واختار الأول ابن كثير - رحمه الله -قال:" والضمير في قوله (**قَبْلَ مَوْتِهِ**) عائد على عيسى عليه السلام، أي وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة... فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام" [تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧/٢)]

وقال ابن حجر - رحمه الله -مبيناً أن هذا مذهب أبي هريرة وابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:" وبهذا جزم ابن عباس رضي الله عنهما فيماروا ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال قبل موت عيسى والله إنه الآن لحي ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون ونقله عن أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وغيره" [الفتح(٤٩٢/٦)] .

وهذا القول هو الأظهر والله أعلم، واختاره الشنقيطي - رحمه الله -وقال:" وأما على القول بأنه راجع إلى الكتابي فإنه مشكل جداً بالنسبة لكل من فاجأه الموت من أهل الكتاب، كالذي يسقط من عال إلى سفل والذي يقطع رأسه بالسيف وهو غافل والذي يموت في نومه ونحو ذلك فلا يصدق هذا العموم المذكور في الآية على هذا النوع من أهل الكتاب... وبهذا كله تعلم أن الضمير في قوله تعالى (قَبْلَ مَوْتِهِ) راجع إلى عيسى عليه السلام.[أضواء البيان(٧/ ١٣١)]

(**وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاَصُ فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا**): قال النووي - رحمه الله -:" فالقلاص بكسر القاف جمع قلوص بفتحها، وهي من الإبل كالفتاة من النساء... ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب في إقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة، والعلم بقرب القيامة، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب" [شرح النووي لمسلم (٣٦٩/٢)]

- (**وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ**): أي العداوة، للإنشغال بأمور الساعة.

- (**كَيْفَ أَنْتُمْ**): الإستفهام للتهويل.

- (**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي**): (**طَائِفَةٌ**) أي جماعة وسيأتي المقصود بهم، (**مِنْ أُمَّتِي**) المقصود أمة الإجابة.

- (**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**): وفي رواية (**حتى تقوم الساعة**) أي حتى تأتي الريح التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق كما تقدم بيانه، فيكون المراد قبيل يوم القيامة.

- (**تَكْرِمَةَ اللهِ هٰذِهِ الأُمَّةَ**): أي لا أكون إماماً لتكريم الله هذه الأمة.

من فوائد الأحاديث:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفائدة الأولى: الأحاديث دليل على إثبات نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان قبل قيام الساعة دل على ذلك الكتاب: قال تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾(النساء:١٥٩) أي قبل موت عيسى عليه السلام على أشهر أحد أقوال المفسرين .

وقال تعالى:﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ... وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** ﴾ (الزخرف:٥٧،٦١)

وقُرئت بفتح اللام والعين ﴿**وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾أي علامة على اقتراب الساعة.

قال ابن كثير - رحمه الله -:" وقرئ (عَلَم) بالتحريك أي إشارة ودليل على اقتراب الساعة وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال" [تفسير القرآن العظيم(٢/٤٦٥)]

وقال الشنقيطي - رحمه الله -:" ومعنى قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ** ﴾ على القول الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو أن نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان حياً علم للساعة، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها"[أضواء البيان (٧/١٢٨)]

ودلت السنة على إثبات نزوله -عليه السلام- كما في أحاديث الباب، وأجمع العلماء على هذا، قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله -:" نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون، بورود الأخبار الصحاح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، لا يؤمن من أنكره" [حاشية تفسير الطبري بتخريج أحمد شاكر (٦/ ٤٦٠)]

❖ ومن المباحث التي تتعلق بعيسى عليه السلام ونزوله ما يلي:

أولاً: إثبات نزوله في آخر الزمان: وتقدم بيان ذلك بالأدلة.

ثانياً: مكان نزوله: عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، روى مسلم حديث النواس بن سمعان- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:" ... **فبينما هو كذلك – أي الدجال – إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**"

قال العظيم آبادي - رحمه الله -:" المنارة بفتح الميم، قال النووي: وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق، انتهى، وفي مرقاة الصعود للسيوطي قال الحافظ عماد الدين بن كثير: قد جُدّد بناء منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى لينزل عيسى -عليه السلام- " [عون المعبود (٩/١٤٠٨)]

ثالثاً: وقت نزوله: قبيل قيام الساعة كما تقدم، وذلك حين تشتد فتنة الدجال ينزل عيسى -عليه السلام- لقتله كما سيأتي.

رابعاً: الحكمة من نزول عيسى -عليه السلام- دون غيره من الأنبياء:

قيل: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقيل: أن عيسى -عليه السلام- وجد في الإنجيل فضل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فدعا الله أن يجعله فيهم، فاستجاب الله له.

وقيل: أن نزول عيسى -عليه السلام- من السماء لدنو أجله، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، قال ابن حجر والأول أوجه" [الفتح(٦/٤٩٣)]

خامساً: هل رفع عيسى عليه السلام حياً أو ميتاً؟

قولان عند العلماء **أصحهما** : أنه رفع حياً، يدل عليه ما تقدم من الاستدلال بقول الله تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ وأن الضمير في **(مَوْتِهِ)** يعود على عيسى -عليه السلام- ؛ وفي هذا إشارة إلى نزوله في آخر الزمان، وفي ذلك الوقت سيكون موته، ومن الأدلة قوله تعالى:﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ** ﴾(النساء:١٥٧) فرفعه حياً، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -[انظر مجموع الفتاوى(٤/٣٢٢)]، وأما قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾(آل عمران :٥٥)

فاختلف في معنى الوفاة على أقوال ذكرها الطبري - رحمه الله -، **قيل**: الوفاة: وفاة موت. وهذا دليل من قال برفعه ميتاً.

وقيل : وفاة نوم، وأنه رفعه الله تعالى نائماً فيكون المعنى: إني منيمك ورافعك في نومك.

وقيل : وفاة قبض، فيكون المعنى :إني قابضك من الأرض ورافعك إلي، لتواتر الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال ينزل عيسى بن مريم-عليه السلام- فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكَرَها .

ثم اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه" [جامع البيان في تأويل القرآن للطبري(٦/٤٥٨)]

وذكر ابن كثير - رحمه الله -أن القول بأن الوفاة هي النوم قول الأكثرين حيث قال : وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ها هنا النوم كما قال تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ**﴾(الأنعام:٦٠)،

وقال تعالى:﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾(الزمر:٤٢).

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول إذا قام من النوم :"الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور" [تفسير القرآن العظيم (٢/٤٧)] .

واختار الشنقيطي - رحمه الله -أنه رفع حياً، وقال:" فإن قيل إن كثيراً ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسى قد توفي، ويعتقدون مثل ما يعتقده ضلال اليهود والنصارى؛ ويستدلون على ذلك بقوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ وقوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ (المائدة:١١٧)

فالجواب أنه لا دلالة في إحدى الآيتين على أن عيسى عليه السلام قد توفي فعلاً" ثم ساق بيان ذلك وبسط القول فيه [أضواء البيان (٧/١٣١)]

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" وهذا هو القول الراجح، وإنما رفعه الله تعالى نائماً من أجل تخفيف الأمر عليه، وبه تبين الفرق بين عيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم -، فإن الله رفع محمداً - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقظة، وتحمل وصبر، ولم يختلف فيه لا سمعه ولا بصره ولا عقله، ولا فكره - صلى الله عليه وسلم -، أما عيسى -عليه السلام- فرفع نائماً" [التعليق على مسلم(١/٥٠١)]

سادساً: إذا نزل عيسى -عليه السلام- هل يحكم بشرع جديد؟

الجواب: لن يحكم بشرع جديد بل سينزل كما جاء في حديث الباب " **حَكَما** " أي حاكماً لا نبياً برسالة جديدة وإنما يحكم بشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأحكامه، لا نبوة جديدة ولا أحكام جديدة.

قال النووي - رحمه الله -:" قوله - صلى الله عليه وسلم - (**حَكَما**)أي ينزل حاكماً بهذه الشريعة، لا ينزل نبياً برسالة جديدة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة"[شرح النووي لمسلم(٢/٣٦٦)]

ومما يدل على أنه يحكم بشرع نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إقتداؤه في الصلاة برجل من أمة محمدٍ كما دلت عليه أحاديث الباب.

وقال القرطبي - رحمه الله -:" قوله و"**إِمَامُكُمْ مِنْكُم**" "**فَأَمَّكُمْ** " أيضاً قد فسره ابن أبي ذئب في الأصل وتكميله: أن عيسى عليه السلام لا يأتي لأهل الأرض بشريعة أخرى، وإنما يأتي مقرراً لهذه الشريعة وجدداً لها، لأن هذه الشريعة آخر الشرائع ومحمد - صلى الله عليه وسلم - آخر الرسل، ويدل على هذا دلالة واضحة قول الأمة لعيسى عليه السلام " **تَعَالَ فَصَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لاَ. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**"

[المفهم (١/٣٧١)]

سابعاً: الأعمال التي يقوم بها وما يكون في عهده إذا نزل:

في أحاديث الباب وفي غيرها بيان ذلك، ومنه أنه يحكم بالعدل، ويُبطل اليهودية والنصرانية، وقتل الخنزير، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام حينئذ، ويكثر المال ويفيض ويكون ممتهناً عند الناس حتى لا يقبله أحد، بل يُزهد بأنفس المال من ذلك (**القلاص**) وهي أنفس الإبل فتكثر الخيرات وتنزل البركات، ويذهب الشحناء والتحاسد من قلوب الناس، بحيث تصلح السرائر لانشغال كل امرئ بشأنه وشأن أخراه، ويتوجه الناس للعبادة حتى يكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها، ويكون عيسى -عليه السلام- مأموماً وإمام الناس يومئذ رجل من الأمة وأشار بعض أهل العلم إلى أنه المهدي المنتظر، وأعظم أعمال عيسى -عليه السلام- أنه يلحق الدجال فيدركه عند باب لدّ [وهي بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس. انظر معجم البدان ٥/١٥]) فيقتله وبهذا تنتهي فتنة عظيمة، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:" يخرج الدجال في أمتي...(فذكر الحديث وفيه) فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه" وعند مسلم أيضاً من حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه - ما يدل على ذلك.

ثامناً: هل ينتهي التكليف بنزول عيسى عليه السلام

الجواب: أن التكليف باق حتى بعد نزول عيسى -عليه السلام- ، ومما يدل على ذلك بقاء عبادات جاء ذكرها في الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك الجهاد جهاد عيسى -عليه السلام- ومن معه للكفار والدجال، وكذلك الصلاة كما في أحاديث الباب "**وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**"، وكذلك حج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عيسى -عليه السلام- ، ففي صحيح مسلم عن حنظلة السلمي قال سمعت أبا هريرة - رضي الله عنه - يحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:" **والذي نفسي بيده ليُهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً، أو ليثنيهما**" أي يجمع بين الحج والعمرة، وفج الروحاء: موضع بين مكة والمدينة.[انظر معجم البلدان للحموي(٤/٢٣٦)]

تاسعاً: صفة نزوله عليه السلام

تقدم أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وعليه مهرودتان لابسهما أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه - الطويل وفيه:" إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث انتهى طرفه، فيطلبه – أي يطلب الدجال – حتى يدركه بباب لد فيقتله..." الحديث .

ودل حديث الباب على أنه ينزل على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق فيصلى معهم ويقاتلون معه.

عاشراً: مدة بقائه بعد نزوله ثم وفاته

جاءت الروايات متفاوتة في بيان مدة البقاء، حيث جاء في بعض الروايات ما يشير إلى سبع سنين وفي بعضها أربعين سنة.

ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:" **فبعث عيسى بن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة خير أو إيمان إلا قبضته**".

وفي رواية الإمام أحمد وأبي داود:" **فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون**"

والفرق بين الروايتين في العدد كبير، قال ابن كثير - رحمه الله -:" فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور" [النهاية في الفتن والملاحم(١/١٤٦) تحقيق د. طه زيني]

هذه أهم المباحث المتعلقة بعيسى بن مريم -عليه السلام- ونزوله، وعيسى -عليه السلام- وُلد من أم بلا أب، ولذا ينسب إلى أمه مريم، وليس في الناس من ليس له أب حساً إلا عيسى بن مريم، وأما حواء فليس لها أم، وآدم ليس له أب ولا أم، وبقية الناس من أم وأب، فالأحوال أربعة، والله تعالى جعل عيسى بلا أب آية للناس حيث خلقه بكلمته، قال تعالى:﴿ **قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**﴾ (مريم:٢٠، ٢١) ويسمي عيسى بالمسيح قال تعالى:﴿ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** ﴾(المائدة:٧٥) واختلف لم سمي بهذا؟ **فقيل**: لكونه ممسوح أسفل القدم لا أخمص له **وقيل**: لمسح زكريا -عليه السلام- إياه، وقيل: لأنه لم يمسح ذا عاهة إلا برئ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الصفات الخَلْقية فستأتي قريباً في حديث جابر وابن عباس -رضي الله عنهما- وفيه:"**ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخَلْق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس**" وفي رواية " **جعد آدم**"

الفائدة الثانية: قول النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **والذي نفسي بيده** " فيه جواز الحلف من غير استحلاف وذلك، عند الحاجة كبيان أهمية أمر، أو قول ما تستبعده الأذهان قبل الإخبار به كما في حديث الباب، وفيه أيضاً إثبات صفة اليد لله تعالى على الوجه الأكمل واللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف، وتقدم قريباً بيان صفة اليدين لله تعالى بالأدلة والرد على من خالف.

الفائدة الثالثة: قول النبي- صلى الله عليه وسلم -:" **فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ** " قال النووي - رحمه الله -:" فيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل " [شرح مسلم (٢/٣٦٧)]

الفائدة الرابعة: حديث جابر - رضي الله عنه - فيه إثبات الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق إلى قرب يوم القيامة، ثم تأتي الريح التي تقبض روح كل مؤمن ثم تقوم الساعة على شرار الخلق، واختلف في المقصود بالطائفة المنصورة.

قال النووي - رحمه الله -:" وأما هذه الطائفة فقال البخاري - رحمه الله -: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله -: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟ قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث، قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع من المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض"

[شرح مسلم(٦/٤٠٠)]

وما اختاره النووي - رحمه الله -وجيه وأن المراد بهم الذين يقومون بنصرة الدين واتباع السنة وقمع البدعة، بغض النظر عن تخصصاتهم في ميادين الخير، ولا يلزم اجتماعتهم في مكان واحد، وفي الحديث بيان فضل المتمسك بدينه آخر الزمان.

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" أبرز الخصائص الناجية هي التمسك بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة هذه الأمور الأربعة تجد الفرقة الناجية بارزة فيه.[فتاوى مهمة لعامة الأمة ص(١٧)].

٧٣ - بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ

١١٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَنْفَعُ نَفْسا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرا﴾

ترجمة راوي الحديث:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أبو هريرة- رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم حديث (١٥٧)، وأخرجه البخاري في " كتاب التفسير" " باب﴿**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ**﴾(الأنعام:١٥٠)"، حديث (٤٦٣٥)، وأخرجه أبو داود في" كتاب الملاحم" " باب أمارات الساعة " حديث (٤٣١٢)، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الفتن " " باب طلوع الشمس من مغربها" حديث (٤٠٦٨).

شرح ألفاظ الحديث:

-(**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ**): الساعة في الأصل الجزء المعروف من الزمن، والمراد بها هنا القيامة، سميت بذلك لسرعة قيامها، أو لأنها عند الله تعالى كساعة من نهار.

-(**فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ**): جاء عند البخاري" **فإذا رآها الناس آمن مَن عليها**" أي آمن مَن على الأرض من الناس.

رابعاً: من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على أن طلوع الشمس من مغربها علامة من علامات الساعة الكبرى، قال تعالى:﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾ (الأنعام:١٥٨) ودلت الأحاديث ومنها حديث الباب على أن المراد بـ (**بَعْضُ آيَاتِ**) طلوع الشمس من مغربها، وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه -أن الصحابة-رضي الله عنهما- تذاكروا الساعة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - :"**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها**، ..." الحديث .

ولقد جاءت النصوص في الحث على التوبة والعمل الصالح قبل طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة ومن ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة...**" الحديث رواه مسلم.

الفائدة الثانية: في الحديث دلالة على أن الناس إذا رأوا طلوع الشمس من مغربها أيقنوا بالغيب وآمنوا به، لكن هذا بعد المشاهدة ولذا لا ينفعهم إيمانهم ولا توبتهم؛ لأن الإيمان إنما يكون بالغيب، وهذا ما امتدح الله به أهل الإيمان ورتب عليه أركان الإيمان، وأما الإيمان بعد المشاهدة فلا ينفع ولذا فرعون حين أدركه الغرق وشاهد اليقين قال:﴿**قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾(يونس:٩٠) لكن إيمانه لم ينفعه قال الله:﴿ **آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾(يونس:٩١)

وكذلك التوبة فإنها لاتقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، ولذا من شروط قبول التوبة أن تكون في وقتها، ووقتها: قبل طلوع الشمس من مغربها وهذا الأول لحديث الباب، ولحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**" رواه مسلم، ومفهومه أن من تاب بعد ذلك لن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقبل توبته، وفي سنن أبي داود - رحمه الله -قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس من مغربها**"

وعند مسلم من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**"

والنصوص دلت على أن التوبة بعد طلوع الشمس لا تقبل، والوقت الثاني الذي لاتقبل فيه التوبة عند الاحتضار والغرغرة، دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى:﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ (التوبة:١٨)

قال السعدي - رحمه الله -:" توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة، وقبول بعد وجودها... فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعاً، وأما بعد حضور الموت فلا يقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع" [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (١٧١)]

ويشهد لذلك ما رواه الترمذي أن النبي - صلى الله عليه وسلم -قال:" **إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر**"

قال ابن حجر - رحمه الله -:" وقال ابن عطية في هذا الحديث دليل على أن المراد بالبعض في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**﴾ طلوع الشمس من المغرب وإلى ذلك ذهب الجمهور... وقال القاضي عياض: المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك، بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها، والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة، وارتفع الإيمان بالغيب، فهو كالإيمان عند الغرغرة وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله" [الفتح(١١/٣٥٣)]

١١٨- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ، لاَ يَنْفَعُ نَفْسا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ**». رواه مسلم .

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم، حديث (١٥٨)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في " كتاب التفسير " " باب ومن سورة الأنعام" حديث (٣٠٧٢).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ**): أي ثلاث علامات من علامات الساعة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**وَالدَّجَّالُ**): بفتح الدال وتشديد الجيم من الدجل وهو التغطية، وسمي الكذاب دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بالباطل، وقيل لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتلبيسه عليهم، ولقبه المسيح كعيسى -عليه السلام- ، لكنه - (**مسيح الضلالة**) كما سماه النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعيسى -عليه السلام- مسيح هدى، **ولقب بالمسيح قيل:** لمسحه الأرض حين خروجه حيث لا يدع بلدة إلا دخلها إلا مكة والمدينة، وقيل لأنه أعور (**ممسوح**) العين اليمنى وهو الموافق للأحاديث الكثيرة في وصفه ومن ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **إن الدجال ممسوح العين** " رواه مسلم [انظر النهاية في غريب الحديث لابن كثير مادة (مسح) ص(٨٦٧)، مادة (دجل) ص(٢٩٨)].

- (**وَدَابَّةُ الأَرْضِ**): أُضيفت إلى الأرض مع أن الأصل في الدابة ما تدب على الأرض، للإشارة أن خلقها ليس بطريق التوالد كبقية الدواب المعروفة.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على إثبات علامات من علامات الساعة الكبرى وهي طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة.

أما طلوع الشمس من مغربها فتقدم – في الحديث السابق – الكلام عليها.

وأما الدجال فهي أخطر وأعظم فتنة على الأمة إلى قيام الساعة؛ ففي صحيح مسلم عن عمران - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبرمن الدجال** "، وأخوف ما يخافه النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته ففي صحيح مسلم عن النواس - رضي الله عنه - مرفوعاً:" **غير الدجال أخوفني عليكم** "، ولقد جرى التحذير منه على لسان جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم؛ لما له من الهول العظيم والفتنة الصارفة عن الدين والخوارق التي يفتتن فيها كثير من الناس، ففي الصحيحين من حديث أنس- رضي الله عنه - مرفوعاً:" **ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب** "

– **وصفته:** كما جاءت أنه شاب أحمر – ضخم الرأس- ، جعد الشعر، أعور العين، مكتوب بين عينيه (كافر) أو (ك ف ر) يقرؤها كل مسلم وإن كان أمياً وهذه الصفات جاءت في الصحيحين، وجاءت في سنن أبي داود ما يدل على أن الدجال قصير وأفحج أي متباعد الساقين.

– **فتنته:** أكبر فتنة كما تقدم ولا عجب فإن معه من الخوارق ما يظن الناس أنه ربهم، فقد جعل الله من الخوارق أنه يحيي الموتى، ومعه جنة ونار، ومعه جبال الطعام، ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، ويغير الحال من فقر إلى غنى والعكس من ذلك، وتتبعه كنوز الأرض.

– **ومدة بقائه:** يمكث أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم" ويقطع الأرض بسرعة عظيمة فهو كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **كالغيث استدبرته الريح** " ولن يبقى بلدة إلا وطئها الدجال إلا مكة والمدينة.

ومكان خروجه: من قبل المشرق، قال ابن حجر - رحمه الله -:" وأما من أين خرج؟ فمن قبل المشرق جزماً" [الفتح(١٣/٩١)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– **وهلاكه:** سيكون على يد عيسى بن مريم -عليه السلام- عند باب لُد.

– **والنجاة منه:** تكون باللجوء إلى الله تعالى، ومعرفته بأسمائه الحسنى وصفاته العظمى، والاستعاذة من فتنته، والفرار منه، وعدم ملاقاته، وحفظ عشر آيات من سورة الكهف، وسكنى مكة أو المدينة، ومن جاء بسبل النجاة كان عليه هيّن ولن يضره. فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للمغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - كما عند مسلم:" **وما ينصبك منه إنه لا يضرك**" وقال " **هو أهون على الله من ذلك** ".

هذا ما يتعلق بالمسيح الدجال على وجه الإجمال، وجميع ما ذكرته جاء في الصحيحين أو أحدهما، وسيأتي مزيد بيان فيما يتعلق بالدجال في كتاب الفتن فإن مسلم أورد أحاديث كثيرة تتعلق به.

– **وأما الدابة:** فقد تقدم أنها في اللغة ما يدب في الأرض، لكن المراد بها هنا دابة يخرجها الله تعالى قرب قيام الساعة وخروجها ثابت بالكتاب والسنة فهي من علامات الساعة الكبرى.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ (النمل:٨٢) .

ومن السنة: حديث الباب وحديث حذيفة - رضي الله عنه - عند مسلم:" **أنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات... وذكر (الدابة)**" وليس في الكتاب والسنة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها، والوارد من ذلك في صحته نظر.

والدابة تخرج إذا وجب العذاب، لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ**﴾ أي إذا حق العذاب عليهم لتماديهم في العصيان والطغيان وإعراضهم عن آيات الله تخرج الدابة لتنذرهم أنهم كانوا يكذبون بآيات الله تعالى وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.[انظر تفسير ابن كثير(٦/٢١٠)، وانظر التذكرة للقرطبي ص(٦٩٧)]

– **وعمل الدابة:** إذا خرجت تكلم الناس لقوله تعالى:﴿ **تُكَلِّمُهُمْ** ﴾ واختلف أهل العلم في معنى (**تُكَلِّمُهُمْ**) على قولين:

الأول: المراد به الكلام المعروف أي تخاطبهم مخاطبة.

ويدل على ذلك: قراءة أبي بن كعب - رضي الله عنه - فإنه قرأ " **تنبئهم** " بدل (**تُكَلِّمُهُمْ**)

والثاني: أن المراد بـ (**تُكَلِّمُهُمْ**) أي تجرحهم. بحيث تَسِمهم وَسْماً.

ويدل على ذلك: قراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما (**تَكْلمهم**) لفتح التاء وسكون الكاف من (الكَلْم) وهو الجرح ويشهد لهذا حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:"**تخرج الدابة تسم الناس على خراطيمهم**" رواه أحمد في مسنده في صحيح الألباني [انظر الصحيحة حديث(٣٢٢)].

والخرطوم هو الأنف، **وقيل** : مقدم الأنف، فيكون المعنى على هذا التفسير أن الدابة إذا خرجت تسم المؤمن الكافر، فتجعل على الكافر علامة على أنفه تدل على كفره، وعكسه المؤمن.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعلى القول الأول أنها تخاطبهم بقولها:﴿ **تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ **وما الراجح من القولين؟**

روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما- أنه قال:"**كلاً تفعل** " أي تفعل المخاطبة والوسم"، قال ابن كثير: وهو قول حسن، ولا منافاة والله أعلم" [تفسير ابن كثير (٦/٢١١)]

الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن ظهور هذه الآيات الثلاث مانع من موانع نفع الإيمان وقبوله، وكذا كسب الخيرات، لأنه كما تقدم الإيمان الحق إنما يكون بأمور الغيب قبل المشاهدة فهو الذي يدل على صدق الإيمان، ولو كان إيمانه وتوبته وعمله للخير قبل خروج الآيات بلحظة فإنه ينفعه، أما حال المشاهدة إذا خرجت هذه الآيات فلاينفع الإيمان ولا كسب الخيرات.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت، وهي آيات ملجئة للإيمان، ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ من غير مقدمة إيمانها قبل ظهور الآيات" [الفتح (١١/٣٥٦)].

١١٩- وعَنْ أَبِي ذَرَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ، يَوْمًا: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**إِنَّ هٰذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً. فَلاَ تَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً. وَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا. ثُمَّ تَجْرِي لاَ يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ، تَحْتَ الْعَرْشِ. فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا**». **فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ** - صلى الله عليه وسلم -: «**أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَلِكَ حِينَ ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرا﴾**

وفي رواية : قال أبو ذَرَ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرَ لَهَا**﴾ قَالَ: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**».

ترجمة راوي الحديث:

أبو ذر - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الثاني والأربعين من كتاب الإيمان.

ثانياً: تخريج الحديث:

أخرجه مسلم، حديث (١٥٩)، وأخرجه البخاري في " كتاب بدء الخلق " " باب صفة الشمس والقمر " حديث (٣١٩٩)، وأخرجه أبو داود في " كتاب الحروف والقراءات " " في الباب الأول، حديث (٤٠٠٢)، وأخرجه الترمذي في " كتاب الفتن " " باب ما جاء في طلوع الشمس من مغربها" حديث(٣٢٢٧).

شرح ألفاظ الحديث:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**إِنَّ هٰذِهِ**): أي الشمس.

- (**تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا**): ذكر ابن كثير - رحمه الله - أن المراد بمستقر الشمس إما أن يكون المستقر أو الزمان فقال:" المراد بقوله " **لِمُسْتَقَرٍّهَا** " هو انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض، **والقول الثاني**: إن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني"

[تفسير ابن كثير (٥٧٧/٦)]

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على إثبات سجود الشمس لله تعالى وأن سجودها تحت العرش، وسجودها مما دل عليه الكتاب والسنة، فمن الكتاب: قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ**﴾(الحج:١٨)

ومن السنة حديث الباب، والسجود ليس خاصاً بالشمس من الآيات الكونية بل دلت الآية السابقة على غيرها بل كل شيء يسجد لله تعالى، قال تعالى:﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾(الرعد:١٥)، قال سبحانه:﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾(النحل:٤٩)، وحديث الباب دليل أيضاً على جريان الشمس، لقوله - صلى الله عليه وسلم -:" إِنَّ هٰذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا" ودل الكتاب أيضاً على هذا قال تعالى﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**﴾

فإن قيل: هذه الشمس إن غربت عنا طلعت على غيرنا فهي دائماً في غروب وطلوع، فكيف تسجد؟

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" الواجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وألا نقول كيف؟ ولا نقول لِمَ؟ نقول الله أعلم، وجائز أن تكون دائماً في سجود كما قال تعالى: :﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**﴾ جائز أن تكون دائماً في سجود، وما المانع من ذلك إذا كانت الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فلا غرابة أن تكون الشمس دائماً في سجود، أو يقال إنها تسجد إذا غابت عن هذه المنطقة من الأرض التي تحدث فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم -فقط، وأما سجودها إذا غابت عن بقية الأراضي فالله أعلم، وبهذا تتخلص من هذا الإشكال الذي طعن فيه العقلاء أو العقلانيون" [شرح البخاري (٣٩٤/١٠)]

وعلى العبد ألا يقيس قدرة الله تعالى على عقله القاصر، ولاسيما الأمور الغيبية فالعبد عليه التسليم والإيمان، وإدراك أن تصوره قاصر أمام قدرة الله تعالى الكاملة، وهذا الإشكال لم يسأل عنه الصحابة -رضي الله عنهم- الذين عاصروا زمن الرسالة، ولا من اقتفى أثرهم من السلف الصالح رحمهم الله؛ لأنهم جمعوا في عقيدتهم الإيمان والتسليم ولنا فيهم أسوة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفائدة الثانية: الحديث دليل على إثبات عرش الله تعالى، وهو مخلوق عظيم له قوائم تحمله الملائكة، وهو أعظم المخلوقات وهو سقف العالم فهو سقف المخلوقات، وصفه الله تعالى بأنه عرش عظيم وكريم وأن له حملة عددهم ثمانية، وفي العرش مباحث ستأتي في مظانها بإذن الله تعالى.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على أن طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة وحينئذ لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وتقدم الكلام على هذه العلامة الكبرى.

الفائدة الرابعة: الحديث دليل على عظيم قدرة الله تعالى، وبيان جانب من جوانب عظمته في مخلوق من مخلوقاته وهو الشمس.

الفائدة الخامسة: الحديث فيه علم من أعلام النبوة حيث أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بشيء من المغيبات مما لايمكن أن يعلمه إلا نبي بوحي من الله تعالى.

٧٣ - بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٢٠ - عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: **اقْرَأْ**. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» قَالَ، **فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ**. قَالَ **قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}** فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «**أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي**» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ. أَبْشِرْ. فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدا. وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى. وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخا كَبِيرا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خَبَرَ مَا رَآهُ. فَقَالَ لَهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَرَقَةُ: هُذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى . يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا. يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرا». وفي رواية للبخاري : « ثم لم ينشَبْ ورقةُ أنْ تُوفِيَ وَفَتَرَ الوحْي فترةً حتى حَزِن رسولُ اللّه - صلى الله عليه وسلم - ».

١٢١- وعن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ فِي حَدِيثِهِ: «**فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوتا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسا عَلَى كُرْسِيَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**» قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقا فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَدَثَّرُونِي. فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}** وَهِيَ الأَوْثَانُ قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ.

ترجمة راويي الحديثين:

- **راوي الحديث الأول:** هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- وعن أبيها، تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة بعد موت خديجة -رضي الله عنها- ، وفي الصحيحين عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوجها وهي ابنة ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع، ومكث عندها تسعاً، وكانت أحب نسائه إليه، ففي الصحيحين قال - صلى الله عليه وسلم - فيها:" فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على باقي الطعام" وعند البخاري قال فيها لأم سلمة:" والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" وتوفي النبي - صلى الله عليه وسلم - في يومها وفي بيتها وهي مسندته إلى صدرها، ولم تلد للنبي - صلى الله عليه وسلم - شيئاً على الصحيح، وسألت النبي أن تكنى فقال - صلى الله عليه وسلم -:" اكتني بابن أختك" فاكتنت بأم عبد الله، وأخرج ابن حبان في صحيحه ما يدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كناها بذلك، ولم ينكح بكراً غيرها، وأخبره جبريل -عليه السلام- أنها زوجته في الدنيا والآخرة، كانت على جانب كبير من العقل والفهم والعلم، ونشرت للأمة علماً كثيراً بروايتها لكثير من الأحاديث، روى عنها جمع من الصحابة -رضي الله عنهم- منهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وأبوهريرة، وأبو موسى، وزيد بن خالد -رضي الله عنهم- وغيرهم، وكبار التابعين كسعيد بن المسيب، وعمرو بن ميمون، وعلقمة بن قيس، والأسود بن زيد وكثيرون رحمهم الله، وكانت وفاتها في المدينة في رمضان سنة ثمان وخمسين، وأمرت أن تدفن بالبقيع فدفنت وصلى عليها أبوهريرة - رضي الله عنه - وكانت وفاتها ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلت من رمضان رضي الله عنها وأرضاها. [انظر أسد الغابة (١٨٨/٧) والإصابة (٢٣١/٨) وفتح الباري (١٠٧/٧)]

الحديث الثاني: راوي الحديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- تقدمت ترجمته في الحديث الخامس من كتاب الإيمان

تخريج الحديثين:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حديث عائشة -رضي الله عنها- أخرجه مسلم حديث (١٦٠)، وأخرجه البخاري أيضاً مطولاً في عدة مواضع أولها في " كتاب بدء الوحي " " باب كتاب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -" حديث (٣).

وحديث جابر - رضي الله عنه - أخرجه مسلم حديث (١٦١)، وأخرجه البخاري في عدة مواضع، أولها في " كتاب كيف بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" حديث (٤)، وأخرجه الترمذي في " كتاب التفسير " " باب ومن سورة المدثر" حديث (٣٣٢٥).

شرح ألفاظ الحديثين:

-(**كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الْوَحْيِ**): الوحي هو الإعلام بالشرع قال القرطبي - رحمه الله -:" إعلام الله تعالى لأنبيائه بما شاء من أحكامه أو أخباره " [المفهم (٣٧٤/١)] ؛ وقد يطلق ويراد به الموحى به وهو كلام الله تعالى، وقد يطلق ويراد به حامل الوحي وهو جبريل عليه السلام و(مِنَ) في قوله - (الْوَحْيِ) تبعيضية أي من أقسام الوحي الرؤيا الصادقة، ويحتمل أن تكون بيانية.

- (**الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ**): الرؤية بالهاء: ما يراه الشخص بحاسة البصر وهي النظر بالعين، تطلق أيضاً على الوهم والتخيل نحو أُرى أن زيداً منطلق، وعلى التفكير نحو "إني أرى ما لا ترون"، وعلى العقل نحو " ما كذب الفؤاد ما رأى"

والرؤيا بالقصر: ما يراه الشخص في منامة والجمع رؤى[انظر بصائر ذوي التمييز (٨٣٥/١-٨٣٦)]

جاء في رواية البخاري (الرُّؤْيا الصَالحة) قال النووي - رحمه الله -:" وهما بمعنى واحد " [شرح مسلم (٣٧٤/٢)].

قال ابن حجر: "وهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء ، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - كلها صادقة، وقد تكون صالحة وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما في الرؤيا يوم أحد" [الفتح (٣٥٥/١٢)]

وقال في موضع آخر:" قوله (فِي النَّوْمِ) الزيادة بالإيضاح أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة؛ لجواز إطلاقها مجازاً " [الفتح (٢٤/١)]

-(**مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**): قال النووي - رحمه الله -:" قال أهل اللغة: فلق الصبح وفرق الصبح، بفتح الفاء و اللام والراء، هو ضياؤه، وإنما يقال هذا في الشيء الواضح البيّن" [شرح مسلم (٣٧٤/٢)]

-(**ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ**): قال النووي - رحمه الله -:" أما الخلاء فممدود وهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين" [المرجع السابق]

قوله (ثم) إشارة إلى أن تحبيب الخلوة جاء متأخر عن الرؤيا الصادقة، وقيل جيئ بـ (ثم) لترتيب الأخبار وإلا فحبه - صلى الله عليه وسلم - للخلوة قبل الرؤيا الصالحة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– (**فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ**): قال النووي - رحمه الله -:" وأما الغار فهو الكهف والنقب في الجبل... وحراء جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى" [شرح مسلم (٢/٣٧٤/٣٧٥)] وأما اليوم فوصله البنيان بمكة.

–(**يَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ**): التحنث التعبد كما فُسرت في الحديث وهو تفسير الزهري رحمه الله، (أُولاَتِ) صفة لليالي، وأولات العدد أي الليالي الكثيرة.

–(**حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ**): قال النووي - رحمه الله -:" أي جاءه الوحي بغتة، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن متوقعاً للوحي، ويقال فجئه بكسر الجيم وبعدها همزة مفتوحة، ويقال فجأه بفتح الجيم والهمزة لغتان مشهورتان حكاهما الجوهري وغيره" [شرح مسلم (٢/٣٧٥)]

–(**مَا أَنَا بِقَارِىءٍ**): (مَا) نافية والمعنى لا أحسن القراءة، ومنهم من جعل(مَا) استفهامية فيكون المعنى: ماذا أقرأ؟ ويضعفه دخول الباء على الخبر، فالصواب الأول وأنها نافية.

– (**فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ**): (**غَطَّنِي**) بفتح الغين وتشديد الطاء أي ضمني وعصرني، وأصل الغط حبس النفس،(**الْجَهْدَ**) بفتح الجيم وضمها لغتان الغاية والمشقة، بالفتح بلغ الغاية في الغط، وبالضم بلغ مني الجهد مبلغه.

– (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**): أي إقرأ لا بقوتك وقدرتك وإنما بحول الله وقوته فكما خلقك سيعلمك.

– (**فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ** – صلى الله عليه وسلم –): أي رجع بالآيات الخمس أو بالقصة كاملة.

–(**تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ**): البوادر جمع بادرة وهي اللحمة بين المنكب والعنق، جرت العادة أنها تضطرب عند الفزع.

–(**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**): أي غطوني بالثياب ولفوني بها.

–(**الرَّوْعُ**): بفتح الراء الفزع.

–(**أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي**): استفهام والمعنى: ما الذي حصل لي؟

–(**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**): قال ابن حجر - رحمه الله -:" والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً" [الفتح (١/٢٤)] ذكرها ابن حجر ثم ذكر أقواها أنه خشي على نفسه من الموت أو المرض أو دوام المرض وما عداها فمعترض عليه.

–(**وَتَحْمِلُ الْكَلَّ**): بفتح الكاف وأصله الثقل ومنه قوله تعالى﴿ **كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ** ﴾ (النحل :٧٦) ويدخل في حمل الكل عن الغير الإنفاق على الضعيف واليتيم والمحتاج والعيال ونحو ذلك مما هو من مكارم الأخلاق.

–(**وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ**): أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من المال والنفع والفوائد في حمل المشقة عن الغير.

–(**وَتَقْرِي الضَّيْفَ**): أي تكرمه.

–(**وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**): النوائب جمع نائبة وهي الحادثة أو النازلة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-(**وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ**): أي صار نصرانياً قبل رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

-(**وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ**): وفي رواية عند البخاري" وكان يكتب الكتاب العبراني ويكتب من الإنجيل بالعبرانية)

قال النووي - رحمه الله -:" وكلاهما صحيح وحاصلهما أنه تمكن من معرفة دين النصارى بحيث إنه صار يتصرف في الإنجيل، فيكتب أي موضع شاء منه، بالعبرانية إن شاء وبالعربية إن شاء" [شرح مسلم (٣٧٨/٢)]

-(**فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ**): وتقدم أنه ابن عمها حقيقة لا عمها، وأجاب النووي بأن هذا من باب التوقير . [المرجع السابق]

وردّ ابن حجر - رحمه الله -ذلك وحمله أنه وهم من الراوي فقال:" قولها -رضي الله عنها- (يا ابن عم) هذا النداء حقيقة ووقع في مسلم (يا عم) وهو وهم، لأنه وإن كان صحيحاً لجواز إرادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد فلا يحمل على أنها قالت ذلك مرتين فتعين الحمل على الحقيقة" [الفتح (٢٥/١)]

-(**اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ**): لأن والد النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن عبد المطلب، وورقة يلتقيان في النسب بـ (ابن كلاب) فكان من هذه الحيثية في درجة أخوته، أو قالته على سبيل التوقير لسنه. [الفتح (٢٥/١)]

-(**هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى**): الناموس صاحب السر كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء، وعليه الجمهور كما نقل ابن حجر وقال:" والمراد بالناموس هنا جبريل -عليه السلام - ، وقوله (عَلَى مُوسَى) ولم يقل (على عيسى) مع كونه نصرانياً؛ لأن كتاب موسى -عليه السلام - مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، وكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو لأن موسى بُعث بالنقمة على فرعون ومن معه بخلاف عيسى، كذلك وقعت النقمة على يد النبي - صلى الله عليه وسلم - بفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر" [انظر المرجع السابق]

والأظهر والله أعلم التعليل الأول فهو أعم وأقرب للصواب، لاسيما والكلام عن الوحي وهو متعلق بالكتاب الذي يحتاج في تبليغه إلى الوحي.

-(**يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا**): الضمير في (فيها) يعود إلى أيام النبوة ومدتها، و(جَذَعا) بفتح الجيم والذال أي شاباً قوياً حتى أبالغ في نصرتك، وتمنى أن يكون شاباً لأنه أمكن في النصرة وأنشط لها.

-(**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**): بفتح الواو وتشديد الياء ويجوز تخفيف الياء على وجه، والصحيح المشهور تشديدها واستفهام النبي - صلى الله عليه وسلم - الإنكاري على إخرجه لعدم وجود سبب ذلك مع ما كان عليه من مكارم الأخلاق التي وصفته بها خديجة -رضي الله عنها-.

- (**وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ**): أي يوم بعثك ودعوتك.

-(**أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرا**): أي بالغاً قوياً.

-(**ثم لم يَنشَبْ ورقةُ أنْ تُوفيَ**): أي لم يلبث أن توفي وذلك قبل نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

- (**فَتَر الوحْي**): يقصد به احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– (**فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي**): أي سرت في باطن الوادي.

(**فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ**): المراد بالعرش الكرسي كما في الرواية الأخرى (جَالِسا عَلَى كُرْسِيَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ).

–(**فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ**): رجفة بالراء، وقيل بالواو وجفة وكلاهما بمعنى واحد وهو الاضطراب، قال تعالى:﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾(النازعات :٨)، وقال جل شأنه:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾(النازعات:٦) [شرح النووي لمسلم (٢ /٣٨٣)]

–(**فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقا**): جئثت بضم الجيم وكسر الهمز وإسكان الثاء، أي رعبت وفزعت، وجاء في رواية البخاري (فزعت)، والفَرَق الفزع، فيكون ذكر المفعول المطلق (المصدر) للتأكيد وتقوية المعنى أي ففزعت فزعاً أو رعبت رعباً .

– (**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَدَثَّرُونِي**): تقدم معنى (زَمِّلُونِي) أي غطوني بالثياب ولفوني بها، والدثار بكسر الراء هو ما فوق القميص الذي يلي البدن أي غطوني بثياب فوق ثيابي ومعناها متقارب، قال النووي - رحمه الله -: " ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ﴾(المدثر:١) قال العلماء المدثر والمزمل والمتلفف والمشتمل بمعنى واحد" [شرح مسلم (٢/٣٨٣)]

من فوائد الحديثين:

في حديث عائشة -رضي الله عنها- **جملة من الفوائد منها:**

الفائدة الأولى: الحديث فيه بيان لقسم من أقسام مجيء الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو الرؤيا الصادقة، وللوحي عدة مراتب، ذكرها ابن القيم - رحمه الله -حيث قال: " **وكمل الله له من مراتب الوحي مراتبَ عديدة:**

إحداها: الرُّؤيا الصادقة، وكانت مبدأَ وحيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يُلقيه المَلَكُ في رُوْعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي أَنّه لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَن تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ".

الثالثة: أَنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتمثَّلُ له المَلَكُ رجلاً، فيُخاطبه حتى يَعِيَ عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً.

الرَّابعة: أَنّه كان يأتيه في مثل صَلْصَلَةِ الجرس، وكان أَشدَّه عليه فَيَتَلَبَّسُ به الملكُ حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتَبْرُكُ به إلى الأرض إذا كان راكبها ولقد جاءه الوحيُ مرةً كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضُّها.

الخامسة: أنه يَرَى المَلَكَ في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يُوحِيَه،وهذا وقع له مرتين.

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماواتِ ليلَة المعراج مِن فرض الصلاة وغيرها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة مَلَكٍ، كما كلّم اللهُ موسى بن عِمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو في حديث الإسراء." [زاد المعاد ١/٧٨-٨٠]

– فإن قيل لماذا كان البدء بالوحي بالرؤيا الصاقة مناماً، لما لم يأته من أول الأمر؟

فالجواب: قال النووي – رحمه الله –:" قال القاضي – رحمه الله –وغيره من العلماء: إنما ابتدئ – صلى الله عليه وسلم – بالرؤيا لئلا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة، فلا يحتملها قوى البشرية، فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا، وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة" [شرح مسلم (٢/٣٧٤) وبنحوه ذكر القرطبي في المفهم (١/٣٧٤)]

الفائدة الثانية: في الحديث الخلوة وأهميتها للعبد ليتفرغ للعبادة ،وهذا ماكان يفعله– صلى الله عليه وسلم – قبل نزول الوحي وبعد مبعثه حتى صار من الخلوة عبادات مشروعة يومية كقيام الليل وسنوية كالاعتكاف في رمضان، وما ذاك إلا لأهميتها وأثرها على قلب العبد كونها رابطاً وثيقاً بين العبد وربه جل وعلا، وتختلف أهميته الخلوة والعزلة باختلاف الزمان والمكان والحال، وسيأتي مزيد بيان لأحوالها، والحاجة لها في وقت الفتنة أشد، قال الخطابي – رحمه الله –:" والعزلة عند الفتنة أنبياء وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء الألباء، والأولياء فلا أعلم لمن عابها عذراً" [العزلة للخطابي ص(٨)]

والمقصود وجود العزلة والخلوة في حياة العبد وأما التزامها فهو يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فقد تكون الخلطة للداعية أفضل على ما سيأتي بيانه وتفصيله، إلا أن الخلوة في الجملة لابد من وجودها في حياة من يرجو إصلاح القلب ومحاسبة النفس والتفرغ للعبادة.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –:" لابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه" [مجموع الفتاوى(١٠/٤٢٦)] ولقد امتثل ابن تيمية – رحمه الله –ما قاله.

قال ابن القيم – رحمه الله –:" كان ابن تيمية في بداية أمره يخرج أحياناً إلى الصحراء، ويطلب الأنس بالله والشوق للقائه ويتمثل قول الشاعر: وأخرج من بين البيوت لعلّني أحدث عنك النفس بالسر خالياً" [مدارج السالكين (٣/٥٩)]

وتأمل كيف كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يذهب بعيداً وفي مكان يصعب الوصول إليه ليكون أبعد عن الناس وأضمن في حصول التفرغ والخلوة.

قال شيخنا ابن عثيمين:" فاختار– صلى الله عليه وسلم – مكاناً هو أبعد ما يكون عن الناس، وأصعب ما يكون في الصعود إليه وهو غار حراء، وهو غار في الجبل المعروف على يمين الداخل إلى مكة من الناحية الشرقية، وهو بعيد في قمة الجبل، ومسلكه صعب، ولكن الله يؤيد رسوله – صلى الله عليه وسلم – ليمهده للوحي بالقوة البدنية والشجاعة القلبية، وإلا فمن ينام في رؤس هذه الجبال وهذه في الليالي المقمرة والمظلمة لولا أن الله أيده بما أيده به" [شرح البخاري (١/٢٦)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان الأمر محبباً للنبي - صلى الله عليه وسلم - كما هو ظاهر الحديث، قال النووي - رحمه الله -:" قال أبو سليمان الخطابي - رحمه الله -: حببت العزلة إليه - صلى الله عليه وسلم - لأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتشجع قلبه" [شرح مسلم (٢/٣٧٤)]

واختُلف في كيفية عبادته - صلى الله عليه وسلم - فقيل كان يتعبد بشريعة نبي قبله ، فقيل:نوح ، وقيل: إبراهيم، وقيل: موسى، وقيل غير ذلك، والجمهور على أنه لم يتعبد بشريعة نبي قبله لأنه لو كان ذلك لنقل، وهو الأظهر والله أعلم وقوّى ابن حجر - رحمه الله -أنه يتعبد بشريعة إبراهيم.[الفتح (٨/٧١٧)]

وقال القرطبي - رحمه الله -:" كل هذه الأقوال متعارضة لا دليل قاطع على صحة شيء منها، والأصح القول الأول، لأنه لو كان متعبداً بشيء من تلك الشرائع لعُلم انتماؤه لتلك الشريعة، ومحافظته على أحكامها وأصولها وفروعها ولو عُلم شيء من ذلك لنقل إذ تقتضي ذلك" [المفهم (١/٣٧٥)]

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على أن أول ما نزل من القرآن ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ وبه قال جمهور العلماء، وسيأتي ذكر الخلاف عند الكلام على حديث جابر- رضي الله عنه - الذي يليه.

الفائدة الرابعة: قوله - صلى الله عليه وسلم -" **فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ** " فيه استخدام المعلم حين تعليمه ما يكون أدعى في تنبيه المتعلم وإحضار قلبه، وفعل جبريل عليه السلام لذلك بهذه الصورة وثلاث مرات للمبالغة وإشارة إلى ما سيحصل للنبي - صلى الله عليه وسلم - لاحقاً من الشدة عند نزول القرآن، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما:" كان النبي - صلى الله عليه وسلم -يعالج من التنزيل شدة" متفق عليه وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ (المزمل :٥)

قال القرطبي - رحمه الله -:" وهذا الغط من جبريل عليه السلام للنبي - صلى الله عليه وسلم - تفريغ له وإيقاظ حتى يقبل على ما يُلقى إليه، وتكراره ثلاثة مبالغة في هذا المعنى، وقال الخطابي - رحمه الله -: كان ذلك ليبلو صبره، ويحسن أدبه، فيرتاض لتحمل ما كلّفه من أعباء الرسالة" [المفهم (١/٣٧٦)]

الفائدة الخامسة: الحديث فيه عِظَم الآيات التي هي أول ما نزل من القرآن، حيث اشتملت على مقاصد القرآن وهي التوحيد والأحكام والأخبار.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" والحكمة في هذه الأولية أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن ففيها براعة الاستهلال، وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله... وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن أنها تنحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفي هذه إشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، وصفة فعل، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله تعالى:﴿**عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (العلق:٥)" [الفتح (٨/٧١٨-٧١٩)]

وفي البداءة بـ ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾(العلق :١) دلالة على أن البسملة ليست من السورة إذ لو كانت منها لذُكرت، وفي الحديث بيان سبب نزول قوله تعالى:﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة السادسة: الحديث فيه فضل خديجة رضي الله عنها، وحسن وقوف الزوجة مع زوجها فيما يُلمُّ به وتثبيته وتأنيسه من المخاوف التي وقعت له، وذكائها حيث استدلت بحسن صنيعه وخُلقه على أن الله تعالى لن يخيّبه، أخذته فزملته فردّت المخاوف بقولها (كلا) ثم بشّرت ثم أقسمت على ما نفته ثم استدلت بحسن صنيعه وكريم خصاله، وبعدما انتهت من التثبيت القولي شرعت بالتثبيت الفعلي فذهب به لابن عمها ورقة ليسمع منه وليكتمل حسن قيامها على ما ألمّ بزوجها رضي الله عنها وأرضاها، ولا عجب فقد شهد لها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالكمال من النساء.

قال النووي - رحمه الله -:" وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمره وتبشيره، وذكر أسباب السلامة له، وفيه أعظم دليل، وأبلغ حجة على كمال خديجة -رضي الله عنها-، وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها " [شرح مسلم (٢/٣٧٧)]

الفائدة السابعة: الحديث دليل على ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - من كريم الأخلاق من قبل النبوة.

الفائدة الثامنة: فيه دليل على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء وألوان المكاره، وفيه فضل أعمال الخير المتعدية النفع فإن أغلب ما ذكرته خديجة رضي الله عنها واستدلت به من ذلك، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً:" والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"

الفائدة التاسعة: الحديث دليل على جواز مدح الإنسان في وجهه لمصلحة كما فعلت خديجة رضي الله عنها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا مع المصلحة وأمن الفتنة ولهذا شواهد وتفصيل سيأتي في مظانه في " كتاب الزهد والرقائق" " باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط"

الفائدة العاشرة: الحديث فيه أن من نزل به أمر يتضمن خوفاً أو اضطراباً أو يحتاج إلى استشارة أن يطلع عليه من يثق بنصحه وصحة رأيه وتوجيهه ومن ذلك الزوجة إن كانت كذلك.

الفائدة الحادية عشرة: الحديث دليل على فضل العلم وذلك لما اشتملت عليه الآيات التي نزل بها جبريل عليه السلام من الأمر بالقراءة وأهمية العلم.

قال ابن القيم - رحمه الله -:" أول سورة أنزلها الله تعالى في كتابه سورة القلم، فذكر فيها ما مَنَّ به على الإنسان من تعليمه ما لم يعلم، فذكر فيها فضله بتعليمه وتفضيله الإنسان بما علمه إياه، وذلك يدل على شرف التعليم والعلم" [مفتاح دار السعادة (١/٥٨)]

الفائدة الثانية عشرة: في الحديث فضل ورقة بن نوفل وحسن جوابه بما عنده من العلم، وإيمانه بمحمد - صلى الله عليه وسلم - قبل إدراكه رسالته، وتمنيه إدراكه رسالته لينصره نصراً مؤزراً.

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" قال بعض العلماء فورقة بن نوفل أول من آمن به - صلى الله عليه وسلم - من الرجال، وهذا صحيح، لكنه أول من آمن به من الرجال قبل الرسالة؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نزول سورة (إقرأ) لم يكن رسولاً، ولكنه كان نبياً، فأما من آمن به بعد الرسالة فهو أبو بكر - رضي الله عنه -" [شرح البخاري (١/٣٣)]

وقال - رحمه الله -:" إلا أنه يعتبر صحابياً، لأن حد الصحبة ينطلق عليه، فإن الصحابي : من اجتمع بالرسول - صلى الله عليه وسلم - مؤمناً به ومات على ذلك " [التعليق على مسلم (١/٥٢٩)]

الفائدة الثالثة عشر: في ذهاب خديجة رضي الله عنها بالنبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ورقة وسؤاله بيان أهمية الرجوع إلى أهل العلم والذكر والاختصاص وسؤالهم.

الفائدة الرابعة عشر: في قول ورقة - رضي الله عنه - (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا) جواز تمني المستحيل في فعل الخير، لأن ورقة تمنى أن يعود شاباً وهو مستحيل عادة.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" ويظهر لي أن التمني ليس مقصوداً على بابه بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبره به، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به" [الفتح (١/٢٦)]

الفائدة الخامسة عشر: الحديث دليل على أن الابتلاء على الدعوة والإخراج من الأوطان سنة الأنبياء.

الفائدة السادسة عشر: في قول ورقة بن نوفل - رضي الله عنه - للنبي - صلى الله عليه وسلم - حين سأله" **أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟** » قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ" أمران:

الأول: أن سنة الله واحدة في عداء أهل الباطل لأهل الحق على مر الزمان.

الثاني: أن المجيب على السؤال عليه أن يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضى المقام ذلك [انظر الفتح (١/٢٦)]

الفائدة السابعة عشر: حديث جابر - رضي الله عنه - وجوابه حين سأله أبو سلمة - رضي الله عنه - : "أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** "استدل به من قال إن أول ما نزل من القرآن "**﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾**

وجمهور العلماء على أن أول ما نزل من القرآن﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ استدلالاً بحديث عائشة رضي الله عنها وهو الصواب.

ويدل على ذلك:

- أن حديث عائشة رضي الله عنها صريح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقرأ قبل (إقرأ) شيء من القرآن حيث قال له" مَا أَنَا بِقَارِىءٍ" .
- أن عائشة رضي الله عنها نقلت قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وتصريحه في أول نزول لجبريل عليه السلام عليه بـ (**إقرأ**) بينما جابر- رضي الله عنه - أجاب من علمه ، وجواب النبي - صلى الله عليه وسلم - مقدم على جواب غيره.
- أن جابر - رضي الله عنه - كان يحدث عن فترة الوحي، أي انقطاعه ثم مجيئه بـ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ بينما عائشة رضي الله عنها تحدث عن أول لقاء في الوحي وكان بـ (**إقرأ**).
- أن في حديث جابر- رضي الله عنه - ما يدل على حادثة غار حراء حيث قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:"**فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ** " فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- أن الأمر بالقراءة في الترتيب قبل الأمر بالإنذار.

قال ابن القيم - رحمه الله -:" هذا قول عائشة والجمهور والصحيح قول عائشة رضي الله عنها ثم ذكر بعض الأدلة السابقة" [انظر زاد المعاد (٨٢/١)]

وقال النووي - رحمه الله -:" والصواب أن أول ما أُنزل على الإطلاق كما صرح به﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها... وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾، وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر" [شرح مسلم (٣٨٢/٢)] وذكر بعض ما تقدم من الأدلة على ترجيح قول الجمهور.

وأما الجواب عن الأولية التي ذكرها جابر - رضي الله عنه - فالمراد بها أولية نسبية

قيل: إن مراد جابر - رضي الله عنه - بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة وهو ما ذكره النووي - رحمه الله - كما تقدم.

وقيل: المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار فأول ما نزل للنبوة (**إقرأ**) وأول ما نزل للرسالة ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾.

وقيل: أولية بالنسبة لنزول سورة كاملة، فبيّن أن المدثر نزلت بكمالها قبل تمام سورة (**إقرأ**) التي أول ما نزل منها صدرها.[انظر فتح المنعم، موسى شاهين(٥٣٢/١)]

الفائدة الثامنة عشر: حديث جابر- رضي الله عنه - فيه بيان ما اشتملت عليه سورة المدثر من أهمية الدعوة والإنذار وتعظيم الله جل وعلا في النفس ونفوس الخلق وتطهير النفس من النجاسات وسائر الذنوب والنقائص، ومجانبة الشرك.

قال النووي - رحمه الله -:" ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ﴾ معناها حذر العذاب من لم يؤمن، ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** ﴾ أي عظمه ونزهه عما لا يليق به،﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ قيل: معناها طهرها من النجاسة ، وقيل : قصرها، وقيل : المراد بالثياب النفس أي طهرها من الذنب وسائر النقائص، ﴿**وَالرُّجْزَ**﴾ بكسر الراء في قراءة الأكثرين وقرأ حفص بضمها، وفسره في الكتاب بالأوثان، وكذا قاله جماعة من المفسرين والرجز في اللغة: العذاب، وقيل المراد بالرجز في الآية الشرك، وقيل الذنب وقيل الظلم"[شرح مسلم(٣٨٣/٢)]

الفائدة التاسعة عشر: اختلف في المدة التي فتر فيها الوحي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وانقطع عنه وحزن النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك، فقيل: ثلاث سنين، وقيل: سنتين ونصف، وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوماً وقيل غير ذلك.

الفائدة العشرون: قول النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي. فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً**"

قال النووي - رحمه الله -:" فيه أنه ينبغي أن يُصبَّ على الفَزِع الماء ليسكن فزعه"

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٤-باب الإسراء برسول الله السموات وفرض الصلوات

١٢٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ (وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ. يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ) قَالَ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ. ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ خَرَجْتُ. فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ. فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. فَقَالَ جِبْرِيلُ : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ: عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ . صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِمَا .، فَرَحَّبَا، وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ . قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ، وَقَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. قِيلَ: مَنْ هٰذَا قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانا عَلِيّا} (مريم آية: ٥٧) ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهٰرُونَ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ . قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ . قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ، مُسْنِدا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ملك لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ. ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِّدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ. وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ. قَالَ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ. فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ. فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى . فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ. فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذٰلِكَ. فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يُطِيقُونَ ذٰلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ. فَذٰلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرا. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئا. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَىٰ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وفي رواية : عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللّهِ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

والحديث متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة ومن حديث أبي ذر أيضاً .

ففي حديث مالك بن صعصعة من الزيادات أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: مَرْحَبا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَىٰ. فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ هٰذَا غُلاَمٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي. يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي». وفيه : « أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ «فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هٰذِهِ الأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ».

وفي حديث أبي ذر من الزيادات : أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ. فَنَزَلَ جِبْرِيلُ . فَشَقَ صَدْرِي. ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ. ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئَا حِكْمَةً وَإِيمَانا. فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي. ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ. فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا.... وفيه : فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ. وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ. قَالَ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ. وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ. قَالَ فَقَالَ: مَرْحَبا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالاِبْنِ الصَّالِحِ. قَالَ قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا آدَمُ . وَهٰذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ. فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ. وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ. فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ. وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى قَالَ ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ.....

وفي رواية : «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوىً أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ». وفيه : « ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ. فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ. قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

ترجمة رواة الأحاديث:

الراوي الأول: أنس بن مالك - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الراوي الثاني: مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري النجاري، قال البغوي - رحمه الله - سكن المدينة، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -حديثين، وذكر الخطيب في المبهمات أنه قال له النبي - صلى الله عليه وسلم -:" أكل تمر خيبر هكذا؟" وأشهر حديث رواه حديث الإسراء وهو غاية ما تذكره كتب التراجم في ترجمته، فترجمته ليست موسعة في جلّ كتب التراجم مات بالمدينة رضي الله عنه وأرضاه.[انظر أسد الغابة (٥/٢٧) والإصابة (٥/٥٣٩) والاستيعاب (١/٤٢٠) ومشاهير علماء الأمصار(١/٥١]

الراوي الثالث: أبوذر - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الثاني والأربعين من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أخرجه مسلم حديث (١٦٢)، وأخرج البخاري بنحوه عن أنس- رضي الله عنه - في " كتاب التوحيد" " باب ماجاء في قوله عزوجل﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾ (النساء:١٦٤) حديث (٧٥١٧) .

وأما حديث مالك بن صعصعة فأخرجه مسلم حديث (١٦٤)، وأخرجه البخاري في " كتاب بدء الخلق" " باب ذكر الملائكة" حديث (٣٢٠٧)، وأخرجه الترمذي في" كتاب تفسير القرآن" " باب ومن سورة ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ حديث (٣٣٤٦)، وأخرجه النسائي في " كتاب الصلاة" " باب فرض الصلاة" حديث (٤٤٧).

وأما حديث أبي ذر- رضي الله عنه - فأخرجه مسلم حديث(١٦٣)، وأخرجه البخاري في"كتاب الصلاة" " باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء" حديث(٣٤٩)، وأخرجه النسائي في "كتاب الصلاة" " باب فرض الصلاة" حديث (٤٤٨)، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها" " باب ما جاء في فرض الصلوت الخمس والمحافظة عليها" حديث (١٣٩٩).

شرح ألفاظ الأحاديث:

- (**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ**):قال النووي - رحمه الله -:" هو بضم الباء الموحدة، قال أهل اللغة: البراق اسم الدابة التي ركبها النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء .

قيل سمي بذلك: لأنه مشتق من البرق لسرعته، وقيل: لشدة صفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض.[انظر شرح النووي لمسلم(٢/٣٨٥)، والفتح(١/٨٥)]

- (**يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ**): الطرف بفتح الطاء وسكون الراء البصر وفي رواية للبخاري"يضع خطوة عند أقصى طرفه" أي رجله عند منتهى ما يرى بصره، والمقصود أنه سريع بعيد الخطوة.[انظر المفهم (١/٣٨٧)]

- (**حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ**): قال النووي - رحمه الله -:" بيت المقدس فيه لغتان شهيرتان غاية الشهرة: إحداهما بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال، والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة، قال الواحدي: أما من شدده فمعناه المطهر... وأما الحلقة فبإسكان اللام على اللغة الفصيحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشهورة، وحكى الجوهري وغيره فتح اللام أيضاً... وجمع حلق حلقات، وأما لغة الإسكان فجمعها حَلق وحِلق بفتح الحاء وكسرها"[شرح مسلم المرجع السابق] والمراد أنه ربطها بحلقة باب مسجد بيت المقدس.

- (**اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ**): قال النووي - رحمه الله -:" فسروا الفطرة هنا بالإسلام، ومعناها والله أعلم، اخترت علامة الإسلام والإستقامة، وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً طاهراً سائغاً للشاربين، سليم العاقبة، وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل"[شرح مسلم(٢/٣٨٥-٣٨٦)]

- (**ثُمَّ عَرَجَ**): بفتح العين والراء أي صعد.

- (**فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ**): أي طلب الفتح.

- (**وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟**): قيل هو استفهام عن أصل البعثة، وقيل: بل هو استفهام هل بُعث إليه وصعود السموات وهو قول الأكثر والأظهر والله أعلم، إذ أن أصل البعثة لا يخفى عليه.

- (**الْبَيْتِ الْمَعْمُور**): سمي بذلك لكثرة عمارته بدخول الملائكة فيه وتعبدهم عنده.[انظر المفهم (١/٣٨٩)]

- (**سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ**): قال النووي - رحمه الله -:" قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وحكى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى"[شرح مسلم(٢/٣٨٦) انظر تفسير البغوي(٧/٤٠٥) وتفسير ابن كثير (٧/٤٥٤)]

- (**كَالْقِلاَلِ**): بكسر القاف جمع (قلة) والقلة جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر.

- (**يَنْعَتَهَا**): أي يصفها.

- (**عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللّهِ**): تقول أسرى وسرى إذا سار ليلاً، هذا قول الأكثر، وقيل أسرى سار أول الليل، وسرى سار من آخره، وليلة الإسراء هي ليلة المعراج، ولكن الإسراء في الأرض والمعراج في السماء.

- (**أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ**): قال ابن حجر - رحمه الله -:" والنفر الثلاثة لم أقف على تسميتهم صريحا لكنهم من الملائكة" [الفتح (١٣/٤٨٠)]

- (**ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ**): بفتح الطاء وإسكان السين وهو الإناء المعروف.

- (**فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ**): فسر الأسودة بأنهم نسم بنيه، والأسودة جمع سواد كزمان، أزمنة، والسواد الشخص وقيل الجماعات.

-(**نَسَمُ بَنِيهِ**): بفتح النون والسين والواحدة نسمة، قال الخطابي وغيره: هي نفس الإنسان والمراد أرواح بني آدم.[انظر شرح النووي لمسلم(٢/٣٩٠)]

- (**حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوىً أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ**): أي حتى علوت لمستوى أسمع فيه صوت الأقلام بالكتابة قال الخطابي:" هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ، أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره" [شرح النووي لمسلم(٢/٣٩٢)]

- (**جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ**): قال النووي - رحمه الله -:" هي القباب واحدتها جنبذة" [المرجع السابق]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوائد الأحاديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على إثبات الإسراء والمعارج برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والكلام عليه من عدة وجوه: – **معنى الإسراء والمعراج**

الإسراء لغة : السير بالشخص ليلاً ، وشرعاً سير جبريل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى بيت المقدس ليلاً .

ويدل على ذلك : قوله تعالى : **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}** [الإسراء: ١].

والمعراج لغة : الآلة التي يُعرج بها وهي المصعد ، **وشرعاً** : عروج النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأرض إلى السماء ، والله أعلم بكيفية الآلة التي عرجت به .

ويدل على ذلك : قوله تعالى من أول سورة النجم : **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}** [النجم: ١ –]٢ **إلى قوله** : **{لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ}** [النجم: ١٨].

– الإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة والإجماع

فمن الكتاب : قوله تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}** [الإسراء: ١] ، والأقصى يعني الأبعد سمي بذلك قيل لبعده عن مكة .

ومن السنة : الأحاديث كثيرة منها أحاديث الباب ؛حديث مالك بن صعصعة، وحديث أنس وحديث أبي ذر رضي الله عنهم، وحديث ابن عباس رضي الله عنه أيضا في الصحيحين ، وورد في أحاديث أخرى في غير الصحيحين حتى ذكر القاسمي : أن حادثة الإسراء والمعراج رواها عشرون صحابياً .

وأجمع السلف رحمهم الله على أنه - صلى الله عليه وسلم - أسُري وعُرج به .

– مكان الإسراء والمعراج ووقته

مكانه : بالاتفاق أن الإسراء كان من مكة إلى بيت المقدس ، وبالاتفاق أن المعراج كان من بيت المقدس .

[انظر مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٧]

ويدل على ذلك : قوله تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}** [الإسراء:١] ، وحديث مالك بن صعصعة وأيضاً أنس بن مالك في الصحيحين يدلان على أن المعراج كان من بيت المقدس.

وأما وقته : لم يثبت دليل صريح صحيح في تحديد تاريخ الإسراء والمعراج ، والذي يعرف من كتب السيرة أن الإسراء والمعراج كان بعد عام الحزن الذي توفي فيه عم النبي - صلى الله عليه وسلم -أبوطالب وزوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة وفيه طرد النبي - صلى الله عليه وسلم - من الطائف وليس في معرفة تاريخ الإسراء والمعراج كبير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فائدة لأنه لا يترتب عليه حكم شرعي والأقوال في تحديدها كثيرة وليس هناك نص صحيح صريح فقيل : قبل البعثة ، وقيل: بعد الهجرة ، وقيل :قبل الهجرة بخمس ، وقيل :بستِ ، وقيل :بسنة وشهرين ، حتى بلغت أكثر من عشرة أقوال [انظر فتح الباري ٧ / ٢٠٣] .

ولهذا من الجهل ما يفعله البعض من الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج حيث يتعبدون بالاحتفال بليلة سبع وعشرين من شهر رجب، زاعمين أنها هي ليلة الإسراء، والاحتفال بتلك الليلة لم يفعله النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا الصحابة ولا التابعون، فضلاً على أنه لا يعرف تحديد هذه الليلة، إذ لم يأت دليل صريح صحيح في تحديدها، فالاحتفال بها من البدع المحدثة.

- والإسراء والمعراج كان بروحه - صلى الله عليه وسلم - وبدنه وكان يقظة مرة واحدة لامناماً .

وهذا قول جمهور العلماء أنه كان بروحه وجسده يقظة لا مناماً مرة واحدة .

ويدل عليه : أن لفظ العبد يصدق على الجسد والروح والله -عز و جل- يقول:**{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}** ، وأيضاً لو كان بروحه فقط لم يستبعده كفار قريش وينكروه ويستهزئوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه يكون كالرؤى المنامية ولكنها معجزة جعلها الله لنبيه .

وقيل : الإسراء كان مناماً ، **وقيل** : كان بروحه دون جسده ، وقيل : كان الإسراء مراراً مرة بروحه ومرة بجسده ومرة يقظة ومرة مناماً ، والصواب كما تقدم وهو قول الجمهور والله أعلم .

قال ابن حجر :" وإلى هذا — يعني الإسراء والمعراج بالروح والجسد — ذهب جمهور الأمة من العلماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك "[الفتح ١٩٧/٧]

وإلى هذا ذهب ابن القيم في زاد المعاد ونصر القول بأنه عرج به بجسده وروحه. [انظر زاد المعاد ٢٤/٣]

وفي إسراء الله تعالى بنبيه- صلى الله عليه وسلم -بيان عظيم قدرة الله تعالى.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على إكرام الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - حيث شرفه بالإسراء وشرّف أمته بهذه الآية العظيمة حيث سار النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى بيت المقدس ثم عُرج به إلى أعلى شرف ماراً بالأنبياء في كل سماء ثم رجع من ليلته إلى مكة، وصلى الصبح بمكة.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على مشروعية الأخذ بالأسباب وأنه لا ينافي التوكل بل هو من التوكل، ففي الحديث إمام المتوكلين محمد- صلى الله عليه وسلم - أخذ بالإحتياط والسبب فربط دابته البراق بحلقة باب بيت المقدس قال النووي - رحمه الله -:" وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط والسبب في الأمور وتعاطي الأسباب، وإن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى" [شرح مسلم (٣٨٥/٢)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال ابن تيمية - رحمه الله -:" كما أن من أخذ يدخل في التوكل تاركاً لما أمر به من الأسباب فهو أيضاً جاهل ظالم، عاص لله يترك ما أمره، فإن فعل المأمور به عبادة لله، وقد قال تعالى: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيه**﴾(هود:١٢٣) وقال جل شأنه: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾...وفي هذه النصوص بيان غلط طوائف: طائفة تضعف أمر السبب المأمور به فتعدّه نقصاً أو قدحاً في التوحيد والتوكل، وأن تركه من كمال التوكل، وهم في ذلك ملبوس عليهم وقد يقترن بالغلط اتباع الهوى في إخلاد النفس إلى البطالة" [مجموع الفتاوى(١٨/١٧٩-١٨٣)]

الفائدة الرابعة : في الحديث أن من أدب الإستئذن لمن طرق الباب، وقيل له من أنت؟ أن يجيب باسمه فيقول أنا زيد مثلاً لا يقول أنا، ووجه ذلك أن جبريل حين استأذن وسُئل (**مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ**) أما الاكتفاء بقول أنا فقد جاء في الحديث النهي عن ذلك، ففي الصحيحين من حديث جابر قال:" أتيت النبي- صلى الله عليه وسلم - فدققت الباب فقال: من هذا؟، فقلت :أنا، فقال- صلى الله عليه وسلم -:**أنا أنا؟** كأنه كرهها" وفي حديث أم هانئ رضي الله عنها قالت:" أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يغتسل وفاطمة رضي الله عنها تستره فقال - صلى الله عليه وسلم -: **من هذه؟** فقلت: أنا أم هانئ" متفق عليه.

الفائدة الخامسة: ترحيب الأنبياء ودعاؤهم للنبي - صلى الله عليه وسلم -، دليل على استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب وحسن الكلام والدعاء لهم.

الفائدة السادسة: في الحديث دلالة على جواز مدح الإنسان في وجهه لاسيما مع المصلحة إذا أمن عليه الإعجاب وأسباب الفتنة، وشاهد ذلك مدح الأنبياء عليهم السلام للنبي - صلى الله عليه وسلم -:" **مَرْحَبا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ**" .

الفائدة السابعة: في الحديث دلالة على أن للسماء أبواباً حقيقية، وحفظة موكلين بها، فهي سقف محفوظ له أبواب لايدخله أحد إلا بإذن ولذا كان جبريل في كل سماء يستفتح ثم يفتح له، ويشهد لذلك قول الله تعالى:﴿ **لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾(الأعراف:٤٠)، وقوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا** ﴾(الأنبياء:٣٢)

الفائدة الثامنة: في الحديث دلالة على أن صاحب المكان له الحق أن يسأل عن اسم الطارق وعمن معه ففي كل سماء يستفتح جبريل فيسأله الملك عن اسمه واسم من معه، وفيه دليل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم كان معروفاً عند الملائكة من قبل البعثة.

الفائدة التاسعة: الحديث دليل على أن الملائكة لا يعلمون الغيب، ووجه ذلك أنهم لو كانوا يعلمون لما سألوا عن المستفتح ومن معه.

الفائدة العاشرة: الحديث فيه ذكر عدد الأنبياء في كل سماء ووصف أشباههم كما سيأتي في الأحاديث قريباً، وترتيبهم في السموات لايدل على أن الأعلى أفضل ممن دونه بدليل أنه في السماء الثانية عيسى عليه السلام وهو أفضل ممن فوقه كيوسف وإدريس بلا شك، والأنبياء رآهم النبي - صلى الله عليه وسلم -:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*في **السماء الأولى**: آدم عليه السلام وهو أول الأنبياء وأبو البشر ولذلك الأنبياء يقولون لنبينا - صلى الله عليه وسلم - " **مَرْحَبا بالأَخِ الصَّالِحِ**." وآدم عليه السلام يقول "**مَرْحَبا بَالِابْنِ الصَّالِحِ**" وكذلك إبراهيم قال له ذلك كما في بعض الروايات، وأخذ منه بعض أهل العلم إشارة إلى افتخارهما بأبوة النبي - صلى الله عليه وسلم -" [انظر فتح المنعم (٥٦٧/١)]

*في **السماء الثانية**: ابنا الخالة عيسى ابن مريم ويحيي بن زكريا عليهما السلام، وكلاهما رحب بالنبي - صلى الله عليه وسلم -ودعيا له.

*وفي **السماء الثالثة**: يوسف عليه السلام وأنه فُضِّل بنصف الحسن ولقد أنزل الله تعالى في فضله سورة كاملة وفيها ما يدل على افتتان إمرأة العزيز ونسوة معها بجماله حتى ﴿**أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ (يوسف : ٣١)

*وفي **السماء الرابعة**: إدريس عليه السلام وفي ذكره في سورة مريم قال تعالى:﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾ (مريم :٥٧) وهو تنصيص في رفع مكانته كما رفع الأنبياء، وليس كما ظن قوم أنه كعيسى رفعه الله وهو حي، قال ابن حجر - رحمه الله -:" وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية" [الفتح (٣٧٥/٦)]

*وفي **السماء الخامسة**: هارون عليه السلام فرحب بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ودعا له، وهارون عليه السلام أخو موسى عليه السلام، قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" هو أخو موسى من أبيه وأمه، وليس كما ظن بعض الناس أنه أخوه من أمه لقوله تعالى:﴿ **قَالَ يَا ابْنَ، أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**﴾(طه:٩٥) بل هو أخوه من أبيه وأمه، ولكنه قال : ﴿**يَا ابْنَ أُمَّ**﴾ من باب التلطف والتحنن لأن الأم أشد حناناً من الأب" [التعليق على مسلم(٥٤٢/١)]

*وفي **السماء السادسة**: موسى عليه السلام، فرحب به ودعا له، ولموسى عليه السلام فضل على هذه الأمة بتخفيف الصلاة كما سيأتي.

*وفي **السماء السابعة**: إبراهيم عليه السلام وهو فوق الأنبياء كلهم في السماء السابعة، فرحب به ودعا له، وكان إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور.

الفائدة الحادية عشر: الحديث دليل على أن السموات سبع وأن بين كل سماء وسماء مسافة طويلة.

الفائدة الثانية عشر: في الحديث إثبات البيت المعمور، وقد دل على ثبوته الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى:﴿**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**﴾(الطور :٤)، ومن السنة حديث الباب، وهو معمور بالملائكة وطوافهم ودخولهم فيه، ففي الحديث :" **يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه**" ويأتي بعده آخرون بنفس العدد وهكذا.

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" وقد قيل : أنه يحاذي الكعبة في الأرض ولكن في ذلك نظر، وهل الملائكة يطوفون به أو يدخلون؟ جاءت الألفاظ بهذا وبهذا فلعلهم يطوفون ويدخلون ولا تنافي بينهما" [المرجع السابق (٤٥٣/١)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة عشر: في الحديث إثبات الملائكة وكثرتهم، فتأمل حال من أحوال كثرتهم فهم في يوم من أيام الدنيا يدخل سبعون ألف ملك ثم يخرجون ولا يعودون بل يأتي غيرهم في كل يوم بهذا العدد إلى قيام الساعة، وقد جاءت أدلة أخرى تبيَّن كثرتهم ففي حديث أبي ذر - رضي الله عنه -مرفوعاً:" **أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً**" وفي رواية" **إلا ملك ساجداً أو راكع**" الحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني [صحيح الجامع (٢٤٤٩)]

الفائدة الرابعة عشر: الحديث دليل على علو منزلة النبي - صلى الله عليه وسلم - وارتفاعه فوق منازل الأنبياء في السموات صلوات الله عليهم أجمعين، وحيث خصه بالارتفاع ولقاء كل نبي في سمائه حتى ارتفع عن السماء السابعة.

الفائدة الخامسة عشر: في الحديث دليل على جواز الاستناد إلى القبلة وجعل الظهر إليها، لقوله - صلى الله عليه وسلم -" **فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ، مُسْنِدا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**"

قال النووي - رحمه الله -:" قال القاضي - رحمه الله -: يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة، وتحويل الظهر إليها" [شرح مسلم (٣٨٦/٢)]

الفائدة السادسة عشر: الحديث فيه وصف بعض حسن سدرة المنتهى وتغيرها، وإلا فوضعها الكامل كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:" **فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا**" لأنه يغشاها من الحسن ما يغشاها وهو قوله تعالى:﴿ **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ**﴾(الطور:١٦) أي من الحسن وجاء من وصفها أن أوراق شجرة السدر من كبرها وحسنها كآذان الفيلة وثمارها كبيرة كالقلال مفردها قلة يسمونها عندنا الزير.

الفائدة السابعة عشر: الحديث دليل على عظم شأن الصلاة وذلك لعدة أمور اقترنت بها عن بقية أركان الإسلام": أنها فرضت خمسين صلاة وما ذاك إلا لعظم قدرها، وأنها فرضت في أعلى مكان في السماء، ،وإنها فرضت عبادة يومية.

الفائدة الثامنة عشر: في فرض الصلاة خمسين صلاة إلى أن فرضت خمس صلوت دليل على جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل.

الفائدة التاسعة عشر: الحديث فيه بيان فضل موسى عليه السلام على هذه الأمة، حيث كان سبباً في التخفيف عنهم من خمسين صلاة إلى خمس صلوات، وفيه استشارة أهل العلم والصلاح فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينفذ نصيحة موسى عليه السلام.

الفائدة العشرون: الحديث دليل على فضل الله تعالى على هذه الأمة بتخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس تخفيف عدد لا تخفيف ثواب لقوله تعالى:" **لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ**" فكان الفضل فضلين فضل تخفيف العدد وفضل مضاعفة الأجر فيكتب وكأن الإنسان صلى بالفعل خمسين صلاة فلله الحمد على أفضاله وعظيم إحسانه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الحادية والعشرون: الحديث فيه التفريق بين الهم بالحسنة والهم بالسيئة ومضاعفة العمل على الحسنة دون السيئة وتقدم تفصيل هذه المسألة في حديث ابن عباس رضي الله عنهما :"**إن الله كتب الحسنات والسيئات**"

الفائدة الثانية والعشرون: الحديث فيه إثبات صفتين من صفات الله تعالى (صفة الكلام) وأنه يتكلم جل وعلا بصوت مسموع لأن الله سمع كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وكلمه الله تعالى وكان النبي يراجعه، وإثبات (العلو لله تعالى) وتقدم الكلام على عظم صفة القدرة له جل وعلا ففيه إثبات جمع من الصفات.

الفائدة الثالثة والعشرون: الحديث دليل على نبل خلق الحياء وفضله وأنه من مكارم أخلاق النبوة، فقد راجع النبي - صلى الله عليه وسلم - الله تعالى حتى استحيا من الله تعالى.

الفائدة الرابعة والعشرون: الحديث حجة لأهل السنة والجماعة في إثبات الجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن خلافاً للمعتزلة.

الفائدة الخامسة والعشرون: قوله - صلى الله عليه وسلم - عن موسى عليه السلام في رواية مالك بن صعصعة - رضي الله عنه -" **فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَىٰ. فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟**" قال النووي - رحمه الله -:" قال النووي: " معنى هذا والله أعلم. أن موسى عليه السلام حزن على قومه؛ لقلة المؤمنين منهم مع كثرة عددهم، فكان بكاؤه حزنا عليهم، وغبطة لنبينا -صلى الله عليه و سلم- على كثرة أتباعه، والغبطة في الخير محبوبة، ومعنى الغبطة أنه ودّ أن يكون من أمته المؤمنين مثل هذه الأمة، لا أنه ودّ أن يكونوا أتباعا له وليس لنبينا صلى الله عليه و سلم مثلهم، والمقصود أنه إنما بكى حزنا على قومه وعلى فوات الفضل العظيم والثواب الجزيل بتخلفهم عن الطاعة، فإن من دعا إلى خير وعمل الناس به كان له مثل أجورهم، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، ومثل هذا يبكى عليه ويحزن على فواته والله أعلم" [شرح مسلم ٢/ ٣٩٥]

الفائدة السادسة و العشرون: قوله - صلى الله عليه وسلم - في رواية مالك بن صعصعة - رضي الله عنه -:"« **أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا** [أي من أصل سدرة المنتهى] **نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ «فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هٰذِهِ الأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ**».

ظاهر الحديث أن النيل والفرات ليست من أنهار الجنة، فكيف الجمع بين هذا وبين ما جاء في صحيح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:" سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة"؟

قال القرطبي - رحمه الله -:" ويمكن أن الجمع بينهما أن النيل والفرات لما كانا مشاركين لنهري الجنة في أصل السدرة أُطلق عليهما أنهما من الجنة" [المفهم(١/٣٩١)]

وهل النيل والفرات هما اللذين في الأرض؟

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" اختلف العلماء في معنى هذا، فقيل: إن معناه على التشبيه البليغ، يعني: أنهما نهران يشبهان النيل والفرات، وأنهما ليس هما النيل والفرات الذين في الأرض، وقيل: بل هما كانا في ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقت هناك، ثم نزلا، ولكن الأول أقرب إلى المعقول، لأن هذين النهرين موجودان منذ زمن، من قبل المعراج، ومن قبل بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم -" [التعليق على مسلم (١/٥٥٨-٥٥٩)]

الفائدة السابعة والعشرون: حديث أبي ذر- رضي الله عنه - فيه إثبات شق صدر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين أسري به وغسله بماء زمزم وملؤه إيماناً وحكمة.

الفائدة الثامنة والعشرون: في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - إشكال وهو كون أن آدم عليه السلام ينظر عن يمينه أرواح أهل الجنة وعن يساره أرواح أهل النار في السماء الدنيا، وجاءت النصوص دالة على أن أرواح الكفار في سجين، وأرواح المؤمنين في الجنة، فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا؟

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -:" وظاهره أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء وهو مشكل قال القاضي عياض قد جاء إن أرواح الكفار في سجين وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا وأجاب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتا فصادف وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على أن كونهم في الجنة والنار إنما هو في أوقات دون أوقات قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيًّا**﴾ واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما هو نص القرآن والجواب عنه ما أبداه هو احتمالا إن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ويحتمل أن يقال إن النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد وهي مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون إليه فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره بخلاف التي في الأجساد فليست مراده قطعا وبخلاف التي انتقلت من الأجساد إلي مستقرها من جنة أو نار فليست مراده أيضا فيما يظهر وبهذا يندفع الإيراد ويعرف أن قوله نسم بنية عام مخصوص أو أريد به الخصوص" [الفتح ١/ ٤٦١]

الفائدة التاسعة والعشرون: حديث أبي ذر - رضي الله عنه - فيه إثبات كتابة الملائكة لما يؤمروا به من الأقضية والوحي أو ما شاء الله تعالى أن يكتب، وتقدم كلام الخطابي - رحمه الله -في شرح ألفاظ الحديث.

الفائدة الثلاثون: حديث أبي ذر - رضي الله عنه - دليل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل الجنة ليلة الإسراء ورأى من نعيمها ما رآه من قباب اللؤلؤ وتراب الجنة وهو المسك نسأل الله من فضله.

١٢٤- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً. فَقَالَ: هٰذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ. ثُمَّ لأَمَهُ. ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذٰلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ. **رواه مسلم**

ترجمة راوي الحديث:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنس بن مالك - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث(١٦٢) وانفرد به.

شرح ألفاظ الحديث:

-(**فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ**): أي ألقاه على الأرض.

- (**فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً**): أي استخرج من قلبه قطعة دم.

- (**حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ**): أي نصيبه الذي من خلاله يوصل الوسوسة إليك.

- (**ثُمَّ لأَمَهُ**): أي جمعه وضم بعضه إلى بعض.

- (**إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ**): الظئر المرضع.[انظر لسان العرب مادة (ظأر) ٤/٥١٤)] والمراد بها هنا حليمة السعدية مرضعة رسول الله- صلى الله عليه وسلم -.

- (**مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ**): أي متغير اللون.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: في الحديث إثبات شق الصدر للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم - وهوصغير،وتحصَّل من هذا ، إثبات شق صدره وهو صغير في بعض جهات مكة لهذا الحديثن وإثبات شق صدره حين أسري به ليلة الإسراء والمعراج- كما تقدم بيانه في حديث الإسراء، وذكر ابن حجر - رحمه الله -مرة ثالثة لشق الصدر عند البعثة وبين الحكمة من شق صدره - صلى الله عليه وسلم - في المرات الثلاث.

قال ابن حجر - رحمه الله -:" وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل، ولكل منهما حكمة، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس- رضي الله عنه - فأخرج علقة فقال " هٰذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ" وكان هذا في زمن الطفولة فنشأ على أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه - صلى الله عليه وسلم -" [الفتح(٧/٢٠٤-٢٠٥)]

الفائدة الثانية: الصحيح أن شق صدره - صلى الله عليه وسلم - حقيقة على ظاهره خلافاً لمن أوّله.

قال القرطبي - رحمه الله -:" وهذا الحديث محمول على ظاهره وحقيقيته، إذ لا إحالة في متنه عقلاً، ولا يستبعد من حيث أن شق الصدر وإخراج القلب موجب للموت، فإن ذلك أمر عادي، وكانت جل أحواله - صلى الله عليه وسلم - خارقة للعادة، إما معجزة وإما كرامة، وهذا الشق هو خلاف الشق المذكور في حديث أبي ذر ومالك بن صعصعة رضي الله عنهما ، بدليل اختلاف الزمان والمكانين والحالين". [المفهم(١/٣٨٢)]

وقال ابن حجر - رحمه الله -:" واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه، حقيقة لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك"[الفتح (٧/٢٠٥)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة: الحديث فيه بيان عناية الله تعالى بالنبي - صلى الله عليه وسلم - حيث حفظه من الشيطان ووسوسته وتسليطه فعصمه منه بإخراج حظه منه.

١٢٥- وعن ابْنِ عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. رَجُلٌ آدَمَ طُوَالٌ جَعْدٌ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ. إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ. سَبِطَ الرَّأْسِ». وَأُرِيَ مَالِكا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ. فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ {فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةً مِنْ لِقَائِهِ}**

وفي رواية : «**عِيسىٰ جَعْدٌ مَرْبُوعٌ**»

١٢٦- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَمَرَرْنَا بِوَادٍ. فَقَالَ: «**أَيُّ وَادٍ هٰذَا؟**» فَقَالُوا: وَادِي الأَزْرَقِ. فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَىٰ وَاضِعا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ. مَارًّا بِهٰذَا الْوَادِي**» قَالَ: «**ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ. فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هٰذِهِ» قَالُوا: هَرْشَىٰ أَوْ لِفْتُ. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ. عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ. خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ. مَارًّا بِهٰذَا الْوَادِي مُلَبِّيا**».

١٢٧- وعَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ. فَإِذَا مُوسَىٰ ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ . عَلَيْهِ السَّلاَمُ .. فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ. وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ. فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ** (يَعْنِي نَفْسَهُ) **وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ**».

١٢٨- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «**حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَىٰ . عَلَيْهِ السَّلاَمُ .**

فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: **فَإِذَا رَجُلٌ مُضْطَرِبٌ. رَجِلُ الرَّأْسِ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. قَالَ، وَلَقِيتُ عِيسَى** فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: **فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ**» (يَعْنِي حَمَّاما) قَالَ: **وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ. وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ. قَالَ: فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ. فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ. فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ. أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**».

ولمسلم من حديث أنس :«**أَتَيْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ. وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٢٩- عن عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْما، بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ: الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ. فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ. كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ. فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ. تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ. رَجِلُ الشَّعَرِ. يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً. وَاضِعا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ. وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْدا قَطَطا. أَعْوَرَ العَيْنِ الْيُمْنَىٰ. كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ. وَاضِعا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ. يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: هٰذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**».

ترجمة رواة الأحاديث:

الحديث الأول والثاني راويهما ابن عباس تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.

والذي يليه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وتقدمت ترجمته في الحديث الخامس من كتاب الإيمان.

والذي يليه أبو هريرة - رضي الله عنه -، وتقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

والذي يليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وتقدمت ترجمته في الحديث السادس من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث ابن عباس الأول رضي الله عنهما الأول أخرجه مسلم، حديث (١٦٥)، وأخرجه البخاري في " كتاب بدء الخلق " " باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه" حديث (٣٢٣٩).

وأما حديث ابن عباس الثاني فأخرجه مسلم حديث (١٦٦)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب المناسك" " باب الحج على الرجل" حديث (٢٨٩١)

وأما حديث جابر - رضي الله عنه - فأخرجه مسلم، حديث (١٦٧)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في " كتاب المناقب " " باب في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم -" حديث (٣٦٤٩).

وأما حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، فأخرجه مسلم حديث (١٦٨)، وأخرجه البخاري في " كتاب أحاديث الأنبياء" " باب قول الله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾، حديث(٣٣٩٤)، وأخرجه الترمذي في " كتاب التفسير" " باب ومن سورة بني إسرائيل" حديث (٣١٣٠).

وأما حديث ابن عمر -رضي الله عنهما -فأخرجه مسلم حديث (١٦٩)، وأخرجه البخاري في " كتاب اللباس " " باب الجعد" حديث (٥٩٠٢).

شرح ألفاظ الأحاديث:

-(**رَجُلٌ آدَمَ**): الأدمة في الإنسان هي السمرة.

-(**طُوَالٌ**): بضم الطاء وتخفيف الواو أي طويل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-(**جَعْدٌ**): الجعد قد تطلق على جعد الجسم، وجعد الشعر، فجعودة الجسم اجتماعه واكتنازه، وجعودة الشعر هي القطط أو بين القطط والسبط، والقطط هو الشديد الجعودة الذي إذا قبض امتد، والأقرب أنه بين القطط والسبط ويشهد له حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وابن عمر رضي الله عنهما أنه عليه السلام "رَجِلُ الشَّعَرِ"

-(**مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**): قال النووي - رحمه الله -: " هي قبيلة معروفة... قال الجوهري: الشنوءة التقزز وهوالتباعد عن الأدناس، ومنه أزد شنوءة، وهو حي من اليمن" [المرجع السابق، وانظر المفهم (٣٩٧/١)]

وكأن وجه الشبه بين موسى عليه السلام ورجال شنوءة ما بدا عليه من الاعتزاز والترفع عن الأدناس والله أعلم.

-(**مَرْبُوعَ الْخَلْقِ**): قال النووي - رحمه الله -:" قال أهل اللغة هو الرجل بين الرجلين في القامة، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقير" [المرجع السابق]

(**سَبِطَ الرَّأْسِ**): قال النووي - رحمه الله -:" السبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان، ويجوز إسكان الباء مع كسر السين وفتحها على التخفيف... قال أهل اللغة: الشعر السبط المسترسل ليس فيه تكسر" [المرجع السابق]

- (**عِيسىٰ جَعْدٌ مَرْبُوعٌ**): قال النووي - رحمه الله -:" وأما قوله - صلى الله عليه وسلم - في عيسى أنه جعد، ووقع في أكثر الروايات في صفته سبط الرأس، فقال العلماء: المراد بالجعد هنا الجسم، وهو اجتماعه واكتنازه، وليس المراد جعودة الشعر" [المرجع السابق]

- (**فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةً مِنْ لِقَائِهِ**): قال النووي - رحمه الله -:" هو من استدلال بعض الرواة، وأما تفسير قتادة فقد وافقه عليه جماعة، منهم مجاهد والكلبي والسدي، وعلى مذهبهم معناه: فلا تكن في شك من لقائك موسى، وذهب كثيرون من المحققين من المفسرين وأصحاب المعاني إلى أن معناها: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب، وهذا مذهب ابن عباس ومقاتل والزجاج وغيرهم" [شرح النووي لمسلم (٣٩٨/٢)]

وكثير من المفسرين على أن المراد لقاء موسى ليلة المعراج [انظر تفسير الطبري (١٩٤/٢٠) والقرطبي (١٠٨/١٤) وابن كثير (٢٨/٥) والبغوي ٣٠٨/٦)]

- (**وَادِي الأَزْرَقِ**): وادٍ خلف أمَج، بينه وبين مكة ميل، وأمج قرية ذات مزارع هناك.

- (**لَهُ جُؤَارٌ إِلَى الله بِالتَّلْبِيَةِ**): قال القرطبي - رحمه الله -:" (الجؤار) رفع الصوت وهو مهموز ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل:٥٣)" [المفهم (٣٩٦/١)]

- (**أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ**): الثنية هي العقبة أو طريقها أو الجبل .

- (**هَرْشَىٰ**): أي أنها ثنية هرشى، بفتح الهاء وإسكان الراء، وهو جبل على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة.

- (**خِطَامُ نَاقَتِهِ**): الخطام بكسر الخاء هو الحبل الذي يقاد به البعير يجعل على خطمه.[انظر المرجع السابق]

(**خُلْبَةٌ**): بضم الخاء وفي اللام لغتان الضم والإسكان، وهي الليف.[المرجع السابق، وانظر المفهم(٣٩٧/١)]

(**ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ**): قال القرطبي - رحمه الله -:" (**ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ**) الذي له جسم بين جسمين ليس بالضخم ولا الضئيل"[المفهم (٣٩٧/١)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في صفة موسى - عليه السلام -" رَجُلٌ مُضْطَرِبٌ" والمضطرب هو الطويل غير الشديد، ضعف القاضي عياض - رحمه الله -رواية " مُضْطَرِبٌ " لمخالفتها رواية"ضَرْبٌ"، قال النووي - رحمه الله -عن تضعيف القاضي لرواية " **مُضْطَرِبٌ** ":" لا يوافق عليه، فإنه لا مخالفة بينهما، فقد قال أهل اللغة: الضرب هو الرجل الخفيف اللحم" [شرح مسلم(٢/٤٠١)]

(أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ): الديماس فسره الراوي بالحمام، وقال الجوهري: قوله" **خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ**" يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه.

جاء وصف عيسى عليه السلام هنا بأنه أحمر، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما بعده بأنه آدم أي أسمر فكيف الجمع بينهما؟

قال النووي - رحمه الله -بعدما ذكر رواية أنه أحمر:" ووصفه في رواية ابن عمر رضي الله عنهما بأنه آدم، والآدم الأسمر، وقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أنكر رواية أحمر، وحلف أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقله، يعني وأنه اشتبه على الراوي، فيجوز أن يتأول الأحمر على الآدم، ولا يكون حقيقة الأدمة والحمرة، بل ما قاربهما"[شرح مسلم (٢/٤٠١)]

قال القرطبي - رحمه الله -:" كأن الأدمة يسير سواد يضرب إلى الحمرة، وهو غالب ألوان العرب، ولهذا جاء في أخرى في وصف عيسى عليه السلام"إنه أحمر" مكان "آدم" وعلى هذا يجتمع ما في الروايتين" [المفهم (١/٤٠٠)]

قال ابن حجر - رحمه الله -:" فيمكن أن تكون أدمته صافية ولا ينافي أن يوصف مع ذلك بالحمرة لأن كثيراً من الأدم قد تحمر وجنته"[الفتح (١٣/٩٧)]

- **(عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ)**: الكثيب الرمل المجتمع.[الفتح(٦/٤٤٤)]

-**(عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ)**: أي ذهب ضوؤها.

-**(تَضْرِبُ لِمَّتُهُ)**: اللمة هو الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذنين.[شرح النووي(٢/٤٠٢)]

-**(رَجِلُ الشَّعَرِ)**: أي سرح شعره بمشط مع ماء وغيره.[المرجع السابق] والرجل فوق السبط ودون الجعد.[المفهم (١/٤٠٠)]

-**(جَعْدا قَطَطا)**: هذا في وصف الدجال والقطط شديد الجعودة، وهو القصير المتردد. [شرح مسلم للنووي(٢/٤٠٣)]

من فوائد الأحاديث:

الفائدة الأولى: الأحاديث دليل على فضل وعلو مرتبة النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث عرض عليه بعض الأنبياء والملائكة.

الفائدة الثانية: الأحاديث فيها إثبات صفة موسى وصفة عيسى عليهما السلام الخَلْقِية وتقدم بيان معاني الصفات في شرح ألفاظ الحديث، وتحصل منها:-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن موسى عليه السلام: رجل فيه سمرة، طويل جعد الشعر، ليس بالضخم ولا الضئيل رجل ضرب كأنه من رجال شنوءة.

وأن عيسى عليه السلام: رجل فيه سمرة وحمرة، مربوع ليس بالطويل ولا بالقصير، جعد الجسم، سبط الرأس، تضرب لمته بين منكبيه، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود- رضي الله عنه -.

الفائدة الثالثة: الأحاديث فيها إثبات لرؤية النبي - صلى الله عليه وسلم -، جبريل عليه السلام وأقرب الناس به شبهاً دحية بن خليفة - رضي الله عنه -، ومالك خازن النار، وفيه ذكر الملك ووظيفته.

الفائدة الرابعة : الأحاديث فيها إثبات شبه النبي - صلى الله عليه وسلم - بأبينا إبراهيم عليه السلام.

الفائدة الخامسة: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - دليل على أن الخمر سبب من أسباب الغواية والهلاك، قال ابن حجر - رحمه الله -:" ويؤخذ من قول جبريل عليه السلام (**غَوَتْ أُمَّتُكَ**) أن الخمر ينشأ عنها الغي ولا يختص ذلك بقدر معين" [الفتح(١١/٧٤)]

الفائدة السادسة: حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- دليل على فضل التلبية واستحباب رفع الصوت بها.

الفائدة السابعة: حديث ابن عمر رضي الله عنهما فيه إثبات المسيح الدجال وتقدم قريباً الكلام عن صفاته، وجاء في حديث الباب أنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، شديد جعودة الشعر، أشبه الناس به ابن قطن، ولم يذكر الرواة اسم ابن قطن وكذا كثير من الشراح وهي العادة في استحسان الإبهام في مثل هذه المواطن

فإن قيل في الحديث أنه رأى الدجال يطوف بالبيت، فكيف الجمع بينه وبين الأحاديث الدالة على أن الدجال ممنوع من دخول مكة والمدينة؟

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" **الجواب على ذلك من وجهين:-**

الوجه الأول: أن المسيح الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة إذا أرسل وبعث، أما قبل ذلك فقد يكون.

الوجه الثاني: أن يقال الرؤيا – وإن كانت حقاً إذا كانت من الأنبياء- لكنها ليست كاليقظة، بدليل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رآى ربه في المنام ولا يمكن أن يراه في اليقظة" [التعليق على مسلم(١/٥٦٩)]

الفائدة الثامنة: حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- فيه إثبات صفات الكمال لله تعالى، واستدل أهل السنة بهذا الحديث على أن الله جل وعلا له عينان اثنتان وليس له أكثر من ذلك، لأنه لو كان له أكثر من ذلك لبينه النبي - صلى الله عليه وسلم - في المفارقة كما بيَّن أنه ليس أعور.

الفائدة التاسعة: الأحاديث فيها عبادة الأنبياء وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - رآهم يتعبدون، حيث رأى موسى عليه السلام يصلي عند الكثيب الأحمر، ورأى موسى ويونس عليهما السلام يلبيان، **فإن قيل كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم في الدار الآخرة التي ليست دار عمل؟**

فالجواب: أن العلماء أجابوا على هذا من عدة أوجه:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجه الأول: أنهم كالشهداء، بل هم أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا إلى الله بما استطاعوا

وقيل وهو الوجه الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء، قال تعالى:﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾(يونس:١٠)

والوجه الثالث: أن هذه رؤية منام في غير ليلة الإسراء، أو في بعض ليلة الإسراء، كما في رواية ابن عمر رضي الله عنهما :" **بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة** " وفي رواية" **أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ**"

والوجه الرابع: أنه - صلى الله عليه وسلم - أري أحوالهم التي كانت في حياتهم، ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا، وكيف حجهم وتلبيتهم، كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم - :" **كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَىٰ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عِيسَى، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونس**" عليهم السلام.

والوجه الخامس: أن يكون قوله - صلى الله عليه وسلم - خبر عما أوحي إليه - صلى الله عليه وسلم - من أمرهم وما كان منهم، وإن لم يرهم رؤيا عين" [شرح النووي لمسلم(٢/٣٩٩)]

١٣٠- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ. قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلاَ الله لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ. فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

ترجمة راوي الحديثين:

جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الخامس من كتاب الإيمان.

وأبو هريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

حديث جابر - رضي الله عنه - أخرجه مسلم، حديث (١٧٠)، وأخرجه البخاري في " كتاب التفسير " " باب أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ "، حديث (٤٧١٠)، وأخرجه البخاري في " كتاب التفسير " " باب ومن سورة بني إسرائيل" حديث (٣١٣٣)

وأما حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - فأخرجه مسلم، حديث (١٧٢) وانفرد به عن البخاري.

شرح ألفاظ الحديثين:

- (**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ**): أي حين نسبوني إلى الكذب فيما ذكرت من قضية الإسراء وطلبوا مني علامات بيت المقدس[انظر تحفة الأحوذي (٨/٥٦٦) وفيض القدير (٥/٣٨١)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**قُمْتُ فِي الْحِجْرِ**): بكسر الحاء أي في حجر الكعبة أي ما حواه حطيم الكعبة وهو الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الشمالي.[انظر المرجعين السابقين]

- (**فَجَلاَ اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ**): أي كشف وأظهر الله لي بيت المقدس.[فيض القدير(٥/٣٨١)]

- (**فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ**): أي جعلت أخبرهم.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث فيه بيان معجزة من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر قريشاً بما سألته من وصف بيت المقدس الذي أسري إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك حين كذبته قريش، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في مكانه بين قريش في مكة ينظر إلى بيت المقدس ويصفه لهم.

وذكر ابن حجر - رحمه الله -احتمال أن الله تعالى رفع له بيت المقدس فما يسألونه عن شيء إلا نبأهم به كما دل عليه حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - بنحوه عند مسلم بلفظ " **فرفعه الله لي**"

واحتمال أنه حُمل - صلى الله عليه وسلم - إلى أن وضع بحيث يراه ثم أعيد. [انظر الفتح (٧/٢٠٠)]

وردَّ بدر الدين العيني –رحمه الله– الاحتمال الثاني لدلالة النص على الأول - رحمه الله -الاحتمال الثاني لدلالة النص الأول فقال:" قال بعضهم يحتمل أنه حمل إلى موضع بحيث يراه ثم أعيد، قلت: لاطائل في ذكر الاحتمال بل قوله "**فرفعه الله إليه**" يدل قطعاً على أن الله رفعه ووضعه بين يديه قطعاً، والدليل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما" فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضعه عند دار عقيل، فنعتُّه وأنا أنظر إليه" وهذا أبلغ في المعجزة ولا استحالة فيه، فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين" [عمدة القاري (٢٥/٦٨)]

الفائدة الثانية: الحديث شاهد من شواهد نصرة الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -، والنصر عند الله لأنبيائه وأوليائه والمؤمنين كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾(غافر: ٥١)

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على أن الداعية مهما بلغت منزلته فإنه عرضة للإيذاء سواء كان حسياً أو معنوياً فها هو إمام الدعاة - صلى الله عليه وسلم - يواجه تكذيباً وصدوداً في دعوته.

الفائدة الرابعة: الحديث فيه شدة مكابرة وتكذيب قريش للنبي - صلى الله عليه وسلم -.

الفائدة الخامسة: في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - بيان ما امتن الله به على نبيه و ما شرفه به من إمامة الأنبياء ليلة الإسراء.

قال النووي - رحمه الله -:" قال القاضي: فإن قيل كيف رأى موسى عليه السلام يصلي في قبره، وصلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء ببيت المقدس، ووجدهم على مراتبهم في السموات، وسلموا عليه ورحبوا به؟ فالجواب أنه يحتمل أن تكون رؤيته موسى عليه السلام في قبره عند الكثيب الأحمر كانت قبل صعود النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء، وفي طريقه بيت المقدس، ثم وجد موسى قد سبقه إلى السماء، ويحتمل أنه- صلى الله عليه وسلم - رأى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلى بهم على تلك الحال لأول ما رآهم، ثم سألوه ورحبوا به، أو يكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اجتماعه بهم وصلاته ورؤيته موسى عليه السلام بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى والله أعلم"[شرح مسلم (٤٠٧/٢)]

٧٦ - بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى

١٣١ - عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود، قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ. فَيُقْبَضُ مِنْهَا. وَإِلَيْهَا يُنْتَهى مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا. فَيُقْبَضُ مِنْهَا. قَالَ: **{إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى}** قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - ثَلاَثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ. وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِالله مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً الْمُقْحِمَاتُ. **رواه مسلم** .

ترجمة راوي الحديث:

عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم، حديث (١٧٣)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في " كتاب تفسير القرآن" " باب ومن سورة النجم" حديث (٣٢٧٦)، وأخرجه النسائي في " كتاب الصلاة " " باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - واختلاف ألفاظهم" حديث (٤٥٠).

شرح ألفاظ الحديث:

- (**وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ**): قيل هذا وهم من الراوي والصواب أنه في السماء السابعة كما تقدم في حديث أنس - رضي الله عنه -، وهو اختيار القاضي عياض، والقرطبي [انظر المفهم (٣٩٤/١)] ، وللنووي جمع بين الروايتين حيث قال:" قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح، وقول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى، وتسميتها بالمنتهى، قلت: ويمكن أن يجمع بينهما، فيكون أصلها في السادسة، ومعظمها في السابعة" [شرح مسلم (٥/٣)]

- (**إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ**): أي يقف عندها كل ما يصعد من الأرض من أعمال العباد والأرواح.

- (**فَيُقْبَضُ مِنْهَا**): أي تقبضه الملائكة فتوصله إلى ما أمرت به.

- (**فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ**): أي يغشى السدرة فراش من ذهب، والفراش الحشرة التي تطير وتلقي نفسها في ضوء السراج

- (**خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ**): من قوله تعالى: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**إلى ختام السورة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-(**الْمُقْحِمَاتُ**): بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء، وهي كبائر الذنوب التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها" [شرح مسلم للنووي (٦/٣)]

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث فيه بيان عطايا أعطيها النبي - صلى الله عليه وسلم -، وحصلت بالذكر لأنها من أفضل ما أعطيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وامتن الله تعالى عليه وعلى أمته به وهي:

- أعطي الصلوات الخمس وتقدم الكلام على فضلها، وهي خمس بالفعل وخمسون في الميزان.
- وأعطي خواتيم سورة البقرة، وجاء فضلها أيضاً في الصحيحين من حديث أبي مسعود- رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:"**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** "

قال ابن القيم - رحمه الله -:" الصحيح أن معناه كفتاه من شر ما يؤذيه، وقيل كفتاه من قيام الليل وليس بشيء" [الوابل الصيب ص(١٣١)]

ومما يدل على عظيم ما أعطيه النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الخواتيم ما حوته من ثناء ودعاء [انظر المفهم (١/٣٩٥)]، ثناء على النبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين حيث قال الله عنهم:﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ فأعطاهم الله تعالى من التخفيف واستجابة الدعاء بقوله"﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾

والله تعالى يقول بعد دعائهم (**قد فعلت**) كما ثبت في صحيح مسلم وتقدم الكلام على هذا الحديث.

- وأعطي النبي - صلى الله عليه وسلم - فضل التوحيد على الأمة ألا يخلد صاحب الذنب في النار ولو كانت ذنوبه من المقحمات وهي الكبائر.

قال النووي - رحمه الله -:" ومعنى الكلام : من مات من هذه الأمة، غير مشرك بالله، غفر له المقحمات، والمراد والله أعلم، بغفرانها أنه لا يخلد في النار، بخلاف المشركين، وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً، فقد تقررت نصوص الشرع وإجماع أهل السنة على عذاب بعض العصاة من الموحدين.

الفائدة الثانية: الحديث فيه ذكر سدرة المنتهى مكانها ووصفها، وتقدم الكلام عليها، وتوجيه رواية أنها في السماء السادسة، والأظهر والله أعلم ترجيح رواية أنس - رضي الله عنه - وأنها في السماء السابعة، فهي الأصح والأكثر رواة.

الفائدة الثالثة: الحديث دليل على عاقبة الشرك وذمه وأنه يحرم أهله الخير كله ويُقحم صاحبه النار مخلداً فيها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الرابعة: الحديث رد على الخوارج الذين يقولون بتخليد صاحب الكبيرة في النار، ففي الحديث التجاوز عن صاحب المقحمات وأن مآله إلى الجنة.

باب: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}

١٣٢- وعن الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ ، عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: **{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ}** قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

٧٧ - بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣] ، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ

١٣٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: **{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}** **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ}** قَالَ: رَآهُ بِفُؤَاده مَرَّتَيْن. **رواه مسلم .**

١٣٤- عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئاً عِنْدَ عَائِشَةَ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ! ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً - صلى الله عليه وسلم - رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ وَكُنْتُ مُتَّكِئاً فَجَلَسْتُ. فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي. أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ}** **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ}** فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هٰذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذٰلِكَ رَسُولَ اللّهِ- صلى الله عليه وسلم -فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ. لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ. رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّماءِ. سَادّاً عِظَمُ خلقه مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**» فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَع أن الله يَقُولُ: **{لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ الله يَقُولُ: **{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}** قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَتَمَ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. وَاللهُ يَقُولُ: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}** قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. وَاللهُ يَقُولُ: **{قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ}**

وفي رواية لمسلم : قالت عَائِشَةُ :وَلَوْ كَانَ مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - كَاتِماً شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هٰذِهِ الآيَةَ: **{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧٨ - بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، وَفِي قَوْلِهِ: «رَأَيْتُ نُورًا»

١٣٥ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه - ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ - صلى الله عليه وسلم -: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»؟.

وفي رواية : «**رَأَيْتُ نُوراً**». **رواه مسلم** .

ترجمة رواة الأحاديث

ابن مسعود - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الإيمان.

أبو هريرة - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

وابن عباس - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.

وعائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها في الحديث المائة وعشرين من كتاب الإيمان.

وأبو ذر - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته في الحديث الثاني والأربعين من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث ابن مسعود أخرجه مسلم حديث (١٧٤)، وأخرجه البخاري في " كتاب التفسير" " باب﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**﴾" حديث (٤٨٥٦)، وأخرجه الترمذي في " كتاب تفسير القرآن" " باب ومن سورة النجم" حديث (٣٢٧٧).

وأما حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - فأخرجه مسلم حديث (١٧٥) وانفرد به.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فأخرجه مسلم، حديث (١٧٦) وانفرد به.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها فأخرجه مسلم، حديث (١٧٧)، وأخرجه البخاري، في " كتاب التفسير" " باب﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾" حديث (٤٦١٢)، وأخرجه الترمذي في " كتاب التفسير" " باب ومن سورة الأنعام" حديث (٣٠٦٨)

وأما حديث أبي ذر - رضي الله عنه - فأخرجه مسلم، حديث (١٧٨)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في "كتاب تفسير القرآن" " باب ومن سورة النجم" حديث (٣٢٨٢).

شرح ألفاظ الأحاديث:

- (**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**): حين سئل ابن مسعود - رضي الله عنه - عن هذه الآية أخبرهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل له ستمائة جناح، وفي رواية أخرى أن ابن مسعود- رضي الله عنه - أخبرهم بذلك حين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سئل عن قوله تعالى:﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ وفي رواية أخرى أن ابن مسعود - رضي الله عنه - أخبرهم بذلك حين سئل عن قوله تعالى:﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(النجم:١٨).

وكل الروايات رواها الإمام مسلم، وعليه فابن مسعود - صلى الله عليه وسلم - يرى أن المقصود بها رؤية النبي- صلى الله عليه وسلم - لجبريل عليه السلام.

قال ابن كثير - رحمه الله -:" وقوله تعالى﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي فاقترب جبريل عليه السلام إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - قاب قوسين أي: بقدرهما إذا مُدّ. قاله مجاهد وقتادة، وقد قيل: إن المراد بذلك بُعد ما بين وتر القوس إلى كبدها، وقوله تعالى﴿ أَوْ أَدْنَى﴾ قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه... وهذا الذي قلناه... هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة -رضي الله عنه- وهواختيار ابن كثير.[انظر تفسير ابن كثير (٤٤٧/٧)، (٣٣٩/٨)، وانظر تفسير السعدي ص (٨١٨)]

والقول الثاني: أن المراد دنو الله عزوجل من محمد - صلى الله عليه وسلم -

قال البغوي - رحمه الله -:" وقال آخرون: ثم دنا الرب عزوجل من محمد - صلى الله عليه وسلم - فتدلى، فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى" [تفسير البغوي(٤٠١/٧)]

وكذلك قوله تعالى:﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ فإن الرؤية هنا قيل فيها رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - لجبريل وهو قول ابن مسعود- رضي الله عنه - ومن معه من الصحابة-رضوان الله عليهم-، وقيل رؤية محمد - صلى الله عليه وسلم - لربه جل وعلا، وهو قول ابن عباس- رضي الله عنهما -كما في الرواية الأخرى عند مسلم.

قال السعدي - رحمه الله -:" ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي اتفق فؤاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره... وقيل : إن المراد بذلك رؤية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لربه ليله الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لربه في الدنيا ولكن الصحيح القول الأول وأن المراد به جبريل كما يدل عليه السياق" [تفسير السعدي ص(٨١٨)]

وكذلك قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ جرى فيها القولان قيل: رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - لجبريل عليه السلام وهو قول عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصحابة كأبي هريرة - رضي الله عنه - كما في أحاديث الباب وهو قول جماعة من التابعين كمجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعطاء بن أبي رياح، وقيل: رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - لربه جل وعلا وهو قول ابن عباس كما في حديث الباب. [انظر تفسير ابن كثير (٤٥٣/٧)]

قوله تعالى:﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ أي رأى جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية، بل استدل بهذه الآية على أن محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يرى ربه جل وعلا، قال ابن كثير - رحمه الله -:" استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية بتلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس" [تفسير ابن كثير (٤٥٤/٧)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- (**فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ**): كنية مسروق.

- (**أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ**): قال القرطبي - رحمه الله -:" الفرية: هي الإفتراء، وهو اختلاق الكذب وما يقبح التحدث به" [المفهم(١/٤٠٣)]

- (**مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً - صلى الله عليه وسلم - رَأَى رَبَّهُ**): أي من زعم أنه رأى ربه يقظة ببصره ليلة الإسراء والمعراج فقد أعظم الفرية.

- (**أَنْظِرِينِي**): أي أمهليني واتركي لي فرصة لأتكلم.

- (**وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**): أي رأى جبريل، قال ابن كثير - رحمه الله -:" ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ يعني: ولقد رأى محمد جبريل عليه السلام الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزوجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح " **بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**" أي البيّن" [تفسير ابن كثير (٨/٣٣٩)]

- (**غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ**): أي لم يره غير هاتين مرتين: الأولى وقعت في الأرض قبل الإسراء، والثانية في السماء عند سدرة المنتهى.

- (**سَادّاً**): أي مغطياً.

- (**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**): استفهام إنكاري بمعنى النفي، أو تعجبي، و" **أَنَّىٰ**" بمعنى كيف الاستفهامية، أي: نور كيف أراه؟

من فوائد الأحاديث:

الفائدة الأولى: في الأحاديث مسألة رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم -لربه ليلة الإسراء والمعراج، فقد اختلف العلماء سلفهم وخلفهم في ذلك على عدة أقوال:

القول الأول: التوقف، لعدم المرَجِّح من الأدلة، وتكافؤ ما ورد منها، واختار بعض أهل العلم منهم القرطبي حيث قال:" ليس في ذلك دليل قاطع، وغاية المستدل على نفي ذلك أو إثباته التمسك بظواهر متعارضة مُعَرَّضة للتأويل" [المفهم ١/٤٠٢-٤٠٣]

القول الثاني: أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه .

وهذا هو قول ابن عباس - رضي الله عنه - كما في حديث الباب ، واختاره ابن خزيمة، والنووي. [انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٢٢٦) وشرح مسلم للنووي (٣ / ٩)]

واستدلوا : بما رواه الترمذي وقال : " حسن غريب " ورواه النسائي في الكبرى ، أن ابن عباس ذكر أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه ، ويشكل على هذا ما جاء في حديث الباب من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه بفؤاده مرتين .

وأما حديث عائشة في الباب فأجاب عنه النووي بقوله: " ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها؛ لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي- صلى الله عليه و سلم- يقول (لم أر ربي) وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة؛ لقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله تعالى: (**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا**) ولقول الله تعالى: (**لا تدركه الأبصار**) والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسماع" [المرجع السابق]

وردَّ ابن حجر قول النووي عن قول عائشة رضي الله عنها بقوله: "وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم" أي أنها صرحت بذلك من غير تأويل. [الفتح ٨ / ٦٠٧]

وتعددت الروايات عن الإمام أحمد ففي رواية : أنه رأى ربه بعيني رأسه ، وفي رواية : أنه رأى ربه بعيني قلبه (أي رآه بفؤاده) وفي رواية : أنه توقف فلا يقال رآه بعيني رأسه ولا بعيني قلبه.

والقول الثالث : أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم ير ربه .

وهذا قول عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة وابن مسعود وأبي ذر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وهو قول جمهور العلماء .

واستدلوا :١- بحديث الباب، وقول عائشة رضي الله عنها :" من حدثكم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله " متفق عليه .

٢ — حديث أبي ذر - رضي الله عنه - في الباب قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك ؟ قال :" **نور أنَّى أراه** " رواه مسلم .

(أنى أراه) أي كيف أراه ، وهذا نصٌ في المسألة .

٣- حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - وسيأتي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :" **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** " رواه مسلم .

ووجه الدلالة : أن الله -عز و جل- لو كشف حجابه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ومن ذلك من رآه لو كان أحدٌ رآه ، وهذا دليل على أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يره .

وهذا **القول هو الراجح** والله أعلم ، على أنه يقال إنه لا تعارض بين القولين ولا اختلاف بين الصحابة أصلاً —كما قال جمع من أهل العلم منهم الإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وأن الخلاف خلاف لفظي [انظر منهاج السنة النبوية (٢ / ٦٣٦ ، ٦٣٧] .

والجمع بين القولين : بأن يحمل قول ابن عباس في أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه ليلة المعراج أنه رآه بعيني قلبه لا بعيني رأسه (أي رآه بفؤاده) لأن الذي روي عن ابن عباس حديث مطلق بأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه وحديث آخر مقيد بأنه رآه بفؤاده فيحمل المطلق على المقيد لأنه لم يرو ابن عباس أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محمداً - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه بعيني رأسه ، ويحمل قول عائشة -رضي الله عنها -أنه لم يره بعيني رأسه ، فلا خلاف حينئذٍ ، فيكون من نفى الرؤية حملها على رؤية البصر ومن أثبتها حملها على رؤية الفؤاد .

- قال شيخ الإسلام :" وليس في الأدلة ما يقتضي بأنه رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة صريحاً ، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل ، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك ؟ فقال : "نور أنى أراه "... وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه " [انظر مجموع الفتاوى ٦ / ٥٨٠]

قال ابن حجر: " ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه وعن أحمد كالقولين، **قلت**: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها ... وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب" [الفتح ٨/ ٦٠٨]

الفائدة الثانية: الأحاديث دليل على عظم خلق جبريل عليه السلام، وذلك من وجهين كونه له ستمائة جناح، وخلقه يغطي ما بين السماء والأرض، ولجبريل عليه السلام منزلة خاصة فهو الموكل بالوحي، وجاءت صفاته عظيمة في كتاب الله تعالى ومن ذلك:

١- جاء ذكره باسم الروح: قال تعالى:﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ (الشعراء:١٩٣)

٢- جاء وصفه بالأمين

﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم " **الْأَمِينُ**" الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص"[تفسير السعدي ص(٥٩٧)]

٣- جاء وصفه بالرسول الكريم: قال تعالى:﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ◈ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ (التكوير: ١٩،٢٠،٢١)

٤- ذو قوة

قال السعدي - رحمه الله -:" (ذي قوة) على ما أمره الله به، ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم" [تفسير السعدي ص(٩١٢)]

٥- عند ذي العرش مكين

قال السعدي - رحمه الله -:" أي جبريل عليه السلام مقرب عند الله له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها، (**مَكِينٍ**) أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم" [المرجع السابق]

٦- مطاع في الملائكة

قال البغوي - رحمه الله -:"(**مُطَاعٍ**) أي في السموات تطيعه الملائكة، ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله- صلى الله عليه وسلم -" [تفسير البغوي(٨/ ٣٥٠)]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة :" حديث عائشة -رضي الله عنها -دليل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل على صورته التي خلقه الله فيها مرتين.

الفائدة الرابعة: حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -دليل على أن الملائكة لها أجنحة، ودل على ذلك القرآن أيضاً، قال تعالى:﴿ **جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾(فاطر: ١)

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" هذه الأجنحة يطيرون بها بسرعة عظيمة جداً، ولهذا يصعدون إلى السماء بروح العبد إلى السماء السابعة، حتى تصل إلى الله عزوجل – إن كان مؤمناً- وأسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم، ثم ترجع قبل أن يدفن الإنسان وتتصل ببدنه، فسرعتهم عظيمة ويدلك على سرعة الملائكة وأنهم أسرع من الجن" [التعليق على مسلم (٥٨٣/١)]

الفائدة الخامسة: حديث عائشة رضي الله عنها دليل على تحريم الكذب على الله تعالى، وأن الكذب بعضه أشد من بعض، وإن أعظمه الكذب على الله تعالى.

الفائدة السادسة: الأحاديث دليل على حرص الصحابة-رضوان الله عليهم- على العلم ومن ذلك تفسيرهم للآيات كما فعل ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة وعائشة –رضى الله عن الجميع-فهم من علماء الصحابة، وفي حديث عائشة وقوع المناظرة بين الصحابة كما بين عائشة -رضي الله عنها- ومسروق رحمه الله.

وفيه أيضاً فقه عائشة- رضي الله عنها- وأن طلبة العلم من الرجال يرجعون إليها في مسائل العلم والفقه في الدين وشواهد ذلك كثيرة، وفي الحديث استدلال عائشة -رضي الله عنها- على منع رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - لله تعالى بقوله:﴿ **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الأنعام:١٠٣)

قال القرطبي - رحمه الله -:" وأما استدلال عائشة- رضي الله عنها- بقوله﴿ **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ ؛ ففيه بُعد إذ قد يقال بموجبه إذ يفرق بين الإدراك والإبصار، فيكون معنى لا تدركه: لاتحيط به، مع أنها تبصره، قاله سعيد بن المسيب" [المفهم(٤٠٤/١)]

وقال شيخنا ابن عثيمين-:" ولكن هذا الاستدلال فيه نظر،لأن الآية ليس فيها نفي الرؤية، وإنما الذي فيها نفي الإدراك، والإدراك أخص من مطلق الرؤية، ولهذا نقول عن هذه الآية تدل على ثبوت الرؤية...فالآية في الحقيقة تدل على ثبوت رؤية الله، ولكن متى يكون ذلك؟ يكون بعد الموت، ولهذا جاء في حديث الدجال، قال النبي- صلى الله عليه وسلم - :"**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**" رواه ابن ماجه، وهذا عام" [التعليق على مسلم (٥٩١/١)]

واستدلت عائشة -رضي الله عنها- لنفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ (الشورى :٥١)وهو استدلال ظاهر وواضح وهذا من فقهها- رضي الله عنها-. ومن ذلك تكليم الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ليلة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإسراء والمعراج في الصلوات وفرضها كان من وراء حجاب إذ لا يلزم من التكليم الرؤية، وتأمل كيف قرنت عائشة -رضي الله عنها- أجوبتها بالأدلة وهذه علامة من علامات فتح الله تعالى على أهل العلم.

الفائدة السابعة: حديث عائشة -رضي الله عنها- دليل على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بلغ الرسالة أتم بلاغ، وأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة، ،وأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يؤخر بياناً ولم يكتم علماً ولو كان كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية:﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾(الأحزاب:٣٧)

قال القرطبي: " قد اجترأ بعض المفسّرين في تفسير هذه الآية ونسب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لا يليق به ويستحيل عليه ؛ إذ قد عصمه الله منه ، ونزّهه عن مثله ، فقال . إن النبي - صلى الله عليه وسلم - هَوِيَ زينب امرأة زيد ، وربما أطلق بعض الْمُجّان لفظ : ((عشق)). ثم جاء زيد يريد تطليقها ، فقال له . أمسك عليك زوجك واتَّقِ الله ، وهو مع ذلك يحبُّ أن يطلقها ليتزوجها. وهذا القول إنما يصدر عن جاهل بعصمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مثل هذا ، أو مستخفّ بحرمته، والذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين أن ذلك القول الشنيع ليس بصحيح ، ولا يليق بذوي المروءات ، فأحرى بخير البريات ، وأن تلك الآية إنما تفسيرها ما حكي عن علي بن حسين أن الله تعالى أعلم نبيه بكونها زوجةً له ، فلما شكا حدّثها زيدٌ له وأراد أن يطلقها ، قال له : أمسك عليك زوجَك واتَّقِ الله ، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به مما هو مبديه بطلاق زيدٍ لها وتزويج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها. ونحوه عن الزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري وغيرهم، والذي خشيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما هو أرجاف المنافقين بأنه نَهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج زوجة ابنه ، ومساق الآية يدل على صحة هذا الوجه بقوله : **{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ }** ، ولو كان ما ذكر أولئك ، لكان فيه أعظم الحرج وبقوله { **لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا** } ، وبالله التوفيق." [المفهم ١/ ٤٠٦]

الفائدة الثامنة: حديث عائشة -رضي الله عنها- دليل على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم الغيب، ولا يستطيع أن يخبر بما في الغد إلا بوحي من الله تعالى واستدلت -رضي الله عنها- بقوله تعالى:﴿ **قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ**﴾

الفائدة التاسعة: حديث عائشة -رضي الله عنها- بمفهمومه يدل على تحريم الغلو بالنبي - صلى الله عليه وسلم -

الفائدة العاشرة: حديث أبي ذر- رضي الله عنه - استدل به على عدم رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - لله تعالى حين سئل- صلى الله عليه وسلم -فقال" **نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:" وهل قوله - صلى الله عليه وسلم -" **رَأَيْتُ نُوراً**" تدل على أن الله تعالى يسمى بالنور؟ فالجواب: الظاهر أنه صفة وهو جل وعلا نور ولكنه ليس كالأنوار المخلوقة" [التعليق على مسلم(١/٥٩٨)]..

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضوع	ص
المقدمة	١
بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ.	٢
بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ قَاتِلَ نَفْسِهِ لَا يَكْفُرُ	١٥
بَابٌ فِي الرِّيحِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ الْقِيَامَةِ، تَقْبِضُ مَنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ	١٨
بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ	٢٠
بَابُ مَخَافَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ	٢١
بَابُ هَلْ يُؤَاخَذُ بِأَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟	٢٤
بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ	٢٥
- بَابُ بَيَانِ حُكْمِ عَمَلِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بَعْدَهُ	٢٩
بَابُ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَإِخْلَاصِهِ	٣٣
بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ}	٣٥
بَابُ تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ	٣٧
بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ	٣٩
بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا	٤٤
بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ	٥٢
- بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ	٥٨
بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْوَالِي الْغَاشِّ لِرَعِيَّتِهِ النَّارَ	٦٠
بَابُ رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ، وَعَرْضِ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ	٦٣
بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ	٦٩
باب ذهاب الإيمان آخر الزمان	٧٤
بَابُ الِاسْتِسْرَارِ لِلْخَائِفِ	٧٦
بَابُ زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ	٧٧
بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ	٨٠
بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٩٠
بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ	٩٨
بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٠٥
باب الإسراء برسول الله السموات وفرض الصلوات	١١٦
بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى	١٣٥
باب: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}	١٣٧
بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣] ، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ	١٣٧
بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» ، وَفِي قَوْلِهِ: «رَأَيْتُ نُورًا»	١٣٨
فهرس الموضوعات	١٤٧